أ.د. زينب عبد العزيز

2

صليبية الغرب وحضارته

الإلحاد وأسبابه

الصفحة السوداء للكنيسة




الإلحاد
وأسبابه
الصفحة السوداء للكنيسة

اسم الكتاب :
الإلحاد وأسبابه «الصفحة السوداء للكنيسة»

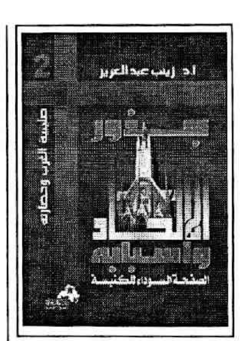
اسم المؤلف :
أ. د. زينب عبد العزيز

رقم الايداع بدار الكتب المصرية :
٢٠٠٣/٢١١٢٧

الترقيم الدولي :
I.S.B.N. 977-376-028-6

تصميم الغلاف :
كامل جرافيك

اسم المطبعة :
دار القبس للطباعة ت: ٣٦٤٠٨٣٥ - ٥٢٤٣٣١٤



حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
٢٠٠٤

الآراء الموجودة بالكتاب
لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

تحذير
جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب العربي للنشر وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد الكترونية أو ميكانيكية أو نقله بأي وسيلة أخرى أو تصويره أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف.



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى
هاتف ٢٢٣٥٤٠١ ـ ص.ب: ١٣٣٤٤ ـ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ - تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
Email:darkitab2003@yahoo.com

الإلحاد وأسبابه

الصفحة السوداء للكنيسة

أ. د. زينب عبد العزيز

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِه..﴾

(النساء / ٤٦)

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

(المائدة / ١٢)

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ..﴾

(البقرة / ٧٥)

«إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أُدان أنا بعدُ كخاطئ»!!

رسالة بولس إلى أهل رومية (٧:٣)

تمهيد

الإلحاد لغة هو الميل والعدول عن الشىء، أو «العدول عن الحق وإدخال فيه ما ليس فيه»، ويقال قد ألحد فى الدين، أى حاد عنه (لسان العرب)، وإن كان تحديد ارتباط الإلحاد بالدين هو الأكثر استخداما حاليا. والإلحاد فى الدين يعنى الميل عن الحق. وهو أقسام، فقد يكون ذلك عن طريق الشرك وإعطاء خصائص الألوهية لغير الله عز وجل، وقد يكون الإلحاد بإنكار وجود الله سبحانه وتعالى. وكلا النوعين انحراف عن الفطرة الإنسانية.

أما موسوعة أونيڤرساليس الفرنسية، فتورد أن الملحد هو من لا يعترف بوجود الله وينكر وجوده أو حتى وجود قوى فعالة خارج مجال المادة المحدودة التى يراها، أو وجود قوى أعلى من الطبيعة البشرية. والملحد كلمة لا تعنى أن يكون الإنسان متوحشا جاهلا غير مثقف أو همجيا لا يهتم إلا باحتياجاته المادية ويؤثر العيش فى عزلة، فمثل هذا الإنسان لا يفكر فى الله أساسا، إذ لا يجد فى نفسه تلك الفطرة التلقائية التى تدله على وجود الله إنه ليس ملحدا لأنه لا ينكر شيئا.

أما الملحد، كما تصفه الموسوعة الفرنسية، فهو الشخص الذى يحصل على كل التعاليم التى يمكن للدين أن يمده بها عن وجود الله، ثم يدّعى أن الله لا وجود له. فالملحد يرى كل شىء فى الطبيعة إلا ذلك الذى لولا وجوده لما كانت هذه الطبيعة أو لما كان لها أى وجود.

والإلحاد يختلف عن العلمانية فى جزئية محددة أو أساسية وهى: أن الإلحاد يكون على المستوى الفردى، أما العلمانية فهى أساسا على مستوى الدولة. فالإلحاد هو موقف محدد رافض للعقيدة السائدة. والملحد هو من لا يتقاسم تلك العقيدة التى يؤمن بها أفراد المجتمع الذى ينتمى إليه. أى أن الملحد يتخذ موقفا عكسيا من الديانة الرسمية للدولة، ولا يخضع للطقوس العبادية السائدة وبالتالى لا يمارسها لأنه لا يقبل أو لا يقتنع بالإله المرتبط بها.

ويشير القاموس التاريخى للغة الفرنسية (روبير الكبير)، إلى أن كلمة «ملحد» ظهرت فى الفرنسية فى القرن السادس عشر ومأخوذة بنطقها عن اليونانية (آثيوس)، أى الذى لا يؤمن بالله. وهى موجودة فى اللاتينية منذ القرن الثانى واستقر معناها بها منذ القرن الرابع. وقد استخدمها الأديب الفرنسى رابليه فى القرن السادس عشر بنطقها اليونانى، ثم استخدمها بللتييه دى مانس عام ١٥٤٧ بالنطق الفرنسى. ويرجع استخدام الكلمة كصفة إلى ريشليوه عام ١٦٨٠.. ومنذ ذلك الوقت والمعنى لم يتغيّر، وإن كان المضمون نفسه يضفى عليه بعض التنويعات. أما كلمة الإلحاد، فقد دخلت اللغة الفرنسية، وتحديدا عام ١٧٩٢، لكنها خرجت من الاستخدام اللغوى.

ويقول إدمون أورتيجس فى بحثه عن الإلحاد: «إن الشخص الملحد لا ينكر الله فى حد ذاته وإنما ينكر مصداقية ما تقدمه له النصوص الدينية، وإن نفيه يقع أساسا على أسباب أو عناصر المصداقية». أما هنرى بوصون فيقول: «إن الإلحاد لم يكن معروفا فى فرنسا قبل النصف الثانى من القرن السادس، وإن شارل دى بور جفيل كان أول من استخدم عبارة «الملحدون» بالجمع، إذ كان أول من أدانهم عام ١٥٦٤ واتهمهم بأنهم لا يؤمنون بالله. وأن بيير فيريه قد كتب فى نفس ذلك العام يقول: «إن عدد الملحدين أكبر بكثير مما نتصور» ("الفكر الدينى فى فرنسا، من شارون إلى باسكال" ١٩٣٣). بينما يؤكد لوسيان لوفيفر أنه «أيام رابليه كان رجال الكنيسة يتجادلون فى

مناقشاتهم الدينية ويتهمون بعضهم بعضا بالإلحاد» ("مشكلة عدم الإيمان فى القرن السادس عشر" ١٩٤٢).

ويشير جان إيف هاردر فى بحثه عن الإلحاد (١٩٩٨) قائلا: «إن الإلحاد مرتبط بالأحداث السياسية والجغرافية.. فاليهود والمسيحيون الأوائل كانو منبوذين من الأباطرة الرومان واضطهدوهم حتى أيام قسطنطين لأنهم لا يؤمنون بالآلهة الوثنية التى تمثل الديانة الرسمية للدولة. وعام ٣٩١، عند تم الاعتراف بالمسيحية ديانة رسمية للدولة، ثم تحريم الوثنية وفرض المسيحية، وأصبح الملحد هو الرافض للمسيحية وعقائدها.. ثم يوضح هاردر أن الإشكال مع الديانة القائمة أنها تفرض نفسها كديانة منزّلة، ولا تكتفى بالاعتراف بها بناء على الدليل السياسى أو الوضع السياسى للدولة، لكنها تطلب بإصرار أن يتم الاعتراف بها كديانة "حقيقية منزّلة من عند الله"، ولا تفرّق بين معرفة الإله الحقيقى وممارسة الفروض العبادية، إذ أن الطاعة هنا تأخذ شكل الارتباط التام من جانب الفرد من الناحية الفكرية والأخلاقية والإيمان بالله ـ فى نظر الكنيسة، يعنى الإيمان بالإله الحقيقى كما لاح للبشر وكما فرضته هى».

ويوضح هاردر أن أول خطوة نحو الإلحاد تبدأ عندما يتخلى الإنسان عن الإيمان بالله اعتمادا على الإيمان وحده ويتمسك بالعقل والمنطق فى كل شىء.. فهل بذلك يتحرر من العقائد ويرفض سلطان الكنيسة ونفوذها.

وقد أدت الحضارة العصرية، فى الغرب المسيحى، والقائمة على العقلانية فى العلوم الطبيعية، إلى تحول جذرى لدى الكثير من الناس، إذ أصبح الإيمان غيبا أو وفقا للإيمان وحده يمثل أمراً عبثيّاً خطيرا على الإنسانية. إلا أن الباحث لم يتطرق إلى الواقع المعاش فى القطاع الكنسى، من حيث الممارسات، وإلى كل تلك التصرفات التى أدت إلى إبعاد الناس عن الدين، وركز على أساس مشكلة التثليث قائلا: «إن تنمية العقل والمنطق

والعلوم الطبيعية قد أدى إلى رفض العقيدة برمتها». وهو نفس ما قاله الأديب موليير فى مسرحية "دون چوان". بصيغة مقنّعة تفاديا للرقابة ومحاكم التفتيش قائلا: «إننى أومن بأن اثنين واثنين يساويان أربعة» (الفصل الثالث المنظر الأول)!

ويحدد هاردر أن فيما بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر قد انتشرت بالتدريج فكرة عدم اعتبار الإلحاد كجريمة يعاقب عليها القانون، أولا من جانب المفكرين والفلاسفة، ثم بعد ذلك من جانب التشريع. وقد كتب بيير بايل عام ١٦٩٧ مدافعا عن الإلحاد والملحدين فى أوربا، قائلا: «إن الملحد يمكن أن يكون رجلا نزيها، إلا أن العقل يقود إلى التصرف الحميد أفضل من الطاعة العمياء لنفوذ السلطان الكنسى».

أما الأديب مونتسكيو، فقد رفض وصف الإلحاد على أنه جريمة يعاقب عليها القانون قائلا: «حينما لا يوجد فعل عام لا توجد مادة للقانون» ("روح القانون" الفصل ١٢ البند ٤). وبذلك تحول الإلحاد إلى شكل نضالى لمذهب النزعة الإنسانية فى صراعه مع التسلط الكنسى. فالمهم، من وجهة نظر الفلاسفة آنذاك، ليست المناقشات العقيمة حول وجود الله، وإنما القيام بأعمال تؤكد كرامة الإنسان ومسؤلياته بدلا من استعباده وقهره.

ويؤكد هاردر أن علماء الحداثة عملوا على تأكيد أن الإلحاد يستمد كل كيانه من مناقشة ونقد كيفية تكوين الديانة المسيحية، مشيرا إلى أن الإلحاد مرتبط ارتباطا وثيقا بعصر التنوير، لأن كل هدفه هو تحرير الإنسان من عبودية السلطة العقائدية الكنسية. وبذلك انقلبت المعادلة ولم يعد الملحد هو الذى يمثل خطورة على علم الأخلاق والقيم وإنما على الكنيسة فى حد ذاتها كمؤسسة.

وقد زايد فيورباخ على ما أعرب عنه بيير بايل، مضيفا: «إن الملحد ليس رجلا شريفا فحسب، وإنما الملحد وحده هو الإنسان الشريف»! وبذلك

أصبح التحول إلى الإلحاد من واجبات أتباع مذهب النزعة الإنسانية، وهو واجب قائم على رفض تلك التعاليم التى لا يمكن لعقل سوى أن يقبلها..

أما جان إيف لاكوست، فيوضح فى كتابه المعنون: "التجربة والمطلق" (١٩٩٤)، أن مشكلة الإلحاد تعد مشكلة حديثة نسبيا لأن الإلحاد لم يكن موجودا فى العالم الثقافى الذى نمت فيه صياغة المسيحية الأولى. وأن المناقشات الأساسية التى دارت حول هذه المؤسسة وتثقل عليها تواجه المسيحية واليهودية فى تضاد واضح - علما بأن المسيح قد أوضح أنه لم يأت لينقض الناموس وإنما ليكمل.

ثم انتقلت المناقشات فى الأوساط المسيحية ومؤسساتها، أيام محاولة الآباء لإثبات العقيدة بتطوراتها وترسيخها فى القرون الوسطى، ضد اليهود وضد «الهراطقة» المنشقين على ما تقوم به الكنيسة من تغيير. وإن ما أضافه الملحدون فى القرن التاسع عشر هو مناقشة الأسباب اللاهوتية نفسها. وإنه بعد كل من هيجل وشلينج وكيركجارد تحول الإلحاد إلى ما يمكن أن نطلق عليه «اللالاهوت» برفضه القضايا المتعلقة بالمسيح (قبوله التدنى من درجة إله إلى مهانة العبد، التجسد، اختياره الصلب بإرادته، بقاؤه فى الجحيم، صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الأب، الذى يقولون إنه هو نفسه إلخ..)، وخاصة رفضهم مشكلة الثالوث..

ويؤكد لاكوست أن المشكلة الحقيقية فى الإلحاد تكمن فى مشكلة اللاهوت المسيحى نفسه، والمشكلة الحقيقية الأخرى هى أن نقد الملحدين يعتمد على المنطق الذى لم تستطع الكنيسة حتى يومنا هذا أن تواجهه بأدلة يقينية مقنعة..

وإذا ما تأملنا تواريخ ظهور كلمة إلحاد وملحد فى القرن السادس عشر، فى الغرب المسيحى بعامة، وفى فرنسا بصفة خاصة، لوجدناها مرتبطة بفترة عصر التنوير الذى عادة ما يتم حصره إجمالا فيما بين ١٦٨٥

و١٨١٥ تقريبا. وهى فترة تدخل فيها أيضا أحداث الثورة الفرنسية التى أدت إلى فصل الدين عن الدولة. وبقول آخر، فإن كلا من عصر التنوير - الذى أتى كرد فعل لعصور الظلمات، والثورة الفرنسية - التى أتت كرد فعل اجتماعى ضد القهر الكنسى، قد كانا فى واقع الأمر نتيجة حتمية لكل ذلك التعسف الكنسى والطغيان والظلم الذى تم فرضه على المجتمع لأكثر من ألف عام.. ويدخل فيها تحريم العلم والتصدى له وللعلماء وللتقدم، وحرق الكتب، وإقامة محاكم التفتيش، وصكوك الغفران، والحروب الصليبية، إلخ.. وإن كان من بين أهم محركات عصر التنوير اكتشاف عمليات التحريف التى تمت فى نصوص الأناجيل وفى ترجماتها على مر العصور، وتعنت رجال الكنيسة وتسلط آرائهم فى الدفاع عن تحريفهم ومنع الاطلاع على الأصول..

لذلك كان رد الفعل بنفس قوة الأفعال وإن لم يتم استخدام نفس العنف الكنسى من حيث قتل الرأى المخالف أو إبادته..

وقد أصر علماء عصر التنوير على استبعاد ذلك الدين الذى **مازالت صفحاته السوداء** تثقل على تاريخ الإنسانية، وخاصة بعد أن تورطت السلطات المدنية الفرنسية مع السلطات الكنسية فى مذابح البروتستانت الشهيرة.. أى أن ظروف الواقع المعاش وكل ذلك التاريخ الدموى بأحداثه وكل ما تكشّف ولايزال يتكشف من تحريف وتلاعب هى التى فرضت على فلسفة عصر التنوير أن تكون علمانية وأن تطالب باستبعاد مثل ذلك الدين ورجاله عن الدولة ومؤسساتها. الأمر الذى أدى بعصر التنوير إلى التمسك بالعقل والمنطق وإلى رفض كل ما لا يمكن إثباته علميا، وإلى تركيز الاهتمام على الإنسان والدنيا: أى الاهتمام بالمجتمع الذى يعيش فيه اعتمادا على العقل والمنفعة وإلى كل ما أدى إليه ذلك من مذاهب مادية وأخرى قائمة على المتعة والانفلات..

وهنا لابد لنا من إضافة سريعة نحدد فيها أن استخدام مصطلح

«عصر التنوير» فى مجال الإسلام يعد خلطا للأمور وجهلا مخزيا بالأحداث التاريخية. فالإسلام لم يعرف عصور الظلمات ولم يقم بممارسات التعصب الكنسى وانحرافاته، بل يكفى أن نشير هنا فى عجالة أن عصر النهضة فى الغرب المسيحى قد قام بفضل جهود علماء المسلمين وإسهاماتهم فى مجال العلم والترجمة.. وهنا يكفينا فخرا أن نضيف أن القرآن الكريم قد بدأ بفعل أمر هو: «اقرأ».. وأن القراءة والعلم والاستزادة من العلم فرض من فروض الإسلام العامة التى تقع على الرجال والنساء. وأنه عندما قرر عصر التنوير استبعاد الدين وتحديد سلطات الكنيسة وتمسك بالعقل والمنطق، استبعد الغيبيات المفروضة أساسا والتى لا يمكن إثباتها علميا والتى لاتزال تمثل مشكلات أساسية لرجال الدين المسيحى وكل ما نسجوه من فريات.. وهنا يشير إيفون بلافال فى بحثه عن «عصر التنوير والكنيسة» (١٩٨٦)، إلى «أن فلسفة عصر التنوير قد حمت نفسها من نقاط ضعف حكم المطلق الكنسى ومزايا عصور الإقطاع التى تمارسها الكنيسة والتى كانت لا تزال تمارس محاكم التفتيش وحرق «السحرة» و«الهراطقة»، إضافة إلى فرض نفوذها فى الأساليب الزراعية التى جلبت المجاعات على البلاد»..

وما أكثر المراجع التى تناولت الإلحاد كظاهرة اجتماعية فى الغرب المسيحى، أو ظاهرة فلسفية، وأسبابها، أو حتى كظاهرة فردية فى تزايد متواصل. ومن أحدث الكتب التى صدرت فى هذا الصدد كتاب الباحث إنريكو ريبونى المعنون: «الصفحة السوداء للمسيحية» (٢٠٠١)، الذى أوضح فيه كيفية اكتشافه لحقيقة الأناجيل، من حيث صياغتها وتعديلها وكل ما تزخر به من متناقضات وحقائق لا تتمشى مع العقل أو المنطق.

وفى تلك الفترة الحالكة التى نعيشها فى العالم الإسلامى والعربى، تلك الفترة التى تصل فيها وقاحة السياسة الأمريكية وغياب البصر والبصيرة للتعصب الكنسى الذى يجتاحها ويدفعها لتفرض على المسلمين اقتلاع

الإسلام بأيديهم لتسهيل عملية تنصير العالم فى العقد الذى نحن فيه، حيث إنهم قد فشلوا فى تنصيره كما يتصورون، فى التسعينيات من القرن العشرين، حتى تبدأ الألفية الثالثة والعالم قد تم تنصيره ـ وفقا لما تم الاتفاق عليه سابقا فى مجمع الفاتيكان الثانى عام ١٩٦٥ .. رأيت أنه من واجبى كمسلمة وكأستاذة لمادة الحضارة أن أحيط المسلمين والعرب والأقليات المسيحية التى تعيش فى رحابه، أن أحيطها علما بتلك الصفحة السوداء التى تعد عملية التبشير الدائرة حاليا جزءا لا يتجزأ منها، حتى لا يقعوا فى حبائلها أو يتواطؤا بالمعاونة على تنفيذها سواء عن جهل أو عن عمد، ولأوضح أن التعصب الكنسى واكتشاف تجاوزاته على مر العصور هو السبب فى الإلحاد، خاصة بعد أن ثبتت عملية تحريف العقيدة وتأليه السيد المسيح واختلاق بدعة الثالوث من جهة وعدم صمود هذه النصوص أمام التقدم العلمى الذى أثبت بالقطع أنها غير منزّلة من عند الله..

بل لا يوجد أدل على استخدام الكذب، فى الدعوة إلى المسيحية الحالية، من تلك الآية الواردة فى رسالة بولس إلى أهل رومية (٣:٧) والتى يقول فيها بوضوح إنه يكذب ليزيد من مجد الله ومصداقيته.. !! واستخدام الكذب بمختلف وسائله ومجالاته هو ما أثبتته الأبحاث الوارد ذكر بعضها فى هذا الكتاب.

زينب عبد العزيز

تقـــديـــم

إنريكو ريبونى مهندس ميكانيكا إيطالى الجنسية سويسرى الإقامة، بدأ حياته مسيحيا، ثم راح يقرأ ليعمق إيمانه.. وبعد عشرين عاما من البحث والتنقيب آثر الإلحاد، مرددا عبارة لوى أوجست بلانكى، أحد فلاسفة القرن التاسع عشر، وأحد قادة الحركة العمالية من فبراير إلى مايو ١٨٤٨ فى فرنسا، والذى أدت به أفكاره الاشتراكية إلى تمضية ٣٦ عاما فى السجن معلنا: «لا إله ولا سيادة»! وتبنى مقولة توماس پين: «بلدى هو العالم بأسره، وديانتى هى أن أكون خيِّراً».

وقرر ريبونى كتابة ما توصل إليه فيما يتعلق بعقيدته المسيحية، وصفحاتها السوداء التى عادة ما يتم التعتيم عليها بشراسة، حتى تكون عبرة للمسيحيين الذين راحوا يتهمونه بل لقد هدده البعض بالقتل إن لم يعدل عن هذه الكتابات، مؤمنا بأن «القيم الأخلاقية الحقة هى تلك التى تدفع بالإنسان لمحاربة التصرفات غير العقلانية القائمة على معتقدات غير عقلانية» وأن يستخدم حياته بصورة إيجابية. وأن المسيحية الحالية، وفقا لتاريخها المكتوب فى الوثائق المتداولة، تمثل إحدى آفات الإنسانية الكبرى التى يتعيّن محاربتها بفاعلية. لأن المعركة بين العقل والمنطق السليم من جهة والمؤسسة الكنسية، رغم تسلل العديد من رجالها وأتباعها، لم تنته بعد..

وأول ما يبدأ به انتقاده للتسلط الكنسى فى الغرب ما يدور حاليا من إعادة فرض مادة الدين فى مدارس البلدان التى تعلن العلمانية، والإصرار على أن يبدأ اليوم الدراسى بصلاة قصيرة فى كل الفصول.

والغريب المضحك هنا ما نراه يُفرض علينا فى البلدان الإسلامية من الإصرار على إلغاء مادة الدين من المدارس بل وعلى تعديل النصوص وفقا لعقيدة الآخر!! أى أن نقوم بتحريف ديننا بأيدينا وأن يتم وأده إرضاء للغرب..

وما يلفت نظر الكاتب هنا هو ما يدور حاليا فى الولايات الأمريكية التى ينص دستورها على العلمانية ومع ذلك يراها تتجرف إلى أصولية دينية شديدة التعصب، وأن التيار المسمى «التحالف المسيحى» يزداد توغلا واكتساحا. وأنه فيما بين ٢٠ أو ٣٠٪ من الأمريكان يقولون إنهم «مسيحيون مولودون من جديد». وأن المسيحية الحالية تفرض أخلاقا متطرفة بفرضها أحكاما قاطعة إما «صح» أو «خطأ»، إما «معنا» أو «علينا». لذلك يطالب بمحاربة هذا التعصب وتلك الادعاءات المؤدية للسيطرة على العالم بقيم أخلاقية دينية متهالكة.

وحول «الأخلاق اللاأخلاقية» التى يتم فرضها يقول: «كلنا نعرف أن الإنجيل بعهديه ليس المنبع المناسب الذى نستقى منه الأخلاق والمبادئ الأخلاقية، فالأناجيل مليئة بالمتناقضات، وتوصى تارة بأنه يجب تبجيل الأب والأم، وتارة أخرى توصى باحتقارهم. وتنص على أن العبودية شىء لا يمكن الاعتراض عليه ، وأنه يجوز بيع البنات كعبيد، وممارسة القتل العرقى، وقتل المدنيين فى زمن الحرب، إلخ... وأنه اعتمادا على مقولة السيد المسيح «اعط لقيصر ما لقيصر» وعلى قول بطرس «إن العبد عليه الطاعة لسيده حتى وإن كان شريرا أو قاسيا» رفعت الكنيسة الخضوع والطاعة للسلطة القائمة إلى درجة الفضيلة. ويمكننا أن نتخيل كل ما جنته الكنيسة على مر العصور من مكاسب سياسية ومادية» من مجرد هذا التحريف وحده.

وحول شعوره تجاه الكنيسة الكاثوليكية، يقول إينريكو ريبونى: «إن الكنيسة الكاثوليكية مؤسسة إجرامية، عش منحرفين جنسيا ومغتصبين للراهبات. وذلك حتى يومنا هذا. وإذا ما نظرنا إلى الماضى القريب، لرأيناها تدافع عن الأسقف الذى تتهمه العدالة بغسل الأموال الحاصل عليها مقابل جريمة منظمة. وفى السبعينيات، رأيناها تتحالف مع المافيا لتصدير الأموال خارج إيطاليا. ورغم ذلك الماضى القريب. كان للكنيسة دولتها حيث كانت تحكم على اليهود بالحبس فى معزلهم، وسجن «الهراطقة» المنشقين عليها وتعذيبهم وحرقهم أحياء. وهى لم تتخل عن ذلك طواعية وإنما عندما قامت السلطة المدنية عام ١٨٧١ بحرمانها من سلطاتها»... إن شعورى تجاه تلك المؤسسة خليط من الاحتقار والرهبة، فهى مؤسسة إجرامية شديدة القوة وباستطاعتها أن تؤذى. لذلك يتعيّن علينا محاربتها، مع الاحتفاظ بمسافة من باب الحيطة».

أما عن شعوره تجاه الأيديولوچية المسيحية فيقول: «إن الأيديولوچية المسيحية قد أنتجت جرائم الكنائس المسيحية... إنها أيديولوچية لا تجلب الكراهية فحسب، لكن السخرية أيضا. فهذا الخليط من الصَّلب والعذراء التى تلد وتظل عذراء رغم تكرار إنجابها، والمفاهيم الميتافيزيقية الساذجة جد مضحكة... لذلك أتساءل كيف يمكن تصديق هذه الخرافات؟ كيف يمكن للناس الذين يذهبون إلى الكنيسة كل يوم أحد ليأكلوا قطعة من لحم إله يعبدونه ويشربون دمه؟! إن فى واقع الأمر أكثر المسيحيين جد جهلاء بدينهم، وقلة قليلة منهم يعرفون حقيقة الأيديولوچية التى ينتمون إليها. ومعظمهم مجرد ضحايا لطائفة ما. إننى لا أكن أية مشاعر سلبية تجاه المسيحيين، لكنهم أحيانا يثيرون الشفقة وعادة ما يرعبوننى بجهلهم».

ولا ينجم شعور المؤلف بالرعب خوفا ولكن مما يطلق عليه إصابتهم أو إصابة ذهنهم "بورم التضخم الدينى"، أو مرض "الجنون بالله" المنتشر فى

حوض البحر الأبيض المتوسط وفى الأمريكاتين! وهذا التدهور الذى يصيب المخ ناجم نتيجة استهلاكهم لكثير من «العجائن الدينية» التى يحشون بها أذهان أطفالهم قبل أن يصلوا إلى مرحلة التمييز والإدراك. الأمر الذى يفقدهم روح التمييز وبالتالى يصدقون كل ما يُفرض عليهم بلا مناقشة أو اعتراض. وذلك من قبيل «أن يقال للطفل إن الله واحد لكنه فى نفس الوقت ثلاثة أشخاص»، أو أن المسيحية الحالية منزّلة من عند الله بكتبها التى تتضمن «الحقيقة المنزّلة».. فى حين أن هذه الأناجيل قد سمحت لرجال الكنيسة بالسيطرة على الأتباع كسلطة أخلاقية وعلمية فى الغرب. وقد بدأ ذلك باضطهاد العلماء والفلاسفة فى مدينة الإسكندرية فى القرن الخامس واستمرت حتى القضايا التى رفعتها على كل من ميشيل سيڤيه، وجيوردانو برونو، وجاليليو. وقد امتد هذا الاضطهاد إلى العلماء الذين حاولوا الاهتمام بعلم الأخلاق. ونتيجة لهذه السيادة العقائدية تدهور حال البحث العلمى وتقهقر بصورة درامية عانى منها الغرب من العصور القديمة وطوال العصور الوسطى حتى مطلع القرن العشرين. ومن المؤكد أن هذا القهر لايزال مستمرا حتى يومنا هذا.

فلمدة قرون فى الغرب، ظلت الفرق المسيحية تبث فكرة أن عقائدها ونصوصها "المنزّلة" تمثل المنبع الوحيد لعلم الأخلاق. وأن علم الأخلاق المسيحى عبارة عن الطاعة العمياء للقوانين الواردة بالنصوص التى يقولون إنها كلمات الله. ويرى المسيحيون أن هذه هى الأخلاق الوحيدة الممكنة، وأن إلههم طيب وكل ما يقوم به عبارة عن خير حتى وإن كان من قبيل القتل العرقى أو القتل بأنواعه كما هو وارد باستفاضة فى الإنجيل بعهديه، أو كل ما تتضمنه من قتل وإبادة وحروب دينية ومختلف أنواع الوحشية والعنف. إضافة إلى كل ما تتضمنه من تناقضات أدت إلى الحروب الدينية وإلى العديد من الصراعات العقيمة. بل إن كثيرا من المبادئ التى تُعلمها الأناجيل مبادئ لا أخلاقية، من قبيل قبولها العبودية أو إباحة بيع البنات كعبيد، وممارسة القتل

والإبادة الجماعية، وقتل المدنيين أثناء الحرب، واستخدام السوط لمعاقبة العبد. كما أنها تفرض الطاعة العمياء وعدم الشك أو التفكير. وكل هذه القيم لا شك فى أنها تثير حمية أى إنسان عاقل من فظاعتها وعبثها.

وفى الجزء الذى أطلق عليه المؤلف: "مقدمة للأيديولوچية المسيحية" تناول عرض ما خرج به من أبحاثه ودراساته. وهو جزء مكون من مقدمة وستة محاور هى: النصوص المؤسّسة، الإله الذى يعبدونه، ملامح محددة للأيديولوچية المسيحية، ثمن هذه الديانة، الجوانب الجيدة للمسيحية، وضرورة التحرك.

المقدمة

تلعب الأيديولوچية المسيحية دورا أساسيا فى المجتمع الغربى لدرجة أنهم يتحدثون أحيانا عن «غرب يهودى ـ مسيحى» أو عن «حضارة يهودية ـ مسيحية». من ناحية أخرى، وبمطالبتهم بإصرار على احتكار علم الأخلاق، نجح المسيحيون فى إدخال بعض المفردات الدارجة فى حواراتهم من قبيل «المحبة أو الإحسان المسيحى» وإن كان ذلك لا يتمشى مطلقا مع تاريخهم المشين. إلا أنهم قليلا ما يتحدثون عن حقيقة أفعالهم، وإنما يتناولونها بالالتفاف. فإن أرادوا وصف فعل «سئ» قالوا «قليل المسيحية»..

ولذلك يمكن التحديد بأن قلة من الناس هى التى تعرف الأيديولوچية المسيحية، خاصة بعد أن أمضى المسيحيون قرونا طويلة فى خلط مفاهيمها، فمن ناحية ينادون بأن «الله محبة» وفى نفس الوقت يقومون بتعذيب وحرق من هم فى نظرهم «هراطقة»، أى معترضون على ما يقومون به من تحريف.. من ناحية يتحدثون عن «الرحمة» وفى نفس الوقت يشعلون نار المحارق، يتحدثون عن «الرأفة» ويستبعدون أو يحرمون من لا يرضخ لهم، يصيحون «أحبوا أعداءكم» ويبيدون خصومهم فى الحروب التى يشنونها..

١ ـ النصوص المؤسسة:

تقول المسيحية إنها «منزّلة»، أى أن نصوصها هى «كلمات الله» ويعرّفونها بأنها «الحقيقة المطلقة» التى لا حدود لها. ويتحدث المسيحيون على أن ديانتهم هى «دين كتاب» وإن كانوا يتقاسمون فى هذا المسمى «أهل الكتاب» مع كل من اليهود والمسلمين. والنصوص المؤسسة للمسيحية متضمنة فى الإنجيل بعهديه، ويطلق المسيحيون عبارة «العهد القديم» على أسفار اليهود. أما العهد الجديد فهو النصوص اليونانية التى ترجع إلى الفترة من القرن الأول إلى القرن الرابع من عصرنا هذا، والتى تتناول حياة شخص يطلق عليه المسيحيون اسم «المسيح» ويعتقدون أنه إنسان وأنه «الله» شخصياً. فوفقا للعقيدة الكاثوليكية المسيح هو ذلك النبى الذى كان اليهود ينتظرونه، أى أنه إنسان. وهو فى نفس الوقت ابن الله، أى إنسان وإله فى نفس الوقت. وهو الله شخصيا. ولا شك فى أن هذه المفاهيم أو هذا التعريف لا يستقيم مع أى منطق ولا تستقيم فيما بينها، بما أنها تنص على أن يسوع هو نفسه وابن نفسه كما أنه الله فى نفس الوقت!

والتحدث عن الأيديولوچية المسيحية يعنى أيضا التحدث عن التقسيمات أو الانقسامات الداخلية والفرعية لها. وذلك له أهميته فيما يتعلق بالنصوص المؤسسة للمسيحية، من حيث إن الإنجيل الكاثوليكى أكبر حجما من الإنجيل البروتستانتى: فهى أناجيل تتضمن نصوصا «غير مؤكدة» بخلاف النصوص الأخرى. أى أنها غير ذات أهمية من الناحية العقائدية، إلا أن الكاثوليك يستقون منها أحكاما من قبيل الصلاة على الأموات، الأمر الذى يضفى أهمية أكبر لطقس الموت لدى الكاثوليك عن الفرق الأخرى.

ثم يتناول المؤلف كل جزئية من الإنجيل بعهديه بشىء من التفصيل:

العهد القديم:

يقول إنريكو ريبونى، مثل كافة المؤرخين، إن العهد القديم عبارة عن

نصوص متفرقة مجهولة الأصل. والمعروف أن مجمل هذه النصوص باستثناء «غير المؤكدة» والتى لم تكن قد كتبت بعد، قد تم حرقها عندما قام الأشوريون بهدم دولة إسرائيل. وقد أعيدت كتابتها ثانية بعد عدة أجيال اعتمادا على التراث الشفهى، والنبى عزرا هو الذى كتبها. الأمر الذى نجم عنه خليط من النصوص المليئة بالمتناقضات. ويكفى المرء مطالعة سفر «التكوين» ليدرك مدى الخلط بين قصتين. ومع ذلك يعتبره المسيحيون «كلام الله» ويستخدمون هذا الخلط من القصص المتناقضة ليقوموا بما يطلقون عليه «علم التفسير».

وهنا يضرب المؤلف مثالا بما يقصده بذلك. إذ أن المسيحيين يعتبرون هذه النصوص «كلام الله» وهو فى الواقع يتضمن كل شىء ونقيضه. وما على من تجادله من المسيحيين إلا أن يفتح الكتاب ويلتقط بسهولة نصا أو جزءا من نص. فإن أراد أن يقنعك بأن الغنى شىء سئ، ما عليه إلا أن يقرأ لك متى ١٩ : ٢٣ ـ ٢٤ «فقال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غنىٌّ إلى ملكوت الله». وعلى العكس من ذلك إن أراد أن يثبت لك أن الغنى أو أن الأغنياء محبوبون لدى إلههم المسيحى قرأ لك لوقا ١٩ : ١٢ ـ ١٧ حيث نرى الاستثمار بعائد ١٠٠٪ أكبر ربحا من الودائع الادخارية الحالية!!

والعهد القديم يتضمن أسفارا من الشعر كالمزامير، وأسفارا من القوانين كاللاويين، وأساطير كبداية سفر التكوين، ونصوصا تاريخية كسفر الخروج أو النصف الثانى من التكوين. وهذه الأخيرة عبارة عن تتال لعمليات قتل جماعى تتم بأمر الله، تتخللها قصص لهلاك مدنيين أيام الحرب، ومؤمرات سياسية، واعتداءات جنسية، وعلاقات زنا محارم إلخ..

ويختتم الكاتب هذه الجزئية ـ متسائلا ـ كيف بعد ذلك يمكن للمسيحيين اعتبار هذا الإنجيل بعهديه منبع لعلم الأخلاق؟ إنه لأمر مفزع! ومن ناحية أخرى يشير إلى ذلك النص الجنسى الإباحى المعروف باسم «نشيد الإنشاد» ويعجب من وجوده ومن تحريم الكنيسة للجنس. ثم يعرض

لأهم كتب العهد القديم قائلا:

• **التكوين**: يتضمن خلق السماء والأرض عبر خليط من قصتين. وبه قصة نوح حيث قام الله بعملية قتل عرقى على مستوى الكرة الأرضية لأن مخلوقاته لم تتصرف بالكيفية التى أرادها. وهى أول عملية قتل جماعى من سلسلة طويلة تذخر بها الأناجيل.

• **الخروج**: به قصة موسى الشهيرة. إضافة إلى قصص أخرى منها إبادة الله لكل أطفال المصريين البكر.

• **اللاويين**: سفر ملئ بالقوانين والحكمة، نقرأ منها «إذا تشاجر رجلان وقامت زوجة أحدهما بمسك خصيتى الآخر، تقطع يدها» ويالها من قوانين مفيدة للحياة اليومية

• **أيوب**: إن هذا السفر ملئ بأبشع جوانب شخصية إله المسيحيين، ومنها كيف يلعب معهم وكيف يعاقبهم إذا لم يخلصوا له. ومن الطريف أن هذا السفر قد أوحى لكاتب بولندى اسمه كارول ڤويتيلا (ويقصد البابا يوحنا بولس الثانى قبل تنصيبه البابوية) بكتابة مسرحية أكثر تفاهة من ذلك السفر اسمها «أيوب»، وقد تنصب هذا الكاتب أعلى منصب كنسى..

العهد الجديد:

يتكون هذا العهد فى نظر إنريكو ريبونى من أربع قصص مختلفة لحياة يسوع، وأعمال الرسل، ونص شديد الغموض هو رؤيا يوحنا. والأصول المعروفة لهذه النصوص يونانية، لكننا نجد بها آثاراً واضحة لترجمات سيئة عن أصل عبرى. ويضرب الكاتب مثلا عن سوء الترجمة بجزئيه الغنى والجَمل الذى يمر من ثقب الإبرة. ويفسرها بأن كلمة «حبل» أو «دوبارة» وكلمة «جمل» تكتب بنفس الأحرف باليهودية. والمثال المطلوب ضربه هو صعوبة أن يمر حبل أو دوبارة من ثقب الإبرة. وهو ما يتمشى مع المنطق.

ثم ينتقل إلى نقطة أخرى حول تاريخ كتابة أسفار العهد الجديد، ولا يعرف أحد إن كانت أصول النصوص اليونانية أصلية أم مترجمة عن أصول أخرى. ويقول إن الكنيسة تؤكد إنها كُتبت فيما بين ٥٠ أو ٧٠ سنة بعد يسوع، أى فى الجيل الثانى أو الثالث بعد وفاة مؤسس هذه الطائفة. وقد كانت هناك أعداد كبيرة من الأناجيل، وفى القرن الرابع قام مجمع نيقية الأول باختيار أربعة منها واعتبرها «شرعية» تتفق وأنسقة الكنيسة، بناء على مؤامرات سياسية سابقة لانعقاد المجمع. ويجمع المؤرخون على أنه لم يتم «اختيار» الأناجيل فحسب، لكنه قد تم تعديلها لاستبعاد «المتناقضات الفجة الوضوح» وذلك بعد وفاة يسوع بعدة قرون! كما يرى أن الرسائل - وفقا لإجماع المؤرخين، ليست أصلية ولا يمكن لبطرس أن يكون كاتبها وأنها لشخصين مختلفين على الأقل.

وإجمالا يقول الكاتب إن العهد الجديد أقل بشاعة من العهد القديم، إلا أنه ملئ بالمتناقضات. من قبيل هل بُعث يسوع؟ نعم، ولا، وليس تماما وفقا للنص الذى نقرأه. كم أمضى من الوقت مع حوارييه بعد البعث؟ من أقل من يوم إلى ٤٠ يوما، وفقا للنص الذى نقرأه. هل يجب تبجيل ذوينا؟ يالقطع لا، إذا ما نظرنا إلى أفعال يسوع الذى يطرد أمه عندما ذهبت بحثا عنه فى المعبد، ومنع شابا من دفن أبيه قبل أن يتبع يسوع! هل سيدخل الأغنياء الجنة؟ هم وحدهم، وفقا لمثل المواهب، ولن يدخلوا إذا ما عملنا بحكاية الجمل وثقب الإبرة. أى أنه يصعب الخروج بتعاليم الأخلاق من مثل هذا النص الذى يغص بالمتناقضات.

ويرى الكاتب أن أخطر ما فى هذه المتناقضات بالعهد الجديد، حفاظه على العبودية والخضوع التام. وهو ما يوجد أيضا فى رسائل بولس. وخاصة ما به من طائفية تحث على عدم الاختلاط أو التعامل مع غير المسيحيين! والأغرب من ذلك، موقف بولس الذى يبدو أنه يجهل كل شىء عن يسوع، إذ

أنه لا يذكر شيئا فى رسائله من تعاليم يسوع أو من أفعاله.. الأمر الذى يدعم فكرة أن أسطورة يسوع قد نسجها المسيحيون بعد عام ١٠٠!!

ويعلق الكاتب على أن المسيحيين يشيرون أحيانا إلى العهد القديم، إلا أنه من الواضح أنهم لا يعرفونه جيدا. وبناء على ذلك يقول يسوع وفقا للعهد القديم[1]: «اكرهوا أعداءكم»، إلا إنه لا يوجد أى أمر من هذا القبيل فى العهد القديم! ويتحدثون أيضاً عن نبوءة تقول إن يسوع سوف يُبعث من الموت بعد ثلاثة أيام، ومن اللافت للنظر أن النص الوحيد فى العهد القديم الذى يتكلم عن عملية بعث بعد ثلاثة أيام يوجد فى الزمن الذى تم ولا يمكن اعتباره نبوءة، كما أن يسوع قد مات (والكلام للكاتب) يوم الجمعة مساءً «وبُعث» يوم الأحد صباحا، أى أنه أمضى أقل من يومين وليس ثلاثة كما يقولون. والغريب أن تصر الكنيسة على ذلك حتى يومنا هذا رغم الحساب الوارد فى كتابهم.. والغريب أنه من المفترض أن الإنجيل بعهديه ملهم من الله!!

ويؤكد ريبونى أن قيمة العهد الجديد من الناحية التاريخية لا تساوى شيئا. إذ ترد به أحداث لم تتم أبدا فى الأزمنة التى يحددونها لها من قبيل الجماهير التى كانت تهلل عند دخول يسوع إلى أورشليم، أو قتل الأطفال بناء على أوامر هيرودس، وقد كان هناك حاكم يدعى بونس بيلاطس لكنه غير ذلك الوارد اسمه والذى لا يمكن التحقق منه، أو من قبيل سجن الحوارى بطرس فى سجون هيرودس الكبير، الذى مات قبل مولد يسوع مثلا..

٢ ـ الإله الذى يعبدونه

يبدأ الكاتب بشرح معنى عملية إنقاذ الإنسان والتى تعنى، وفقا للأسطورة المسيحية، الحصول على حياة أبدية فى الجنة شريطة الإيمان بالإله المسيحى. ويقول البروتستانت يكفى أن تؤمن، بينما يضيف الكاثوليك أنه لابد من الخضوع إلى عدة طقوس إلا أن كل الفِرَقِ تنص على إنه لابد أولا من الإيمان بذلك الإله المسيحى حيث إنه لا يوجد سواه.

(١) من منطلق أن يسوع لم يلغ الشرع القديم وإنما أتى ليكمله كما يقول.

وهو، وفقا لما تقوله الأناجيل «كلام الله» بالنسبة للمسيحيين، إله ميال لارتكاب جرائم القتل. ففى سفر التكوين ٧ : ٢٣ نجد الطوفان وما نجم عنه من قتل جماعى لم يبق من مجمل الإنسانية سوى ثمانية أشخاص؛ وفى الإصحاح ١٩ : ٢٤ عملية إبادة لكل شعب صدوم وعمورة؛ وفى سفر الخروج ١٢ : ١٩ قتل كافة الأطفال، البكر فى مصر لأن فرعون أراد ذلك؛ وفى سفر العدد ١٦ : ٣١ «كل قوم قورح» قد ابتلعتهم الأرض؛ وفى التثنية ٢ : ٢١، ٢٢ أباد العناقيين، وأتلف الحوريين.

ولا يكتفى الإله بعمليات القتل التى يمارسها شخصيا، وإنما يأمر شعبه بممارسة القتل الجماعى أو العرقى، وإبادة المدنيين وقتل كل من لا يعبدونه، والسؤال الذى يخرج به الكاتب هو: هل يتعين علينا الخوف من المسيحيين؟ كيف يؤكدون أن الله خلق الإنسان على صورته، وهى الصورة التى رأيناها؟

وهنا لابد من توضيح أن الكاتب يخلط بين إله اليهود الذى هو يهوه وإله المسيحيين الذى هو يسوع كما يقولون.

٣ ـ ملامح محددة للأيديولوچية المسيحية

ومنذ البداية يوضح الكاتب أنه لن يهتم هنا إلا بالأيديولوچية الكاثوليكية لعدة أسباب، منها أن المسيحية قد انقسمت إلى العديد من الفرق، وأن كل فرقة قد صبغت المسيحية بمفاهيمها، وإذا ما اتبع تلك الانقسامات لما انتهى من حصرها.. كما أنه قد نشأ تنشئة كاثوليكية، وقد عرف مفاهيمها عن قرب وفى رأيه أن كثيرا من الكاثوليك قد ينقلبون إلى بروتستانت أو إلى ملاحدة إذا ما عرفوا حقيقة ما يؤمنون به. كما أن الكنيسة الكاثوليكية الرومية أكثر أهمية من حيث العدد بأتباعها الذين يفوقون المليار نسمة. ثم راح يسرد ما يراه من مآخذ فى مفاهيمها، ومنها:

- **التعصب**: وأول ما ينتقده الكاتب فى هذا الجزء هو كيف يمكن

للمسيحيين أن يؤمنوا بنصوص مليئة بالمتناقضات ويرون أنها «منزَّلة» أو أنها تحتوى على «كلام الله»! وأن مجرد هذا الاعتقاد يجعل من المسيحية أيديولوچية متعصبة فى جوهرها. ونتيجة لذلك يرون أن كل ما يقال أو يكتب مناقضا لمضمون أناجيلهم هو «خطأ» أساساً. بل إن الكنيسة تؤكد على ضرورة استبعاد كل ما يمكنه أن يؤدى إلى الشك فى الإيمان، وإن الشك طواعية عبارة عن خطيئة ضد الوصية الأولى!

وهذا التعصب يظهر بوضوح فى الفترة التى كانت فيها الكنيسة الكاثوليكية تمتلك سلطة زمانية هامة: إذ كل من كان يشكك فى أى ملمح من ملامح الأناجيل والعقيدة كان مصيره التعذيب والقتل. ويشير الكاتب إلى أنه أفرد الجزء الهام من كتابه لما يطلق عليه «الصفحة السوداء»، أما هنا فيكتفى بمثال چيوردانو برونو الذى عذّب ثم حرق حيا لأنه تجرأ وكتب أن الكون لا نهائى، ومثال جاليليو الذى عرضوا عليه آلات التعذيب وطلبوا منه أن يتراجع علنا عن فرضية أن الأرض تدور حول الشمس.

وهنا يكتب المؤلف ملاحظة لها مغزاها من أن الكردينال بللارمينو، الذى كان الأداة الأساسية فى قضية جاليليو والذى أعلن أن نظرية دوران الأرض حول الشمس «هرطقة جوهرية» لأنها «تتعارض مع النصوص المقدسة» قد تم ترسيمه قديساً، ثم فى عام ١٩٣١ قد تم رفعه إلى درجة أحد «كبار علماء الكنيسة»!

● **التجريم**: للمسيحية رؤية غير إيجابية فيما يتعلق بالإنسان، فهو فى نظرها مخطئ بصورة مستمرة ومتكررة والإيمان بالمسيحية وحدها بلا قيد أو شرط هو الذى سينقذه! ولقد ابتدعت الكنيسة أسطورة مركَّبة حول فكرة أن «يسوع قد مات من أجل أخطائنا» وبالتالى فعلينا أن نعترف بالجميل لله بأنه قتل ابنه ليشترى أخطاءنا. فكيف يمكن لله أن يقرر قتل ابنه على الصليب لكى يتمكن هو من أن يغفر خطايا مخلوقاته الذين خلقهم خطائين وفقا لمعاييره؟!

ولفرض مزيد من المصداقية على فكرة التجريم هذه، قامت الكنيسة بتحديد ما هو خيِّر وما هو شر؛ ما هو حلال وما هو حرام. وتمتد القائمة خاصة فيما يتعلق بالشر لترسيخ فكرة أن الإنسان ليس إلا مخطئا وغير جدير بالإنقاذ إلا لو قام بالاعتراف.. والاعتراف لابد وأن يكون قبل المناولة، وإلا لاقترف الأتباع جرما آخر بتغيير الترتيب!

وينتقد ريبونى بند التجريم هذا على أنه يقوم بتسطيح الأذى بمعنى مساواة فعل سجن معارض سياسى عن غير وجه حق، على أنه كبيرة من الكبائر، بمجرد تغيير ترتيب الاعتراف وأخذ المناولة. الأمر الذى يفقد الإنسان القدرة على التمييز السوى وعلى خلط المفاهيم.

● **ديانة الصراع بلا هوادة ضد العلم**

يبدأ أنريكو ريبونى هذه النقطة من بحثه قائلا: «اليوم، لقد اعترفت الكنيسة الكاثوليكية بهزيمتها أمام مركزية الشمس والتطور، إلا أن ذلك لن يمحو أبدا حقيقة أنها حاربت بشدة نظرية دوران الأرض حول الشمس، ولاتزال تحارب اليوم النظريات والإنحازات العلمية التى لا تروق لها. ولن ينسى أحد بأية ضراوة وبأى تعنت حاربت الكنيسة هذه النظرية، فقد قامت اللجنة الخاصة بالحكر على الفكر بمنع ظهور أية أعمال تتناول حركة الأرض ودورانها حتى عام ١٧٥٧، وظلت أعمال جاليليو وكوبرنيكس فى قائمة الممنوعات (الإندكس) حتى عام ١٨٣٥»!

«واليوم، يحلو للكاثوليك أن يؤكدوا "أن الأمور قد تغيرت".. نعم، لقد تغيرت بكل تأكيد، وذلك فى نطاق أن الفرق المسيحية قد اعترفت بهزيمتها لا حيال نظرية دوران الأرض وحدها والتطور، ولكن هزيمتها فى ميادين جديدة. ويكفى أن نفتح شبكة الكنيسة الكاثوليكية فى سويسرا أو أن نقوم بجولة فى موقع الفاتيكان لنرى من خلال البيانات الصحفية التى يصدرونها كيف أنهم لا يزالون يحاربون مجالات من قبيل زرع الأعضاء، أو الفحوص

السابقة للزرع أو تلك التى تسمح للمصابين بأمراض وراثية خطيرة أن يحصلوا على أطفال أصحاء...

«واختصارا، أن الكنيسة الكاثوليكية تستغل مكانتها فى المجتمع لتمنع وتعوق التقدم فى قطاع كبير من العلاج الجينى والطب الإنتاجى. حقا، لقد خسرت الكنيسة معركة مركزية الشمس ومعركة التطور، لكنها لا تزال مستمرة فى المحاربة فى العديد من المجالات الجديدة».

● جرائم بلا ضحايا

وتحت بند جرائم بلا ضحايا يتناول الكاتب فكرة أن المسيحيين قد أدخلوا فى الحضارة الغربية مفهوما كان غائبا عن الحضارة اليونانية الرومانية، ألا وهو فكرة الجريمة بلا ضحايا. فلقد كان مبدأ القانون الرومانى «لا جريمة بلا قانون» يوازيه أنه أثناء الإجراء القانونى كان يتم التأكد من أنه لا يمكن وصف الحدث بجريمة ما لم يكن يؤذى شخصا ما. بمعنى أن عبارة جريمة كانت تتضمن فكرة الضحية. إلا أن المسيحيين على حد قول ريبونى، قد أدخلوا مبدأ «الجريمة بلا ضحية»، لأن الذى لا يؤمن بما تفرضه الكنيسة يعاقب باللعنة الأبدية ويعاقب بأشد أنواع العقاب. وهنا يوضح انعكاس ذلك الموقف على الحياة العامة بأن الإنسان ممكن أن يأتى بفعل لا يضر أحداً ومع ذلك يعاقب بالقانون الجنائى، وأن هذه الفكرة قد انغرست بشدة فى الثقافة الغربية؛ حتى إن قانون العقوبات يزخر ببنود عقابية لجرائم بلا ضحايا - وإن كان الكاتب هنا يسرد نماذج لها بكل تأكيد جوانبها السيئة أو الانفلاتية على المجتمع، وذلك من قبيل اعتراضه على تحريم تعاطى المخدرات أو احتساء الأبسنت وهو شراب مسكر يستخرج من نبات الأفسنتين.

● عبادة المعجزات

يبدأ الباحث بالتساؤل حول ما الذى يثبت أن يسوع هو «الإنسان الإله» الذى يفرضونه؟ وفقا للأناجيل «كلام الله»، بالنسبة للمسيحيين، إن هذه

معجزة، فوفقا للأيديولوچية المسيحية، أن الخالق قد أرسل نفسه وتجسد كإنسان إله وسط مخلوقاته، ولكى يقنعهم قام بعمل بعض المخالفات لقوانين الطبيعة التى خلقها هو. ويرى ريبونى أنه لا ضرر فى ذلك لو أن الأمر توقف عند ذلك الحد. إلا أن الكنيسة لا تزال تستغل ذلك فى عمل المزيد من «المعجزات» لتتكسب من ورائها. ويضرب مثالا على على ذلك باختلاق ظهور السيدة مريم العذراء، أو بما يتم فى كاتدرائية قديس پادو. حيث يقوم المسؤولون بعرض «أعضاء القديس أنطونيو» فى علبة من الذهب والكريستال. وهذه الأعضاء هى لسان ولوزتا القديس بكامل نضارتها! وما ينتقده هو عمليات التحايل التى تتم لابتزاز أموال الزائرين. فالزائر ينزل سلالم طويلة ليجد أمامه فجأة قسيسا فى ثياب فخمة يرش عليه بعض الماء المبارك وبجواره يقف مساعده ممسكا بعصاة وفى طرفها كيس، وتظل العصاة ممدودة تمنع الزائرين من مواصلة السير ما لم يضع بعض النقود فى ذلك الكيس. ثم يواصل سيره ليجد أمامه مكانا لابتياع الشموع، وموقعا صغيرا به بقايا الشموع السابقة. وبعد ابتياع الشمعة يتقدم أحد القائمين على هذه العملية موضحا أنه لا توجد أماكن لوضعها وأنه سوف يقوم بإشعالها فيما بعد، ثم يأخذها ويعيدها إلى الكشك لتباع ثانية بنفس المبالغ الباهظة!

وما ينتقده هنا الكاتب هو خداع الكنيسة للأتباع بهدف اقتصادى بحت، وضياع وقت ونقود الأتباع، من جهة، ومن جهة أخرى أن هذه الاحتيالات لاتزال مستمرة ونحن على مشارف عام ٢٠٠٠ (وهو تاريخ ذلك البحث).

● **عبادة الموت**

بعد تناول ممارسة الكنيسة لطقس حرق الأشخاص أحياء لمدة قرون، ساخرا من تلك «القرابين البشرية» التى قامت بها محاكم التفتيش، انتقل الباحث إلى عملية عبادة أجزاء أو بقايا الموتى والقديسين، مشيرا إلى ذلك القداس المقام فى مدينة فريبور بسويسرا «بحضور القديسة تريزا».

والمقصود بحضورها صندوق به بعض رفاتها.. وما ينتقضه هنا هو التحايل الذى يتم ومضاعفة هذه الرفات بحيث إنه يوجد فى إيطاليا سبعة «مسامير حقيقية» من صلب السيد المسيح، والمعروف أن عملية الصلب لا نرى بها سوى ثلاثة مسامير، وفقا لكل اللوحات والتماثيل.. وأن مدينة روما بها جمجمتان لبطرس الرسول، وكذلك خمسة قطع من عظمة الساق الكبرى!!

● **الصليب**

يعجب إنريكو ريبونى من شغف المسيحيين بالصليب الذى يضعونه فى كل مكان، فى الكنائس وخارجها وعلى المبانى والجدران والأبنية العامة والمدارس.. وأكثر ما يعجب منه أن يتحول إلى حلية يضعونها حول عنقهم. وما يعجب منه أن الصليب كان أداة تعذيب أيام الرومان، يخصون به عقوبة الجرائم الكبرى. وارتداء هذا الرمز حول الأعناق أشبه ما يكون بارتداء آلة المقصلة أو أداة من أدوات التعذيب أو بندقية. وينتقد من يقولون إن ذلك «رمز لمن مات من أجلنا»!! ثم يوضح «أن المسيحيين وحدهم هم الذين يتحلون أو يتزينون حول عنقهم بأداة التعذيب التى أتت على زعيمهم»! ويسخر الكاتب وهو يتصور الرئيس الفرنسى وقد وضع حلية من الذهب تمثل المقصلة كذكرى للثورة الفرنسية التى التهمت الآلاف من أبنائها..

● **احتكار الأخلاق**

ينتقد الكاتب زعم المسيحيين بادعائهم امتلاك القيم والأخلاق ونجاحهم فى فرض ما مضمونه أن «المسيحى» طيب، على خلق، وكريم! «وهذا الادعاء قائم على مفاهيم جد زائفة إذ أنهم مقتنعون بأن العالم أفضل بسبب وجود المسيحية، لأن تعاليم المسيحية تنص على حب الآخر، وحب القريب إلخ، وبذلك يكون المسيحى أفضل من غير المسيحى! لكن إذا ما قورنت الأفعال فى الواقع وعلى مر التاريخ لرأينا الجانب الحقيقى».

● الإيمان ضد العقل

وأهم ما ينتقده فى هذه الجزئية تركيبة العقيدة المسيحية ذاتها من حيث إنه يصعب تبريرها بالمنطق. بمعنى أن «كل مسيحى مفترض فيه أن يؤمن بإله فى غاية الطيبة لكنه قد خلق الشر أيضا، ويتدخل فى خلقه لكنه لا يمنح الإنسان إلا رسالة شديدة الخلط والتناقض عبر الأناجيل، وأنه قد أرسل ابنه الوحيد ـ الذى هو فى نفس الوقت هو نفسه شخصيا، أى الإله الأساسى، وأنه قد أرسله ليُصلب، وأنه قد تجسد فيه وأن هذا المتجسد قد بعث بعد الصلب وصعد إلى السماء وجالس على يمين الرب (كما يقولون)، أى أنه جالس على يمين نفسه.. إلخ.. وحينما يعلم المرء أن مصداقية هذه الشخصية مصار جدل واسع، من الصعب عليه أن يفهم كيف يمكن للمسيحيين أن «يؤمنوا» بمثل هذه العبثيات». ثم يحاول الكاتب أن يبرر ذلك بأن الكنيسة قد رفعت فكرة تصديق ما بنته إيمانا إلى درجة الفضيلة. وأن عملية إعطاء الأولوية للتصديق أو للإيمان على حساب العقل والمنطق تمس تكوين الأشخاص من حيث استبعاد الفكر والتفكير والبحث والتساؤل.

● شخصية يسوع

يبدأ ريبونى بالتأكيد على أن تاريخية شخصية يسوع مشكوك فيها، على الرغم من أن الأناجيل تتحدث عن معجزات لا سند لها ولم تشر إليها أية كتابات من وقتها حتى يومنا هذا لتؤكد حقيقة هذه الشخصية. ولابد إذن من الرجوع إلى الأناجيل لاكتشاف بعض ملامح شخصية ذلك الإله المتجسد. وهنا يضرب مثلا بقصة شجرة التين التى رآها يسوع ليأكل منها، ربما أنه لم يكن موسم التين فلم يكن بها أية ثمار فلعنها يسوع وجفّت الشجرة. ويخرج من هذه القصة بتساؤل: «إن يسوع الناصرى، الذى كان يعيش فى منطقة البحر الأبيض المتوسط، يجهل الموسم الذى توجد فيه ثمار التين؛ وأنه شخصية فجة يلعن شجرة بسبب جهله بمواسم طرحها الثمار؛ وأنه غير كريم

التصرف بما إنه راح يعرض عمله هذا على حوارييه»! هكذا يقول المؤلف.

ويضرب الباحث العديد من الأمثلة التى بالأناجيل وتعكس صورة كاذبة فى أكثر من موضع فيسوع الذى يعلّم أتباعه أن الكذب خطيئة (متى ١٥ : ١٩ ومرقس ٧ : ٢٢)، يكذب عدة مرات وفقا لما تقوله الأناجيل. فقد كذب على الحاكم الذى كان يستجوبه وأكد أنه كان يتحدث أمام الجميع، علنا، وأنه قد بشر دائما فى المعابد حيث يوجد اليهود، ولم يقل شيئا فى السر. فى حين أنه تحدث فى الجبل (متى ٥ : ١ ـ ٢)، وفى قارب (١٣: ١ ـ ٣٥) وتحدث بالحِكَم والأمثال، أى بالغموض، وكان يتحدث سرّاً إلى الحواريين (متى ١٣ : ٣٦ ـ ٥٢ ولوقا ١٨ : ٣٤). ثم ينتهى بما يطلق عليه بأطرف كذبة حينما كان المسيح مصلوبا وقال للسارق المصلوب بجواره «الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس» (لوقا ٢٣ : ٤٣). ووفقا لأعمال الرسل (٢:٣١) ووفقا للعقيدة المسيحية فإن يسوع كان فى الجحيم بين وفاته وبعثه!!

إلا أن الذى يثير حافظة ذلك الباحث هو الحقائق التى تدل دلالة قاطعة على الخلط فى الأناجيل من قبيل تلك الفقرة التى يسأل أحدهم يسوع عن الوصايا فقال له يسوع: «لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد زورا. أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك» (متى ١٩ : ١٨ ـ ١٩). إذ أن «أحب قريبك كنفسك» لا توجد ـ على حد قول ريبونى ـ فى أى نسخة من العهد القديم. الأمر الذى يدل على أن يسوع لم يكن يعلم جيدا ما يقوم بتعليمه للناس.

● **العقائد**

«لقد بنت الكنيسة الكاثوليكية، على مر التاريخ، مجموعة من العقائد التى تمثل مبادئ الإيمان الكاثوليكى والتى لا يمكن مناقشتها، وعلماء اللاهوت الذين يشكّون فيها يتم طردهم أو إيقافهم عن العمل». بهذه الجملة المقتضبة الصريحة يبدأ الباحث هذه النقطة، مستشهدا بحالة هانس كونج، عالم اللاهوت الشهير وأستاذ اللاهوت بجامعة توبنجن الكاثوليكية الذى

شكك فى عقيدة «معصومية البابا من الخطأ» فأوقف عن العمل نهائيا.

ثم تعرض لعقيدة الحمل العذرى وكيف أن علماء اللاهوت الكاثوليكى حاولوا إضفاء نوع من المصداقية فيما يتعلق بأم الإله ـ الإنسان، قائلين إنها معصومة من الخطيئة الأولى. وإن كان يذكّر هنا بإحدى النقاط الأساسية للعقيدة المسيحية، وهى أن كل إنسان يولد من الخطيئة، وأن الشىء الوحيد الذى ينقذه هو الطاعة العمياء لتعاليم الكنيسة. وبما أنه لا يمكن قبول أن يكون الإله ـ الإنسان قد ولدته خاطئة، فقد قرروا عقيدة الحمل العذرى لاستثنائها من الخطيئة الأولى.

ثم يطرح تساؤلا حول إذا ما كانت المسيحية حقا من الرسالات التوحيدية؟! الأمر الذى يرفضه من أساسه إذ يقول: كيف يمكن أن يكون «الله» ومكوَّن من ثلاثة أشخاص آب، ابن، وروح قدس غير معرّف الكينونة تماما، وفيما بين الله والإنسان سلسلة من القديسين الذين يمكنهم الشفاعة وعمل المعجزات، ومريم، ثم الإنسان.

ـ الإله فى شكله الآدمى.. ألا يضع كل ذلك المسيحية فى منتصف الطريق بين رسالة التوحيد اليهودية وتعدد الآلهة السائدة فى اليونان القديمة؟!

● **عقيدة الافخارستيا**

تمثل نقطة عقيدة الافخارستيا أو «أكلة لحوم الآلهة» كما يطلق عليها اتهاما آخر للمسيحية فى نظره فالكاثوليكى الذى يأخذ المناولة مفترض فيه أنه يأكل فعلا لحم «الإنسان الحقيقى والإله الحقيقى» ويشرب دمه، وإلا فسد إيمانه. ويقول ريبونى «إن هذه الجزئية تحديدا تجعل من الكاثوليكية الديانة الوحيدة التى تفرض على أتباعها أن يصبحوا أكلة لحم إلههم! إن أى إنسان يمتلك شيئا من حرية الفكر والمنطق لا بد وأن يصاب بالهلع من مثل هذه العقيدة آكلة لحم الإله. فهى عقيدة تسب المنطق والذوق فى آن واحد. وكثيرا من الكاثوليك الممارسين لدينهم يرفضون بشدة واقع هذه العقيدة».

● معصومية البابا من الخطأ

لقد دخلت أو أضيفت هذه العقيدة مؤخرا فى التاريخ المضطرب للكاثوليكية. فالبابا بيوس التاسع، العدو اللدود للديمقراطية و«الحداثة» قد قرر التصدى للعلم خارج وداخل الكنيسة، بل لقد تميّز على رفاقه باعتبار أن الإضاءة بمصابيح الغاز من اختراع الشيطان! وفى مجمع الفاتيكان الأول ١٨٦٩ فرض معصومية البابا من الخطأ لأن البابا يوحى إليه مباشرة من الروح القدس عند الحاجة. ويقول ريبونى: إنه من الطريف أن يتم فرض هذه العقيدة بأثر رجعى، بمعنى أن كافة الباباوات أصبحوا معصومين من الخطأ.

● العصر الجديد لسنة (١)

أثار الكاتب هنا نقطة لها أهميتها من حيث إنها تتعلق بالربط بين الماضى والحاضر، عبر مسمى لم يدرك الكثير من الناس مغزاه أو مغزى فلسفته، وهو مسألة «العصر الجديد». ويبدأ بتعليق أن المسيحيين عادة ما يهبون فى ثورة عارمة شفاهة ضد معتقدات «العصر الجديد» السائدة حاليا فى أمريكا وفى بلدان أخرى. ويوضح أن الجمل الشائعة فى انتقاد ذلك التيار الجديد أنه أشبه ما يكون بنظام «اخدم نفسك بنفسك» أو نوع من «السلّف سرفيس» وأن الفرد يختار ما يروقه من أية ديانة.

ويوضح الكاتب أن ما يفوت هؤلاء المنتقدين هو أن المسيحية فى بدايتها كانت وفعلت ما يقوم به أتباع «العصر الجديد» حاليا. أى أن المسيحية قد اغترفت من العديد من الديانات والعقائد السائدة آنذاك لتؤلف ديانة جديدة.. غير أن الحضارة الرومانية كانت أقل فردية من المجتمع التحررى الغربى الحالى، الأمر الذى جعل أن اختيار عناصر من الديانات الأخرى لم يتم على مستوى الفرد ولكن على مستوى طائفة المسيحيين فى مجملها.

فلو سألنا أى مسيحى عن أصول ديانته لسرد لك على الفور عدة

مميزات تجعلها ديانة متفردة، منها: تجسد الله، رسالة المحبة، التوحيد، الحياة بعد الموت، البعث إلخ.. إلا أن شيئا من البحث الخاطف يسمح باكتشاف سريع هو: أن ذلك التفرد المزعوم لا وجود له. فالمسيحية ليست سوى مجموعة مركبة من العناصر المأخوذة عن ديانات سابقة لها. واختيار العناصر الذى قام به رجال اللاهوت قد أدى إلى كم ضخم لبناء أيديولوچيات الديانة الجديدة. وفيما يتعلق بالأشكال والطقوس تم نقل الديانة التوحيدية الأكثر انتشارا آنذاك، وأضيف إليها «اللوغوس» أو «الكلمة» وبعض المفاهيم الخاصة بالفكر اليونانى الكلاسيكى. ويوضح الكاتب كيف يمكن التعرف بسهولة على الأصول التى اغترف منها المسيحيون الأوائل:

- **خلود الروح؟** سقراط وأفلاطون كانا يؤمنان بها وكانت عقيدة راسخة فى مصر الفرعونية.

- **النصوص المقدسة؟** استولوا على التراث اليهودى وإن كان ذلك يؤدى إلى مشاكل لم تجد لها المسيحية حلا لليوم، من قبيل القوانين المتعلقة بحياة القبائل الرحالة والتى لا تنطبق على الحضر مثل سكان الإسكندرية أو روما آنذاك. كما كتبوها بلغة لا يتحدثها أهل فلسطين، الأمر الذى سمح لهم بهامش واسع من التلاعب.

- **بعث الإله؟** أوزيريس الإله المصرى القديم ذو الوجه الإنسانى الذى قتله أخوه وبُعث. كما كان المصريون القدماء يؤمنون بالجنة التى كانت قاصرة على فرعون، ثم تم تعميمها للجميع. إلا أن أوزيريس ليس الإله الوحيد الذى قُتل وبُعث، فهناك الأسطورة الاسكندينافية حيث نرى بالدر، ابن الإله أودين، يُبعث لتأكيد سعادة البشر. وحول العام الأول للميلاد كانت عبادة الإله السورى أدونيس منتشرة فى الإمبراطورية: أدونيس رب الحياة وإله الإنبات الذى كانت النسوة يبكين موته كل ربيع وينشدن من أجل بعثه، وهى وقائع قد وصلت روما عن طريق العبيد السوريين. وكان تاريخ وفاته وبعثه قريبا من

تاريخ عيد الفصح عند اليهود. وقد استولت المسيحية على هذا الطقس لتجعل منه عيدا أكثر عالمية من عيد اليهود.

- **الصعود إلى السماء؟** إن أسطورة الإله ميترا، الإله الوحيد لعبادة شرقية شديدة الانتشار بين الجنود الرومان، قد صعد إلى السماء بعد تضحية الثور. ومن غريب الصدف أن ذلك الإله كان قد وُلد يوم ٢٥ ديسمبر، فى كهف، وأحاط به طفلا لتدفئته حمير وبقرة.

- **محبة القريب؟** حتى وإن كانت مقولة يتغنى بها المسيحيون بشدة ولم يمارسوها إلا قليلا، فهذه واحدة من تعاليم بوذا الذى كان يعلمها لأتباعه.

- **الصلب؟** إن يسوع هو الإله رقم ١٦ فى التاريخ القديم الذى يتم صلبه وأشهر من صُلب قبله الإله كريشنا.

- **سير يسوع فوق الماء؟** زرادشت، النبى الفارسى الموحد قد سار قبله بستمائة وخمسين عاما. وقد نهل المسيحيون من الزرادشتية الكثير من الأخرويات، كأن يحاسب المتوفى فرديا ويذهب إلى الجحيم أو إلى البعث يوم ينتصر الخير على الشر. وكانت الزرادشتية منتشرة فى حوض البحر الأبيض، ويجب ألا ننسى أن اليونانية كانت منتشرة هناك منذ مرور الإسكندر الأكبر. ونفس الفكرة كانت من دعائم الديانة المصرية القديمة.

ثم يوضح الكاتب كيف أن عبادة مثرا، إله النور وحامى الحقيقة، كانت الديانة التوحيدية السائدة فى الإمبراطورية، وأن مؤسسى المسيحية قد نقلوا وقلدوا العناصر الأساسية لها، تماما مثلما فعل ميكروسوفت بتقليد أو إس آبل بتطوير برنامج ويندو! والطريف أن عبادة ميثرا كانت تعرف التعميد وطقوسها أو أسرارها سبعة كالمسيحية. وكان كهنة ميثرا يرتدون قبعات غريبة لا يزال أساقفة الكنيسة يرتدونها حتى اليوم. وكانت طقوسهم تتضمن طقسا مصحوبا بإناء أشبه ما يكون بإناء الإفخارستيا إلى درجة الخلط بينهما. وكانت كنائسهم نموذجا للكنائس المسيحية. ولم يتركوا حتى طقس

الصيام والعقوبة والتكفير عن الذنب. وهنا يتساءل الكاتب عن وجه حق: فما الذى بقى للمسيحية أن تأتى به جديداً؟ لا شىء، اللهم بدعة أكل لحم الإله وشرب دمه، إضافة إلى العنف الرهيب لتكون الديانة الوحيدة. والباقى كله كما رأينا مأخوذ من أساطير وعبادات سابقة لها.

● أساطير وحقائق: الخلط الرهيب

أول ما يبدأ به هنا الكاتب هو اندهاشه من أن المسيحيين يؤمنون فعلا بالحقيقة البحتة لأساطيرهم، ثم يقومون بفرضها وبتعقب من لا يؤمن بها أو من يتجرأ على عبادة إله آخر. ولا يقف الخلط عند هذا الحد، بل يوضح كيف نشأت المسيحية داخل إطار الإمبراطورية الرومانية. وكانت روما تعرف آنذاك العديد من الآلهة، لكن الرومان، على الأقل فى الطبقات المثقفة من سكان المدن، كانوا يعرفون تماما أن هذه الآلهة تمثل صورا مجازية لقوى الطبيعة، وأن الأساطير لا طابع حقيقى لها. موضحا أنه ما من إله منها حاول فرض الوصايا أو شرع فى مسائل أخلاقية أو جنسية، فارضا بذلك قانونا إلهيا فوق قانون المدينة. أما المسيحية فهى تفرض على أتباعها إيمانا قاطعا مطلقا بكل أساطيرها حتى وإن كانت عبثية الشكل، من قبيل عذرية السيدة مريم الدائمة حتى بعد أن أنجبت إخوة يسوع. وهنا لابد من تحديد علمى دقيق لغلق باب الجدل فى مسألة هذه الأخوة الثابتة فى الأناجيل والتى يحاول رجال الاكليروس حاليا التعتيم عليها، إن النص اليونانى يستخدم كلمة «أدلفوس» أى شقيق، وليس «أَنِبْسُوى» أى ابن عم كما يزعمون!

ويؤكد الكاتب، بناء عن تجربة معاشة، أن هذا الفرض للإيمان بأساطير غير منطقية ينجم عنه خلط شديد فى ذهن أتباع المسيحية. إذ أن العالم المادى يعتبر لديهم أقل حقيقة من الأساطير الدينية. ثم يضرب مثالا بقضية «كفن مدينة توران». فالكنيسة الكاثوليكية تفرض على الأتباع ذلك الكفن على افتراض أنه كان الكفن الحقيقى للسيد المسيح. وبعد معارك جدالية طويلة وافقت الكنيسة على إخضاعه لتحليل الكربون ١٤، ومنذ ذلك

الوقت أصبح معروفا يقينا أنه مزيَّف. ومع ذلك، ورغم اعتراف الكنيسة بأنه غير حقيقى، تواصل فرضه على الأتباع على أنه «جدير بالعبادة». كما تقوم الكنيسة بالاعتراف بوجود جمجمتين للقديس بطرس فى مدينة روما نفسها. ويعجب ريبونى من ذلك الخلط بين الأساطير والواقع الذى تواصل الكنيسة فرضه على الأتباع، الذين عليهم الإيمان بمصداقية أشياء لا يقرها الواقع ولا المنطق.

٤ ـ ثمن هذه الديانة

قد يبدو غريبا مطالعة مثل ذلك العنوان، إلا أن الباحث يوضح قائلا: «لكى نحكم على أيديولوچية ما علينا أن نحكم على نتائجها. والتاريخ يؤكد لنا أن المسيحية قد تسببت فى حروب كبيرة أساسية، وأنها أحرقت مليون ضحية على المحارق بسبب محاكم التفتيش، وإنها تسببت فى تأخر التقدم العلمى والتقنى.» ثم يتساءل، ترى ما كانت ستكون عليه أوروبا اليوم لو لم تجترفها حرب «الثلاثون عاما»؟ ترى ما كان سيكون عليه الطب من تقدم لو لم يقم كالڤن بحرق أكبر أطباء عصره؟ ما كان سيكون عليه علم الفلك وتقدم علوم الفضاء لو ترك كل من چيوردانو برونو وجاليليو يعملان بحرية؟ إن النتائج المباشرة لهذه المساوئ التى تسببت فيها المسيحية يصعب حصرها، لكن ما يمكن الجزم به هو أنها تسببت فى تأخير العديد من المجالات.

أما عن الإنفاق، فيتساءل الباحث كم من مستشفى يمكن تشييدها بالمواد المستخدمة لبناء كاتدرائية القديس بطرس، وكم من إنسان تقوقعوا فى عزلتهم كان يمكن للإنسانية أن تستفيد من مجهودهم فى تقدمها؟!

ثم يضرب أمثالا بتصرفات المسيحية فى بلدان أخرى حيث تكاليفها أكثر ضخامة كما فى الولايات المتحدة. ويشير ريبونى أن التحالف المسيحى هناك كان قد اتفق مع الرئيس بوش قبل انتخابه أن يقوم بتعيين قضاة المحكمة العليا بأسرهم من المسيحيين المحافظين، لكى تتمكن المحكمة من منع

الإجهاض وتأكيد استمرارية عقوبة الإعدام، وإدخال الصلاة المسيحية إجباريا فى المدارس، ونشر الوصايا العشر فى المحاكم والأماكن العامة إلخ. أما فى أفريقيا، وهنا يكشف الباحث عن موقف غير أمين ولا إنسانى للكنيسة الكاثوليكية التى تصدت منذ بداية ظهور مرض الإيدز لتمنع استخدام العازل الواقى الذى أصرت منظمة الصحة العالمية على استخدامه كوسيلة أساسية للقضاء على هذا الوباء. بل لقد قامت الكنيسة فى كينيا بحرق العوازل الطبية. ففى كم مليون من البشر ستتسبب الكنيسة فى قتلهم بالإيدز فى أفريقيا؟! ويؤكد الباحث «أن الرقم سيكون بالملايين».

٥ ـ الجوانب الخيّرة للمسيحية

وبعد سرد ما تقدم من تلك الحقائق المريرة يبدو هذا العنوان غريبا فى هذا المكان، إلا أنه يقول أن المسيحية قد تركت العديد من الكنائس الرائعة.. وإن كان ذلك لا ينفى أنها قد هدمت العديد من المعابد الرومانية وأتلفت مبنى البانتتون فى روما بتحويله إلى كنيسة، لكنها أسهمت فى طفرة من النجاحات المعمارية خاصة المبانى القوطية. لكن آثار الهدد لا تزال مستمرة ـ ولا نقول شيئا عما يدور منذ سنوات لتحويل المسجد الكبير فى قرطبة إلى كنيسة.. ولم يغفل بعض الإنجازات فى مجال الموسيقى الكنسية أو الدينية..

٦ ـ ضرورة التحرك

يختتم إنريكو ريبونى هذه المقدمة الطويلة من البحث بجملة واحدة، هى: «أن المسيحية مؤذية محبة للإيذاء، فقد قتلت، واستولت على أموال، وأخرت التقدم العلمى والاجتماعى. فمن الحق شرعا أن نحاربها بهمَّة»..

وفيما يلى وجهة نظر أخرى حول الإلحاد والأساليب المؤدية إليه.. ففى بحث بعنوان: «**سنة ٢٠٠٠ وما بعدها: حرب صليبية لفرض عدم التسامح الدينى**»

ينتقد الباحث الكندى كلود ماك دوف، تلك الحرب الصليبية الدائرة خاصة قبل عام ٢٠٠٠ لتنصير العالم، بصورة لا مثيل لها. إذ أنها تتزايد وتتوسع بنشاطات أتباعها الذين يتم توظيفهم لفرض سيطرة درامية على المحيطين بهم. إن تزايد تلك التجمعات الكاثوليكية والمسيحية بمبادئها المتسلطة تعد - فى نظره - سبب ذلك الهوس الدينى الذى بدأ يستحوذ على الناس منذ بضعة سنوات، وخاصة فى الولايات المتحدة.

وتدور هذه الحرب الصليبية بإيقاع محموم بزعم نبؤات الألفية الثالثة ونهاية العالم المرتقبة وكل ما يواكبها من طنطنة إعلامية وحملة دعاية مميزة بالولايات المتحدة. كما تتم بفضل الإمكانيات المالية الطائلة التى تمتلكها الكنائس وخاصة أولئك الدعاة المتخصصون فى التبشير التليفزيونى والتلاعب بمشاعر المشاهدين. ويقول ماك دوف: «إن أولئك المبشرين قد وصلوا من قوة النفوذ لدرجة أنهم استطاعوا الإمساك بمقاليد الحكم فى بعض الولايات الغربية، فى كافة مستويات اتخاذ القرار، وفى العديد من المجالات الاجتماعية بمساعدة تلك الموجة المسيحية العارمة التى تجتاح الولايات المتحدة حاليا».

ويوضح كلود ماك دوف كيف أصبح تعليم الإنجيل بالصورة التقليدية إجباريا فى العديد من المدارس والمعاهد، على حساب أى مادة منطقية وعقلانية تقوم بتفسير الأسرار الكهنوتية الغامضة بصورة واضحة. فلقد تم تحريم علم الانثروبولوجيا، وتاريخ الإنسانية، وعلم الفلك، والبيولوچيا، ومختلف النظريات المتعلقة بتطور الإنسان فى تلك المؤسسات الأكاديمية. ثم يضيف قائلا:

«ومن أهم التعاليم الإنجيلية التى يعتبرونها حقيقة مطلقة وغير قابلة للنقاش، أن سنة ٢٠٠٠ توازى نهاية العالم المعاصر بمناسبة مجئ السيد المسيح الذى سيقضى نهائيا على المسيح الدجال المثل فى عالمنا الفاسد، وسوف يقيم حكم الله على الأرض وسيكافئ أتباعه المؤمنين بأن يقيم لهم

الجنة على الأرض»! ولقد مر عام ألفين بسلام ولم ينته العالم، ولم يأت السيد المسيح، ولم نر سوى قحة أولئك الأدعياء الذين يحاولون قيادة العالم إلى الهاوية..

ثم يقارن ذلك الهلع أو الهوس الدينى التبشيرى الحاصل منذ قبل عام ٢٠٠٠ مشيرا إلى نفس ذلك الهوس الذى وقع عند مشارف عام ١٠٠٠، والذى كان قد سمح لكل مدعى النبوة أو تلقى رسالة إلهية بالتبشير أن يتلاعب بعقول الناس. أما عند مطلع الألفية الثالثة، فيقول ماك دوف: إن أولئك الدعاة لم يتركوا وسيلة من الوسائل إلا واستخدموها من أجل الوصول إلى أهدافهم، سواء أكان ذلك عن طريق التمويل، والدعاية، والتجنيد أو الإغراء، وغسيل المخ، واستخدام الظواهر الغيبية كإظهار السيد المسيح، وادعاء الشفاء من أمراض معضلة، وادعاء تدخل الله فى مجرى الأحداث السياسية الدائرة وتوجيهها، أو ادعاء الحوار معه، واختلاق ظهور السيدة مريم الذى أصبح من الأمور الشائعة فى مختلف الأماكن، لا فى أمريكا وحدها ولكن فى العديد من بلدان العالم وكنائسها. ثم يعلق ساخرا: «إن السيدة مريم العذراء لا تكف عن الظهور لكل غاد ووارد، وقد تضاعفت الظواهر المختلفة لتماثيلها من تحرك تلقائى وروائح عطرة وحيل بصرية خادعة، إلخ»

وينتقد كلود ماك دوف ذلك الإسفاف «الرامى إلى اجتذاب الجماهير بأى وسيلة وبأى ثمن، فكل هذه المظاهر لا تمت إلى المعجزات بصلة إذ أنها جميعها مفتعلة بشتى الوسائل وكلها يمكن تفنيدها علميا». ثم ينتقد هؤلاء الدعاة الذين لا يتورعون عن استخدام نسق السياسة أو الأيديولوچية السائدة فى البلد الذى يقيمون فيه هذه الألاعيب دافعين الجماهير إلى الاعتقاد فى حلول إلهية سحرية لمشاكلهم الاجتماعية والسياسية. كما يستغلون نفس هذه الظواهر التى يفتعلونها لإقامة مشاريع سياحية استثمارية حولها لاجتذاب الجماهير. الأمر الذى يمثل ـ فى نظر الباحث، نوعا من

العنف النفسى والمعنوى الموجه ضد هذه الجماهير التى كثير من رجالها يعملون فى هذه الكنائس والتجمعات الكنسية سواء كمبشرين أو خطباء أو رؤساء دينيين، أو عاملين فى الدعاية أو العلاقات العامة وغيرها من الوظائف المسيطرة والذين يستغلون التليفزيون بأقصى ما يمكنهم على أنه من أهم وسائل الإقناع اللحوح فى يومنا هذا.

وأكثر ما يعجب له الباحث هو الصمت المريب المفروض على كافة وسائل الاعتراض على هذه الحملات التبشيرية المفتعلة، فى مختلف القطاعات التى يمكنها أن تنتقد ما يدور، ويمكنها الكشف عن الآثار النفسية السيئة لهذه الحملات المسعورة.. وهو ما يطلق عليه «صمت التواطؤ المفروض» على علماء النفس والأطباء والمعلمين والمصلحين الاجتماعيين ومراقبى البرامج والمحللين العاملين فى نفس قطاع التليفزيون وغيرهم..

ثم يشير إلى مدى تسلط هؤلاء الدعاة فى الولايات المتحدة وفى كندا، موضحا أن هذه الكنائس والمنظمات الدينية هى بمثابة مؤسسات تجارية بحتة ذات طابع نفعى مادى. وهى تتدخل حتى فى توجيه واختيار البرامج التليفزيونية الأخرى بل لقد منحت نفسها حق توجيه وإدارة القنوات بصورة كاملة، لتدعيم صورة فكرية دينية معينة، قائمة على سيادة الجنس الأبيض الأنجلوساكسونى، المسيحى أو المسيحى - اليهودى، وهى فكرة سائدة متسلطة حاليا فى الولايات المتحدة لنشر مبدأ «أسلوب الحياة الأمريكى» الذى يعتبرونه النموذج المثالى الوحيد الذى يجب أن يحتذى!

كما أن كل هذه الكنائس الأمريكية ومؤسساتها قد زادت سيطرتها بالرقابة على المصنفات الفنية فى وسائل الإعلام السمعية والبصرية. ويعجب ماك دوف من كم الإجراءات التى اتخذتها هذه المؤسسات الدينية بمحاولة فرض منع بيع الكحوليات، وفرض ساعة معينة لإغلاق أماكن اللهو، ومنع تقديم البرامج الإباحية، ومراقبة مسابقات الرقص الشعبى، وفرض «عرف

أخلاقى» على الرسوم المتحركة ومنع معظم الكتب الهزلية اللاذعة السخرية، وفرض رقابة على الأفلام السينمائية، بل وخلق جهاز رقابة يقوم بتصنيف الأفلام وفقا لمعايير أخلاقية دينية، وعلى المنتجين والموزعين أن يعرضوا على هذه اللجنة أفلامهم للحصول على تأشيرة بتصنيف وجواز مرور هذا المصنف!

ويالغرابة المكاييل وتضارب المواقف والتصرفات.. فبينما يحاولون فرض نوع من الأخلاقيات بزعم الترابط الأسرى واحترام الإطار العائلى والأخلاق العامة عندهم، يفرضون الإباحيات والانفلات على العالم الإسلامى والعربى.. فمنذ مسرحية الحادى عشر من سبتمبر والمسؤولون يتحدثون عن إنشاء قناة تليفزيونية، مجرد قناة واحدة تخصص بشرح الإسلام للغرب، وتوضيح أنه لا علاقة له بالإرهاب المفروض عليه، ولم تر هذه القناة المزعومة النور حتى يومنا هذا، بل لقد تم تخريب القناة الدينية الفضائية العربية الوحيدة المتخصصة وإنشاء سبع قنوات تبث الأغانى الانحلالية والفساد طوال أربع وعشرين ساعة يوميا! وكان الله فى عون شبابنا الذى يُفرض عليه الانفلات فرضا..

وفى خطاب مفتوح موجه لرجال الكنيسة أو إلى «ممثلى الله على الأرض»، يقول ماك دوف فى نفس البحث: «مع اقتراب القرن الواحد والعشرين الذى تريدونه قرنا مسيحيا، فإن الإنسانية قد تم «تنويرها» وعرف البشر تماما كل ما قمتم به من زيف وتحريف... إن معظم العقائد المسيحية تعتمد على أسس تاريخية مزعومة صاغها البشر وشكلوها واختلقوها من هنا وهناك من العقائد الوثنية السابقة زاعمين بأن المسيحية وحدها تمتلك الحقيقة، وإنها وحدها هى الديانة الوحيدة الأصيلة المؤصلة.. وتحاول السيطرة على عقول الناس وأجسادها بواسطة حفنة من الرجال، يزعمون أنهم ملهمون من الله وممثلوه على الأرض، بينما هم، فى كل العصور، قد

استغلوا كافة الوسائل لتشكيل العقول وفقا لمفاهيمهم وأغراضهم وعقولهم المتبلدة وتسلطهم وتعصبهم. ففى كل زمان ومكان قامت المسيحية بالقهر والقمع وعدم التسامح، الأمر الذى نراه يمتد حتى يومنا هذا.. ولا يسع المكان هنا لتوضيح كيف أن كل التدرج الكنسى بدءاً من البابا حتى أكثر العاملين تواضعا قد تم توظيفهم من أجل السيطرة على الشعوب حتى فى المجالات التى لا شأن لهم بها»!...

ثم يوضح الباحث كيف «تزايدت تلك الحملة التى اندلعت فى العقد الأخير من القرن العشرين لإعادة تنصير العالم أو لتنصيره من خلال حملة ضارية منظمة، دؤوب، أشبه ما تكون بالحروب الصليبية التى قادتها الكنيسة طوال قرونها الماضية، أيام كانت تنظم تلك الحملات الصليبية لتنصير الشعوب بواسطة «جنود الرب» و«جنود المسيح» وفرق المبشرين الذين فرضوا عقيدتهم دوما بالسيف والتعذيب والمحارق، لكى يوضحوا للشعوب الوثنية أو لغير المسيحيين مدى «تسامح عقيدتهم»!!

ثم يعرب الباحث عن فرحته بأن الكيان الكنسى بتعصبه التليد لم يعد له اليوم تلك السيطرة التى فرضها لمدة قرون ماضية و «أن مجمل الشعوب المسيحية لم تعد تصدق تلك الأكاذيب التى فرضت عليها من خلال العديد من المؤسسات، وبدليل أنها لم تعد قادرة على استعادتهم مثلما كانت تفعل وهى ممسكة بهم بيد من حديد..

ويقول: «لقد كان من الممكن أن تستعيد تلك السيطرة لو كانت عقيدتها قائمة على حقائق يمكن التأكد من صحتها، إلا أن أغلب نصوصها إن لم تكن كلها تعتمد على الاحتيال التاريخى، وعلى إعادة صياغة وتوضيب بعض العقائد القديمة السائدة، وعلى العديد من الأساطير، كما أنها تعتمد على عقائد وأسرار أبعد ما تكون عن المنطق».

ثم يضيف قائلا فى هذه الجزئية: «من حسن الحظ أن التقنيات

الحديثة وأساليب التحليل والتنقيب الشديدة الدقة، قد استطاعت أن تكشف المزيد من الحقائق حول تلك الأحداث المكونة للمسيحية وحول المعجزات التى يستخدمها رجالها فى عمليات التبشير التى يقومون بها.

وهنا يدعو القارئ لقراءة كتابه الآخر، والمعنون "أتهم كنيستى الكاثوليكية المبجلة"، والذى يوضح فيه بالتفصيل خداع الكاثوليكية، والأهداف الخفية لنشاطات بعض كبار العاملين بها وأساليبهم الملتوية لجعل الأتباع يتقبلون أى شىء سبب حروبهم الصليبية وغرسهم للإنجيل عنوة فى أرض لم تكن تعرفه».

وينتقد ماك دوف تلك «الجهود المضنية لإعادة فرض عقيدة أصبحت تنهار بلا رجعة أمام كم تلك الوثائق التى لم تعد تترك مجالا للشك، فكلها وثائق وأدلة عقلانية، جادة وعلمية، تدين كل ذلك الزيف وتعاليمه، وتكشف مواقف الذين ساهموا فى فرض عقائد لم تعد مجدية».

ويختتم الباحث قوله بأمنية هى: «أن تقوم حركة مضادة من الذين ابتعدوا عن الكنيسة ولجأوا للإلحاد والعقلانية، لصد تلك الحملة الصليبية الجديدة الرامية إلى «إعادة تنصير العالم» أو «لتنصيره» كما يقول البابا حاليا... لقد حان الوقت للرد على ذلك التبشير وتلك العملية الصارخة لتجنيد أتباع جدد، مثلما هو حادث فى المجتمعات المعاصرة، لكى لا تتفاقم الردة فى المستقبل بصورة درامية».

وبمناسبة الإشارة إلى الإلحاد والملحدين، سنضرب مثالا بفرنسا، على أنها أول دولة تتصدى للتسلط الكنسى وتفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية، عقب الثورة الفرنسية أولا، وكان نابليون بونابرت هو أول من قام بذلك وأمر بتأميم الأموال والممتلكات الكنسية، ثم، وبعد محاولات لإعادة

السيطرة الدينية أعيد إصدار قرار فصل السلطتين عام ١٩٠٥..

وإن كان الإلحاد قد بدأ بها وارتبط بعصر التنوير ثم بمعركة الكنيسة مع العلم، فإن أول منظمة رسمية للادينيين قد تم إنشاؤها فى منتصف القرن التاسع عشر وتضم ٦٠٠٠ عضو، وهناك اتحاد الملحدين الذى تم تأسيسه فى ١٤ / ٣ / ١٩٧٠ برئاسة البير بوجون (١٩١٥ ـ ١٩٩٥). وهى جمعية تعارض المفاهيم الإلهية المسيحية وتتبنى موقفا فكريا عقلانيا قائما على عدم الاعتماد على الإيمان وحده وعدم تحديد حقل إعمال العقل والسماح بالتطور المتواصل للمعارف والمدارك. كما أنها تحاول الحصول على قبول أن تكون حرية العقيدة الدينية أن تتضمن حرية التعبير العلنى وانتقاد العقائد الدينية رسميا، وتدين عملية تسميم العقول فكريا بعقائد لا تصمد أمام العلم والعقل أو المنطق. لذلك فهم يرفضون المفاهيم التى تقدمها الكنيسة على أنها حقائق مطلقة وتطالب بتحرير العقول منها. وهناك الاتحاد العالمى للادينيين الذى تم تأسيسه عام ١٨٨٠ ويضم ١٥ جمعية وطنية. واتحاد العقلانيين الذى تم تأسيسه عام ١٩٣٠ برئاسة هنرى روجيه. وهى أيضا جمعية تطالب بالصراع ضد «الدين الذى يقوم بتعليم معتقدات لا تتمشى مع العلم أو الفكر العلمى».

وقد وصل عدد الملحدين فى فرنسا حاليا إلى حوالى ٣٠ ٪ من تعدادها. وإن كان الواقع يؤكد أن النسبة أعلى بكثير مما يعلنونه..

لماذا الصفحة السوداء

يجيب إنريكو ريبونى فى هذا التمهيد للصفحة السوداء على تساؤل العديد من القراء الذين يسألونه «لماذا؟»..» لماذا يهاجم أيديولوچيتهم، وغير المسيحيين (ويقصد الملحدين) يسألونه لماذا يضيّع وقته فى مهاجمة أيديولوچية تحتضر كالمسيحية، أيديولوچية قد أدانها التاريخ بالوثائق؟! ويجيب ريبونى على الفريقين قائلا: «إلى الذين يطلبون تفسيرا لهجومى أقدم لهم نبذة تاريخية عن الصفحة السوداء، وتفسيرا عقلانيا واضحا.

قصة الصفحة السوداء

ترجع قصتها إلى عام ١٩٩٧، أيام تلك المعركة الدائرة حول بعض جماعات «يوزنت» عن الفِرَق الدينية ويقول ريبونى «كانوا يتحدثون عن مبادرات الكنائس السويسرية ضد الفرق. الأمر الذى لفت نظرى لأن الكنائس المختلفة عبارة عن فرق كبرى، وإصرارها بدأب على محاربة الفرق الصغيرة لا تفسير له سوى حماية نفسها من المنافسة. وما كان منى إلا أن رحت أؤكد فى رسالة أن الكنيسة الكاثوليكية أسوأ مائة مرة من الفرق التى تحاربها. وحيال سيل الاتهامات التى انسابت، والتى اتهمنى بعضهم أن أكون أنا نفسى من إحدى هذه الفرق، قررت أن أبرر موقفى بأن أبدأ بعمل كشف لجرائم المسيحيين. وبدأت بوضع تعريف للجريمة المسيحية، وهو: أن أى

جريمة مسيحية تعنى الجريمة التى يقوم بها مسيحيون باسم أيديولوچيتهم المسيحية بمساندة كنيسة كبرى مسيحية».

ويضرب مثلا بهتلر الكاثوليكى ورغبته فى إبادة اليهود، مفسرا أنه لا يجوز اعتبار جريمته جريمة مسيحية لأن الكنيسة لم تكن تسانده آنذاك. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية قد عاونت هتلر فى الوصول إلى الحكم ورفضت أن تشى بجرائمه. وهذا التواطؤ فى معاونة ذلك الدكتاتور للوصول إلى الحكم يعد جريمة مسيحية وفقا للتعريف الذى وضعه، وذلك مثل صمت البابا وقتها بينما كان الجنود يحصدون اليهود تحت نافذته. ورغمها، يوضح الكاتب «أنه من السهل جدا عمل كشف مليئ بالجرائم المسيحية اعتمادا فقط على ما هو منشور وفى متناول اليد. أى أن النصوص والوثائق المستبعدة بها المزيد ولا شك!

وبدأ ريبونى صياغة أول كشف للصفحة السوداء من الذاكرة، كاتبا الجرائم المسيحية التى يعرفها والتى يتذكرها جيدا لكى يؤرخها ويكتبها من الذاكرة. ولقد اختار عنوانا لها هو: «الصفحة السوداء للمسيحية» تحية منه «للكتاب الأسود للشيوعية» الذى كان فرغ للتو من مطالعته وأثار حوافزه..

ولقد أفزعته ردود الأفعال التى تلقاها ما أن أعلن عن تلك الصفحة: ومنها تهديدات بالقتل، وشتائم أو لعنات، وابتعد عنه بعض الأصدقاء الحميمين المسيحيين. وطالبه رئيس الحزب الذى كان ينتمى إليه، وهو الحزب الليبرالى السويسرى بأن يلغى الصفحة السوداء من موقعه. وهنا أدرك ريبونى ـ على حد قوله ـ أنه قد مس عصبا حساسا! فكيف يمكن لمثل هذه الصفحة التى هى عبارة عن شذرات فى محيط الأنترنت أن يرى فيها البعض أنها تمثل تهديدا حقيقيا للأيديولوچية المسيحية؟! واعتبر ذلك أكبر تشجيع لاستكمال الصفحة تدريجيا..

ومنذ ذلك الوقت، كلما اكتشف معلومة خلال قراءاته وأبحاثه، أضافها إلى تلك الصفحة السوداء بعد التأكد الشديد من مصداقيتها. وهنا يسأل

نفسه: ترى هل سيتوقف نمو هذه الصفحة فى يوم ما؟ ويجيب على نفسه بالنفى، لأن الكنيسة الكاثوليكية تواصل محارقها ومطارداتها وتعصبها وتحيزاتها وتجريم من لا يقبل عقائدها المسيحية ومفاهيمها المنحرفة فى مجال «الأخلاق»، واضطهادها للأقليات، أو الذين هم فى محن من محن الاغتصاب فى الحروب إلخ..

أما عن التفسير الذى يقدمه، فيبدأ بذلك السؤال الذى طرحه من قبل: هل من العقل الكشف عن مساوئ المسيحية فى الوقت الذى هى فى سبيلها إلى الزوال؟ ويجيب ريبونى بالبنط الثقيل قائلا: «نعم، لابد من الاستمرار فى كشفها لعدة أسباب، منها:

- **واجب عدم النسيان**: إن الاستمرار فى كشف هذه البشاعات التى قامت بها وجعلها دائما أمام القارئ ضرورى لكى لا يتم تكرار ذلك ثانية. وعدم الكشف المتواصل عنها يعرضنا ويعرض أبناءنا وأبناءهم لمعايشة هذه الجرائم ثانية.

- **مخاطر الحاضر**: حينما ينظر المرء إلى أنقاض يوغسلافيا السابقة، آخر ضحية من ضحايا الحروب الدينية، والمحارق التى أقامها الأساقفة فى أفريقيا لحرق العوازل الطبية فى الوقت الذى وصلت فيه الإصابة بالإيدز إلى أرقام مفزعة، والكونجرس فى الولايات المتحدة التى يلعب دور «شرطى العالم» ومحاولته فرض كتابة الوصايا العشر فى المدارس، والمذابح الدينية فى جنوب الباسفيك، يدرك أن المسيحية لا تزال تقتل وتقترف الجرائم. لذلك يجب محاربتها. كيف؟ إن «الكتاب الأسود للشيوعية» كان خير وسيلة للوشاية بأيديولوچية إجرامية وسرد جرائمها. بعد قراءة ذلك الكتاب من الصعب أن يظل الشخص شيوعيا. وذات يوم، أتمنى أن يكون هناك من يقول: «من الصعب أن يظل المرء مسيحيا بعد قراءة الصفحة السوداء». فالجهل بمساوئها يعد اليوم خير حليف للمسيحية».

وإلى الذيون ينكرون حقيقة المخاطر التى تفرضها المسيحية على هذا العالم يحدد ريبونى نقطتين: أولا، أن المسيحية كأيديولوچية تسحق بمعتقداتها اللامعقولة حضارة متقدمة. وقد سبق لها أن فعلت ذلك. ثانيا: ليست المسيحية وحدها التى تمثل تهديدا، ولكن المعتقدات بعامة، من الطب التجانسى إلى التنجيم، التى تزدهر حاليا فى الغرب اعتمادا على سذاجة أو سرعة التصديق التى فرضتها الكنائس المسيحية على الغربيين منذ قرون.

لقد سبق للمسيحية أن حطمت حضارات، والأمثلة معروفة فى التاريخ، ومنها الحضارة الهللينية القديمة، وخاصة مصر البطالمة التى كانت قد وصلت إلى مستوى علمى وتقنى يماثل مستوى أوروبا عشية الثورة الصناعية. ويوضح الباحث أن تلك الثورة الصناعيةالسباقة لم تخمد فحسب، وإنما كل منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط قد غرقت منذ القرن الخامس فى التعتيم الكنسى. وانتقل من حضارة تعرف أسس الكيمياء الكهربائية والآلة البخارية وتتمكن من القوى الهيدرولوچية، إلى القرون الوسطى المسيحية بكل ما هو معروف عنها. وذلك بسبب هدم المسيحية للمكتبات وطردها للنخبة العلمية المثقفة المزدهرة فى الإسكندرية آنذاك..

ويرى الباحث أن اليوم يتضمن ملامح شبيهة مقلقة، فى الوقت الذى نحن فيه على عتبة قفزة جديدة، بفضل تقدم علوم الاتصال وعلوم الوراثة التى ستسمح بالانتقال من الإنسان الحكيم إلى الإنسان التقنى حيث يمكن للإنسان أن يعيش بلا أمراض، وأن الكنيسة تواصل حروبها وقمعها.

ويسأله البعض لماذا لا يهاجم الديانات الأخرى كالإسلام أو بعض العبادات، ويجيب ريبونى إنه لا يمكنه فعل كل شىء. فقد تصدى للمجال الذى هو على دراية به. يقول «الإسلام. إذا ما قارناه بتصرفات المسيحيين فى شمال أفريقيا حوالى سنة ١٠٠٠ لرأينا الفارق الأساسى إن المسلمين لم يحرقوا المكتبات، بل إنه بفضلهم وصلت بقايا المعارف الهللينية إلى الغرب أو

تم الحفاظ عليها. الأمر الذى دفع البعض إلى قول: لو كان شارل مارتل قد خسر معركة بواتييه (أمام المسلمين) لعرفت أوروبا الثورة الصناعية قبل وصولها إليها بألف عام؛ وإذا لم يقم المسلمون بفتح إسبانيا لربما ظلت أوروبا فى مستوى الحضارة الزراعية والإقطاعية». ثم يقارن اليهودية بالمسيحية قائلا: «إن اليهودية تتميز عن المسيحية فى أنها لا تقوم بالتبشير. الأمر الذى يجعلها أقل تهديدا لتقدم الإنسانية من المسيحية». ويختتم هذا الجزء محددا أنه يهاجم الأيدلوچية المسيحية لأنه يعرفها جيدا، ولأن طابعها الإجرامى يجهله السواد الأعظم من الناس. أما الأهداف التى يرمى إليها، فيلخصها الباحث قائلا:

- أن أصدم القارئ المسيحى لكى يسأل نفسه عن ذلك الدين الذى يعتنقه.
- أن أحيط القارئ الذى لا يعلم ما يجهله عن الطابع الإجرامى للمسيحية.
- أن أقدم الأدلة المقنعة للقارئ الملحد لكى يجيد استخدامها حينما يقوم بمناقشة أحد المسيحيين.

وحول كيفية اكتشافه حقيقة الأناجيل أو الإنجيل بعهديه يقول إنريكو ريبونى: «لقد نشأت فى أسرة مسيحية وحصلت على تربية مسيحية منذ الطفولة. وكانت هذه النشأة تعتمد على كتاب الإنجيل بعهديه. ولقد ظللت طيلة مرحلة الشباب، ولعدم إمكانية التأكد من ذلك آنذاك، أعتقد أن الأحداث التاريخية التى يقصها علينا القساوسة هى قصص حقيقية. بل وصل تصديقى لها أننى أقنعت نفسى بضرورة الإيمان بها. إلا أننى لم أتمكن من قراءة الإنجيل بنفسى كاملا لأننى عندما قررت قراءة الإنجيل فقد تفتحت عيناى على حقائق أخرى»..

ثم يوضح الكاتب كيف أنه كان سعيد الحظ بدراسته للأدب الكلاسيكى إذ اضطره ذلك إلى إجادة ثلاث لغات قديمة هى: اللاتينية واليونانية والعبرية. وكم

أفادته هذه المعرفة، فمن الصعب إن لم يكن من المحال القيام بدراسة الإنجيل دون معرفة اليونانية والعبرية. فقليل من الناس هم الذين يعرفون أن العهد القديم قد كتب بالعبرية والعهد الجديد باليونانية ـ التى لم يكن يسوع ولا حواريوه يعرفونها.. وأول ما أدركه هو، كما يقول: «إن الأناجيل الحالية وأيا كانت اللغة التى كتبت بها فهى مجرد ترجمة وليست نصا أصليا أو منزّلا. والأكثر من ذلك، أن النص العبرى يسمح بعدة ترجمات ممكنة، وأنه يوجد بالفعل خمس ترجمات للإنجيل هى أكثرها شهرة: الترجمة المسكونية، وإنجيل القدس، وترجمة لويس سجوند، والإنجيل الفرنسى المنتشر، وأنجيل السينودس».

ويقول الباحث إن اللغة العبرية لغة فقيرة من حيث المفردات، إذ أن عدد المفردات التى صيغ بها العهد القديم ستة آلاف كلمة، وكل كلمة يمكنها أن تحمل عددا من المعانى أى أن النص العبرى ملئ بالعبارات غير المؤكدة بما أن المترجمين هم الذين يقومون بالاختيار وبتحديد المعنى المناسب للكلمة. والمعروف أن الترجمة الحرفية فى بعض الأحيان تؤدى إلى نتائج عكسية أو إلى نص غير مفهوم. وما أن بدأ قراءة الإصحاح الأول من سفر التكوين حتى ارتبك من عدم التوافق ومن لا معقولية النص. وهنا يؤكد ريبونى أن النص العبرى متناقض، وما من ترجمة فرنسية تؤدى المعنى بصورة سليمة. ثم يضيف أن دراسة النصوص الإنجيلية تتطلب دراية واسعة بالتاريخ وبالظروف التى كتبت فيها. وسرعان ما أدرك أن الإصحاح الأول لسفر التكوين يناقض الإصحاح الثانى.

ففى الإصحاح الأول من سفر التكوين بدأ الله بخلق الحيوانات، ثم الرجل، ثم المرأة. وفى الإصحاح الثانى من نفس السفر بدأ الله بخلق الرجل أولا، ثم الحيوانات، ثم المرأة. ومن الدراسة التاريخية لصياغة الأحداث الإنجيلية، خرج الباحث بأن صياغة الإنجيل قد تمت لتثبيت القصص والأساطير التى كانت سائدة شفويا فى الشعب اليهودى. وأنه يوجد نصان

مختلفان لسفر التكوين الأول، قد وضعا تباعا، دون أن يكون هناك أى رابط بينهما. وأن سفر التكوين الأول مسند لإيلوهيم ويعنى «الذين أتوا من السماء»، وأنه فى صيغة الجمع، والسفر الثانى مسند لياوا أو يهوا ويعنى «بذرة الحياة» فى صيغة المفرد. أى أنه كان هناك إلهان يتنافسان فى الأزمنة الإنجيلية..

ويؤكد الباحث «أن الدراسة المنهجية للإنجيل قد سمحت له باستخراج عدد مهول من المتناقضات، والعبثيات، وعدم التوافق، بل والأكاذيب والشتائم! فمن المحال أن يقوم المرء بحصر كل التفاهات، وكل التناقضات، وكل الحماقات، وكل العته الذى يتضمنه الإنجيل. فلا يوجد سوى ذلك منذ البداية حتى النهاية» ومن المؤسف أن نراه يخرج بهذا التعميم المطلق، إلا أنه يورد فى الجزء التالى بعض النماذج القليلة من الآلاف التى حصرها لما يطلق عليه «ظلمات الأناجيل» قائلا: «إنه يتعيّن على القارئ أن يبحث عن غيرها، لكن هل هى تستحق ذلك الجهد؟».

ومن الموضوعات التى تناولها فى هذه النماذج: الشتائم، وانفعالات الإله وخاصة شعوره بالغيرة التى هى فى نظر الباحث من أحط المشاعر، أو الانتقام بوحشية، ثم يعرض نماذج من الأكاذيب، والهرطقة، والأخطاء وخاصة الأخطاء العلمية. ثم يتعرض للمتناقضات فى الإنجيل بعهديه، وما يختم به هذه الجزئية هنا هو التناقض فى تحريم اللواط. إذ أن سفر اللاويين يحرم اللواط بصراحة لا مواربة فيها (١٨ : ٢٢ و٢٠ : ١٣). ثم يتبين من النصوص بعد ذلك أن الإنجيل يتحدث عن داوود على أنه من الشواذ، من خلال العبارات التى يقولها فى صموئيل الثانى عندما علم بوفاة يوناثان بن شاؤل قائلا: «قد تضايقت عليك يا أخى يوناثان. كنت حلوا لى جدا. محبتك لى أعجب من محبة النساء» (١ : ٢٦). أما فى طبعة ١٨٣١ فنطالع التعبير أكثر وضوحا إذ تقول نفس الآية «ضاقت نفسى بك، يا أخى يوناثان قد كنت لى حبيبا جدا وكان حبك عندى أفضل من محبة النساء»!؟



الصفحة السوداء للمسيحية
ألفا عام من الجرائم، والإرهاب، والقمع..

الإيمان بإله قاس يجعل الإنسان قاسيا

توماس پين

يبدأ إنريكو ريبونى الصفحة السوداء للمسيحية بمقدمة قصيرة، هى بضعة أسطر، يقول فيها باختصار إنه منذ ألفى عام ولد فى الجليل مؤسس لفرقة، انتهت حياته مصلوبا بعد ٣٠ عاما تقريبا. وكانت كلماته الأخيرة: «أنا عطشان». وأصبحت الفرقة التى كونها أكبر فرقة واستولت على السلطة السياسية فى الإمبراطورية الرومانية، وألغت حرية العقيدة، ثم كونت جبالا من الجثث: فقد قام أتباعها بإبادة ملايين «الكفرة»، و«الهراطقة»، و«السحرة» وغيرها من المسميات، ثم تقاتلت الفرقة فيما بينها لتقدم بذلك لأوروبا أبشع الحروب شراسة. إن مثل هذا التاريخ قد يدفع إلى الانزواء والانكماش، لكن المسيحيين، على العكس من ذلك، يطالبون باحتكار القيم الأخلاقية وسيادة العالم. بل ويعلنون أنهم يعبدون الإله الوحيد، إله المحبة، ويتصورون أنفسهم أفضل من باقى الإنسانية التى يدينونها على أنها نفاية من عبدة الآلهة الزائفة!

ولا تزال المسيحية للأسف مسيطرة كأيديولوچية فى العديد من البلدان الغربية التى تتزعمها الولايات المتحدة بدور «شرطى العالم» الذى منحته لنفسها. لقد حان الوقت لنفتح الكتاب الأسود للمسيحية: ألفا عام من الإرهاب والاضطهاد والقمع. فلنبدأ بتواضع هذه الصفحة السوداء التى تلخص بعضا من أبشع الجرائم شراسة ووحشية باسم تلك الأيديولوچية القائلة: أحب قريبك!!

العام الأول

«لم تعد الآلهة موجودة، والله لم يكن قد وجد بعد»..

تحت هذا العنوان الفرعى يقول ريبونى إن الإمبراطورية الرومانية كانت تضمن حرية العبادة. وكان الإلحاد والعقل يسيطران على المدن. وكانت الآلهة أشكالا أسطورية، أو تمثيلا مجازيا لقوى الطبيعة. وفى تلك الفترة وُلد ذلك الشخص الذى يقول عنه بعض اليهود إنه قد فقد عقله لأنه يقرأ التوراة وهو شاب صغير. وقام بتأسيس فرقة تهدف إلى منع عبادة الآلهة الأخرى غير إلهها. ثم قُتل ذلك الشخص لكن الفرقة انتشرت ذلك الانتشار الذى نعرفه.

ولقد وصلت عبادة الفرد، عند المسيحيين، إلى مستوى لم يعرف فى أى زمن، ولا حتى أيام الستالينية، إذ قالوا إنه: «إنسان حقيقى وإله حقيقى» (الإنسان ـ الإله). وكل من تشكك فى هذا التعريف تم اعتباره من الهراطقة وكان عليهم أن يعانوا فيما بعد من صواعق محاكم التفتيش. ومنذ القرن الرابع من عصرنا هذا بدأ المسيحيون يقتلون غير المسيحيين.

٥٠ ـ ١٥٠:

ويوضح ريبونى فى هذه الفقرة كيف نمت المسيحية. فالنصوص اليونانية التى كتبها أعضاء هذه الفرقة خارج فلسطين، والمعروفة باسم الأناجيل، تقص حياة مؤسس تلك الفرقة: فلقد ولد من عذراء بعد إنجابها عدة أطفال، ويقال إنه عالج المرضى ولعن شجرة تين تحجرت لتوها. كما

يقال إنه قد ألقى مئات الخنازير فى بحيرة، ولم تكن هذه الخنازير ملكا له. وهذا الشخص، الذى يدافع عن الفقراء، لكنه يؤكد أيضا أن الأغنياء سيغدق عليهم والمحرومون سينزع منهم، ثم يترك نفسه يصلب ويعلن أتباع الفرقة أنه «الإله الوحيد». وعلى الرغم من أن آخر كلماته كانت وفقا لإنجيل يوحنا، وهو من الأناجيل المعتمدة، قد طلب يشرب، فإن ذلك لا يثير فضول الأتباع الذى انتشروا فى الإمبراطورية!

وحوالى عام ٥٠ أقيمت أول محرقة للكتب! فوفقا لأعمال الرسل، وهو من أسفار الأناجيل المعتمدة، قام بولس - والمعروف أنه من أوائل القادة المسيحيين، قام بمعاونة أتباعه بحرق كتب قيمتها خمسون ألف قطعة من الفضة!

ثم يضيف ريبونى، أن التعصب الدينى للمسيحيين، والذى يصرون على أنه «الإله الوحيد»، قد جلب عليهم صواعق العدالة الرومانية التى كانت تدافع عن حرية العقيدة، التى هى إحدى دعائم ذلك المجتمع المركب المتعدد الثقافات، أى الإمبراطورية الرومانية فى القرون الأولى لزماننا هذا، إلا أن الدعاية المسيحية قد قلبت الموقف بمهارة. وهنا يقول الكاتب بشىء من السخرية: إن الذين أدانتهم العدالة الرومانية أصبح اسمهم «الشهداء»، وسيتم تبجيل رفاتهم فى الكنائس، وسيتم تأليف أسطورة أنهم قد قتلوا «لأنهم رفضوا التنكر لعقيدتهم»، وهو بلا شك أفضل من الحقيقة المرة إذا ما قيل «إنهم قتلوا لأنهم مزورون ومثيرو شغب ويريدون فرض التعصب الدينى فى مجتمع متعدد الثقافات»!

وفى العصور الوسطى سيقوم المسيحيون باختلاق سلسلة من أساطير «الشهداء» القدامى الذين اختاروا الموت عن أن يتنكروا لدينهم. وتم الاحتفاظ بقطع من العظام فى الكنائس وقام الأتباع بتبجيلها. كما تبارت اللوحات والرسومات الجدارية بقص قصص أكثر بشاعة ولا معقولية عن عذارى مفزوعات يؤثرن الموت بطرق بشعة عن اقتراف «جريمة الجسد»، كما

سيصورون أوائل المسيحيين وهم يقولون للأسد الذى يهددهم بالالتهام وسط صراخ الجماهير الوثنية: «لا.. لن أتنكر لعقيدتى»! والغريب أن كثيرا من المسيحيين يصدقون حقا هذه الأساطير المنسوجة بدراية، حتى وإن كانت تتناقض تماما والتاريخ المُعاش.

ثم يضرب الكاتب مثلا بأحد الأديرة فى سويسرا، هو دير سان موريس، فى البلدة التى تحمل نفس الاسم، فيقول: لتدعيم ما يقصونه، من أن هذا الدير قد شيد على نفس المكان الذى استشهد فيه «فيلق طيبة». ووفقا لهذه الأسطورة المسيحية، التى اختلقها أول أسقف فى مارتينى فى أواخر القرن الرابع، فى نفس هذا المكان، فى عام ٢٨٥، أتى فيلق طيبة المكون من جنود مسيحيين من مصر، بقيادة موريس، المصرى الأسود، ورفض المشاركة فى عبادة وثنية، فأمر الإمبراطور ماكسيميان بإبادة الفيلق. والمضحك أنه ليس فقط ما من مؤرخ قد ذكر هذه الواقعة، وإنما لم يحصل فى التاريخ أنه كان هناك فيلق معروف باسم «فيلق طيبة»! ومن المؤكد أن قطع رأس ٥٪ من الجيش الرومانى من الصعب أن يمر دون أن يذكره أحد!!

ومع ذلك، فقد ازدهرت أسطورة ذلك القائد موريس الذى أصبح فيما بعد قديسا وواحدا من اثنين من القديسين حماة الجنود: القديس جورج، الأبيض، ممتطيا جواده، والقديس موريس، الأسود، الذى عادة ما يسير مرتجلا. وينهى ريبونى هذا الجزء قائلا: «من البديهى أن بقية الأساطير الخاصة بالشهداء المسيحيين القدامى لا يمكن التأكد منها»..

ـ ٣٠٠ (أو ٣٠٣، أو ٣٠٩) التاريخ غير مؤكد

والعنوان الفرعى لهذا التاريخ هو: أول مجمع وتقنين معاداة السامية المسيحية: فقد اجتمع ١٩ أسقفا و٢٤ قسيسا فى مدينة إلفيرا بجنوب إسبانيا، ليسنوا أول قوانين كنسية وصلت إلينا. وتنص هذه القوانين على

عقوبات صارمة القسوة لمجموعة من «الخطايا». فبعضها متعلق بالطلاق، وعبادة إله آخر غير الإله المسيحى، عقوبتها الطرد النهائى من الكنيسة. والأخطاء الأقل خطورة عقوبتها الطرد عدة سنوات نجد مثلا: أن يقوم يهودى بمباركة المحصول لأحد المسيحيين، أو تناول طعام الغذاء مع يهودى. ويقول ريبونى إن المجمع، بهذه القوانين، قد أرسى أسس القانون الدينى لمعاداة السامية التى ستجتاح عواقبها بشدة منذ القرن الرابع حتى القرن العشرين.

وفى نفس هذا المجمع قرر القادة المسيحيون رسميا أن أى مسيحى يحكم عليه بالموت لمشاركته فى هدم معبد وثنى أو تمثال لإله من الآلهة الوثنية يحق له الحصول على لقب شهيد، بعد وفاته بالطبع..

ثم يوضح الباحث كيف اتخذ الزعماء أو القادة المسيحيون بسرعة مواقف متشددة فيما يتعلق باليهود. فيقول إن أوريچين، مؤسس حركة الرهبنة المصرية، كتب قائلا: «إن دم يسوع يقع لا على يهود هذا العصر فحسب وإنما على كل أجيال اليهود حتى نهاية العالم». وقد كتب القديس يوحنا كريزوستوم، المعاصر له، قائلا: «إن المعبد اليهودى عبارة عن مبغى، إنه عرين حيوانات نجسة (...) فلم يقم يهودى أبدا بعبادة الله (...) إن الشياطين يستحوذون عليهم».

والغريب أو الدافع للسخرية إن مجمع فاتيكان الثانى (١٩٦٥) قد برأ اليهود من دم المسيح اعتمادا على عكس جملة القديس يوحنا كريزوستوم هذا، واسمه يعنى «الفم الذهبى»، وقد أطلق عليه هذا اللقب للدور الذى قام به كواحد من آباء الكنيسة الأوائل، وواحد من المؤسسين لقوانينها.. لكن، يبدو أن للضرورة السياسية أحكاما!.

ويواصل ريبونى سرده لهذه الحقبة متعرضا للوسواس الغريب للمسيحيين من الجنس، موضحا كيف بدأت انعكاساته الكاسحة تنتشر. فيقول إن أوريجين، قد التزم حرفيا بمقولة يسوع: «... ويوجد خصيان خصوا

أنفسهم لأجل ملكوت السماوات (متى ١٩ : ١٢) وقام بتنفيذ ذلك على نفسه! وقام أوريچين المخصى بتأسيس حركة الرهبنة التى لاتزال ممتدة حتى يومنا هذا. فقد قام مئات ثم آلاف من المتعصبين دينيا بتقليد أوريچين وخصوا أنفسهم ثم تركوا المدن ليستقروا فى كهوف، ثم فى أديرة فى الصحارى. ويوضح الباحث أنه منذ البداية سيقوم هؤلاء الرهبان بحماية المطلوبين من العدالة وإيوائهم، وأنهم كانوا يخرجون من عرينهم ليبثوا الرعب والإرهاب فى المدينة عندما كانت السلطات الكنسية تطلب منهم ذلك. فهؤلاء الرهبان هم الذين قتلوا هيباشيا، عالمة الرياضيات اليونانية فى الإسكندرية، مضيفا: ويمكن تصور هلع سكان المدن عندما كانوا يرون هؤلاء الرهبان بثيابهم الرثة، ومستعدون للقيام بأى إرهاب لتحقيق رغبة إلههم أو رغبة ممثليه. مؤكدا أن عملية استخدام الرهبان للقيام بأعمال إرهابية متأصلة فى الكنيسة: ففى العصور الوسطى ستستعين بالرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان لعمل محاكم التفتيش. وأثناء الحرب العالمية الثانية قام الرهبان الفرنسيسكان الكروات بمهام الجلادين ورؤساء معسكرات الاعتقال. ولا يزال هذا التقليد مستمرا حتى يومنا هذا..

٣١٢: استيلاء المسيحيين على الحكم

استولى قسطنطين على الحكم عقب حرب أهلية. وبعد ذلك بقليل تحول رسميا إلى المسيحية وسمح بالعبادة الرسمية للإله الواحد المسيحى بما عرف بمرسوم ميلانو. إلا أن ذلك التاريخ يعنى عمليا: بداية الاضطهاد الدينى فى أوروبا. وبعد ذلك بقليل منعت كافة العبادات الأخرى وتم هدم المعابد الأثرية أو تم تحويلها إلى كنائس. وفى أواخر القرن الرابع لم يعد هناك أى معبد وثنى فى منطقة البحر الأبيض المتوسط.

٣١٥: إصدار أول قانون معادٍ للسامية فى الإمبراطورية المتنصرة:

لقد تم منع اليهود من القيام بالتبشير لدينهم وإلا واجهوا الموت حرقا

أحياءً على المحارق. وظل الحكم بالموت حرقا للخارجين عن طاعة الكنيسة بدعة ممتدة تمارس بشغف لأكثر من ألف وخمسمائة عام.

٣٢٥:

الإمبراطور المسيحى قسطنطين يأمر فى مجمع نيقية الأول بتغيير تاريخ عيد الفصح، ويقول القرار: «من غير المعقول أن نتبع عادات اليهود فى واحد من أقدس أعيادنا؛ فمن الآن وصاعدا لا يجب أن يكون بيننا أية صلة مع ذلك الشعب المقيت». وعمليات الاضطهاد التى بدأت فى أواخر القرن الرابع، كما يوضح الباحث، هى النتيجة المنطقية للكراهية الكنسية المسيحية لليهود ومعادتها للسامية.

ويؤكد ريبونى أن معاداة السامية للمسيحية ستظل محفورة فى الطقوس الكاثوليكية وتمثل جزءا لا يتجزأ منها حتى مجمع الفاتيكان الثانى. فحتى ذلك التاريخ، كانوا يرددون فى كل قداس، فى كل كنيسة كاثوليكية، الصلاة التالية: «إننا نصلى ربنا إلهنا من أجل الخونة اليهود، أن ينزل الغشاوة التى على قلوبهم، ليعرفوا هم أيضا ربنا يسوع المسيح». وقد أورد النص اللاتينى للصلاة، وهو:

"Oremus et pro perfidis judaeis: ut Deus et Dominus noster auferat velamen de cordibus eorum: ut et ispi agnostant Jesum Christum Dominum nostrum"

٣٢٦: تنصير القانون الرومانى

فى السنوات التى تلت اعتلاءه الحكم، قام قسطنطين بتعديل القانون الرومانى حتى يتمشى مع أسس الأيديولوچية المسيحية. وبذلك امتد كشف الجرائم التى تستوجب القتل. من قبيل أن يقوم باختطاف محبوبته، حتى وإن

كان بموافقتها، وكانت مثل هذه الواقعة من اختصاص القانون المدنى، أصبحت من حق الكنيسة التى كانت تعاقب بالقتل كل من المحب والمحبوبة وكل الذين تواطؤوا، بما فى ذلك عبيد أسرتى العشيقين. وتم تحريم العلاقات الجنسية بين العبد وسيدته وعقوبتها الموت.

ويعلق الكاتب قائلا من اللافت للنظر أن هذا الإمبراطور المسيحى الأول لم يشرع تحريم العلاقة الجنسية بين السيد وإحدى عبيده من النساء. وأن قسطنطين قد قام، تنفيذا لتعاليم الإنجيل، بجعل حياة العبيد أكثر صعوبة: فلم يعد قتل العبد جريمة، يعاقب عليها القانون إلا لو تم إثبات أن السيد كان فى نيّته عزم مسبق على قتل العبد! كما تم منع عمل أى تحقيق إذا ما مات عبد متأثرا بما يلاقيه من تعذيب جسدى. ونص القانون على أن أى عبد هارب تقطع قدمه أو يقتل. وأصبح محرم على العبيد اللجوء إلى القضاء، وأن أى عبد أو أى خادم يتقدم بشكوى ضد سيده يعدم فورا بلا شهود وبلا تحقيق.

ويعلق ريبونى على أن هذه القائمة تكشف عن مدى القيم المسيحية، فالقتل غير وارد بها ولا السرقة أو الاغتصاب إن مثل هذه الجرائم، فى نظر الإمبراطور المسيحى، أقل أهمية من الزنا!

٣٦٣: جريمة قتل لتحقيق نبوءة

قد يبدو العنوان غريبا لكن الباحث يوضح كيف أعاد الإمبراطور جوليان حرية العقيدة فى الإمبراطورية عام ٣٦١. وكان بوسعه أن يدخل التاريخ لنجاحاته العسكرية فى مقاطعة جول ضد فارس، مثله مثل جوليان الفيلسوف، أو جوليان الجندى. إلا أن قراره بإعادة حرية العقيدة فى الإمبراطورية الرومانية وسماحه لمختلف الفرق المسيحية المنشقة أو المتناحرة بالتواجد فى نفس الوقت مع الديانات الأخرى التى كانت سائدة قد جلب عليه صاعقة المسيحيين: فبعد وفاته، قد دخل التاريخ باسم جوليان المرتد.

كان الإمبراطور جوليان بعد توليه الحكم بقليل، قد نشر عدة كتب يمجد فيها عظمة الآلهة القدامى، وكتب أخرى يجادل فيها الفرق المتناحرة، وكانت بالطبع ضد المسيحية. ومن الملاحظ أن بحثه المعنون «ضد الجليليين» (ويقصد بهم المسيحيين، نسبة إلى منطقة الجليل) قد اختفى تقريبا. ولم يبق منه إلا شذرات يصعب الاستعانة بها. بل حتى الردود التى قالها بعض المعاصرين قد اختفت أيضا كما تم استبعاد بعض الاستشهادات من أعمال جوليان. ومن المقتطفات النادرة التى وصلت إلينا ـ كما يوضح الباحث ـ قوله: «يبدو لى من المناسب أن نعرض على كل الناس الأسباب التى أقنعتنى بأن المؤامرة التى ابتدعها الجليليون ليست إلا اختلاقا آدميا، أوحته إليهم الرذيلة. وعلى الرغم من أن هذا الاحتيال لا يوجد به أى شىء إلهى، فقد خدع الجزء المحب للأساطير فى نفوسنا، وهو جزء صبيانى وغير عاقل، وفرض عليه أن يؤمن بهذه البشاعات»، (وارد فى: جوليان، «**ضد الجليليين**»، ترجمة كريستوفر جيرار، دار نشر أوسيا، ١٩٩٥).

ويعلق ريبونى على قول جوليان بأن المسيحيين قاموا بتجنيد أنفسهم بسرعة ضد حرية العقيدة التى أعادها الإمبراطور، وراحوا يحيكون الاستفزازات المثيرة، آملين فى اندلاع ما أطلقوا عليه «الاضطهادات» ليزداد كشف «الشهداء» طولا. وإضافة إلى ذلك فقد قاموا بتدنيس أماكن العبادة الأخرى وحرقها، وحرق معبد دافنيه، قرب انطاقيا، حيث كان يقطن الإمبراطور، وقاموا بتخريب أعمال إعادة المعبد فى أورشليم، ثم هدموا معبد القدر فى قيصرية كابادوتشى؛ وهدموا معبد سيبيل فى سينونته أمام أعين الإمبراطور، وكان الرومان يعتبرونها أم الآلهة وقد خصها جوليان بأحد أبحاثه.

ورغمها، لم يقم جوليان بالانتقام من هذه الجرائم إلا بكتابه منشور بعنوان «عدو اللحية»، وهو نقد لاذع السخرية من نفسه ومن سكان انطاقيا الطائشين.

ثم يوضح كيف دفع جوليان ثمن تسامحه هذا مع المسيحيين، وخاصة مع اثاسيوس، أسقف الإسكندرية. ومن المعروف أن أثناسيوس هذا كان ماضيه إجراميا، فقد تم طرده من منصبه عقب صراعات بينه وبين الفرق المسيحية. وقد عاونه مرسوم عام ٣٦١ إلى العودة إلى الإسكندرية، حيث نجح فى استثارة الجماهير المتعصبة لقتل أسقف المدينة جورج الكابادوتشى، وكان من الأريوسيين، وإلقاء أشلائه فى النيل. ولم يكن الأسقف جورج أكثر أمانة من غيره، فقد نهب العديد من المعابد المصرية القديمة، إلا أن مقتله قد لفت انتباه الإمبراطور إلى ماضى الأسقف اثناسيوس، فأمر بنفيه من مصر. ولم يتردد اثناسيوس فى تنفيذ الحكم وانزوى فى الصحراء عند بعض الرهبان وتنبأ بموت الإمبراطور وهو يخطب فى الذين كانوا يسمعونه. «النجار (ويقصد يسوع) يعد نعشا لجوليان»، وبعد خطابه وعد أحد الجنود الذين كانوا سيرافقون الإمبراطور فى حملته إلى ما بين النهرين، بأن المجد الأبدى له وسيغفر له كافة ذنوبه وسيحصل على كل السعادة الأبدية فى الجنة إذا ما اغتال جوليان..

ومن الواضح أن مثل هذا الوعد من الحيل الراسخة فى الكنيسة، فهى نفس العبارات التى استخدمها البابا أوربان الثانى لإشعال حمية الجماهير للاشتراك فى الحروب الصليبية ضد المسلمين فيما بعد.. ويالها من خديعة كبرى..

وفى ٢٦ يونيو عام ٣٦٣، وسط المعركة الحاسمة ضد الفرس، قام الجندى باغتيال الإمبراطور جوليان بحربة فى ظهره. ويقال إن جوليان وهو يحتضر قد أطلق صيحة قال فيها: «لقد انتصرت أيها الجليلى»! ويعلن ريبونى أنه ما من شك أن هذه العبارات ملفقة، إلا أنه من المؤكد أن جوليان قد فكر فى ذلك «التسامح الدينى» بينما تطعنه يد خائن من الخلف..

٣٨٠:

ردة سريعة لما قام به الإمبراطور جوليان، ففى ذلك العام أعلن الإمبراطور ثيودوسيوس رسميا أن المسيحية هى الديانة الوحيدة الرسمية فى

الدولة. وما هى إلا حوالى اثنى عشر عاما حتى تم منع كافة العبادات الأخرى. ومن المعروف أن هذه الفترة من أوائل القرن الرابع حتى عام ٣٨٠ وما بعده هى التى شهدت أعنف المعارك بين الفرق المسيحية التى كانت تدور حول تأليه السيد المسيح وهل له شخصيتان وطبيعتان وإرادتان أم لا..

٣٨١: الإمبراطور المسيحى تيودوسيوس يعلن الحرب ضد الهراطقة

ويوضح ريبونى أن الهراطقة هم المسيحيون الذين لا يعترفون ببعض نقاط فى العقيدة المسيحية. وقد منع هؤلاء المسيحيون من الاجتماع، والتعليم، والمناقشات العلنية، وترسيم القساوسة. وتم الاستيلاء على كنائسهم لصالح الأساقفة الكاثوليك. كما تم استبعاد هؤلاء «الهراقطة» من الوظائف العامة، وحكم على بعضهم بالموت، خاصة أتباع مانى، وتم نزع أعين الأساقفة أتباع مرسيون، وهى فرقة غنوصية مسيحية لا تؤمن بتجسيد الله فى المسيح. كما تم حرق كتب الأريوسيين، وهم الميسحيون الذين لا يؤمنون بتأليه السيد المسيح وعلى مدى ١٥ عاما أصدر ثيودوسيوس ما لا يقل عن ١٥ مرسوما اضطهاديا ضد إحدى هذه الفرق من «الهراطقة».

٣٨٢: الإمبراطور تيودوسيوس يعلن الحرب ضد المرتدين عن المسيحية

فى أعوام ٣٨٢و٣٨٣ و٣٩١ تم إصدار قوانين تنفى الذين يرتدون من المجتمع. فأى شخص يتخلى عن المسيحية الكاثوليكية ويعتنق أية ديانة أخرى، تنزع ممتلكاته، ويحرم من الميراث، ويمنع من المساهمة فى الحياة الاجتماعية أو أن يغيّر سكنه. وينص القانون على أن المرتد عليه أن يواصل حياته فى نفس المكان الذى يقيم فيه مع استمرار نفيه عن المجتمع، فذلك أصعب نفسيا من النفى خارج البلاد.

٣٨٥:

تعيين تيوفيل (وقد تم تقديسه فيما بعد) بطريارك الإسكندرية. وما أن

استلم مهام منصبه حتى بدأ حملة عنيفة لهدم المعابد والهياكل غير المسيحية. وذلك بموافقة ثيودوسيوس، الذى بفضله تم هدم معابد مترياد وديونزيوس فى الإسكندرية. وتألق جنون الهدم ووصل ذروته عام ٣٩١ بهدم معبد سيرابيس ومكتبته، وتم استخدام حجارة المعابد المهدمة لبناء كنائس جديدة للديانة الوحيدة المسموح بها: المسيحية!

ولكى يرى الجميع أنه باستطاعته النيل حتى من المسيحيين الذين لا يمتثلون له ولعقيدته ١٠٠٪، قام ثيوفيل شخصيا بقيادة فرق تهدم الأديرة التابعة لأفكار أوريجنوس لأنه كان يقول إن الإله لا يمكن أن يتجسد واعتبروه من الهراطقة. وفى عام ٣٨٥ أيضا تم حرق أول هرطقى حيا بعد تعذيبه. وبدأ تعميم هذه الممارسة من عام ٤٤٧.

٣٨٩: لأول مرة يقوم أحد الأساقفة بإملاء السياسة التى يتعيّن على الإمبراطور أن يتبعها

ففى ذلك العام قام القديس امبرواز دى ميلان، فى وسط الكاتدرائية، وطلب من الإمبراطور أن يلغى الأمر الذى كان قد أصدره للأسقف كاللينيكم بإعادة بناء معبد يهودى كان الأسقف، وفريقه قد هدموه. وبذلك كانت الكنيسة تتخذ جانب حارقى المعابد اليهودية منذ نشأتها. وهو موقف ظلت تمارسه وتدعمه حتى عام ١٩٤٠.

٣٩٠:

الإمبراطور تيودوز، الكاثوليكى الورع، أدخل عقوبة الإعدام لكل من يحتفل بعيد الفصح فى تاريخ مخالف لذلك الذى حدده مجمع نيقية الأول، كما أصدر مرسوما يحرّم نهائيا عبادة أى آلهة أخرى سوى الإله المسيحى فى كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية، الأمر الذى أدى إلى إغلاق المعابد غير المسيحية ومنع إقامة أية شعائر «وثنية». وهذا الإلغاء الصارم لحرية العقيدة

والذى تم لصالح المسيحية وحدها، كان يثير بعض الإضرابات أحيانا، مثال تلك التى وقعت فى كالاما عام ٤٠٨ بشمال أفريقيا. وفى إطار هذه الحملة لاقتلاع كل ما هو غير مسيحى من الإمبراطورية بأسرها، قام الإمبراطور عام ٣٩٣ بإلغاء الألعاب الأوليمبية.

ويقول ريبونى إن فى هذه الحملة الكاسحة لاقتلاع كل ما هو غير مسيحى، تمت حركات قتل واسعة ضد الوثنيين واليهود. ففى هذا الإطار قام المسيحيون بهدم معبد سيرابيس فى الإسكندرية. أما فى منطقة جول فكان القديس مارتين، الذى يقال إنه قد أعطى نصف معطفه لأحد الفقراء فى فصل الشتاء، كان يجوب الريف بصحبة شرذمة من الرهبان المتعصبين ليهدموا كافة الرموز الخاصة بالديانة السابقة وتتصير الوثنيين الرافضين بالهراوات.

أما فى مدينة روما، فقد فرض الإمبراطور تيودوز، بناء على طلب من البابا سيريس قسما غليظا على أعضاء مجلس الشيوخ: فقد كان عليهم أن يقسموا بالتخلى عن عبادة جوبيتير ويقسموا بالولاء ليسوع. وتم رفع تمثال النصر من مجلس الشيوخ ووضع صليب مكانه.

ويقول ريبونى إن فى نفس هذه الفترة، فى جرمانيا، بدأت أولى عمليات الإعدام لغير المسيحيين. وهو تقليد ستطوره الكنيسة مع محاكم التفتيش وسيستمر حتى عام ١٨٢٦.

٣٩١:

فى هذا التاريخ قامت جماعة من المسيحيين ومعهم عدد من الرهبان المتعصبين، بقيادة كل من القديس اطناز والقديس تيوفيل، بهدم المعبد والتمثال الكبير للإله سيرابيس بالإسكندرية وهما من أجمل الأعمال الأثرية. كما تم هدم كافة المؤلفات الموجودة بالمعبد، وقتل العديد من الوثنيين. أما

تماثيل المعبد المصنوعة من الذهب فقد تم صهرها وأدخل المعدن الثمين إلى خزانة الأسقفية.

٤٠١ ـ القديس أغسطين

يعتبر القديس أغسطين، أسقف قرطاجة، علاّمة الكنيسة، بل يعتبرونه أكبر مفكر عرفته الكنيسة فى عصورها الأولى، وسوف تقود مؤلفاته فيما بعد، وخاصة «نظرية الحرب العادلة» إلى تبرير الحروب الصليبية. ويوضح الباحث قائلا: «إلا أن الكنيسة حريصة اليوم وتتكتم المصادر والأعمال التى أدت إلى هدم المعابد والتماثيل، وهى الأعمال التى كرس لها ذلك القديس كل ذلك الجهد أثناء حياته». ومنذ عام ٣٩٩ بدأ هدم التماثيل الوثنية فى مدينة قرطاجة. وفى يونيو ٤٠١ طالب القديس أغسطين بأن تعامل قرطاجة مثل روما! أى أن تغلق المعابد وتهدم التماثيل. وانهالت فرق المسيحيين المتعصبين للنيل من التماثيل والمعابد التى كانت مازالت فى المدينة وحطموها.

٤٠٨ ـ اضطرابات كالاما

بعد انتصاره فى أحداث قرطاجة، أصر القديس أغسطين على هدم المعابد والتماثيل فى مدن الضواحى والمقاطعات. وشيئا فشيئا امتدت كلمات ذلك القديس حتى شمال أفريقيا، وقام المتعصبون بعمل نفس الدمار فى مدنها. وفى كالاما (معروفة اليوم باسم جلمة الجزائر) استولى المسيحيون على معبد هرقل وقتلوا ستين شخصا فى تلك المعركة.

٤١٢:

تعيين سيريل (وهو معروف اليوم باسم القديس سيريل، علاّمة الكنيسة) أسقفا فى مدينة الإسكندرية خلفا لعمه تيوفيل. وقد أثار العديد من المشاعر المعادية للسامية وسط المسيحيين، وترأس جماعة من المسيحيين المتعصبين لحرق معابد اليهود بالمدينة ودفع اليهود على الفرار. وقاموا بالاستيلاء على مخلفات اليهود التى تركوها خلفهم.

٤١٥ ـ هيپاثيا

كانت هيپاثيا ابنة نيون السكندرى، مدير مكتبة الإسكندرية وآخر أكبر عالمة رياضيات وفلسفة فى مدرسة الإسكندرية. وقد قتلها شرذمة من الرهبان المسيحيين بناء على توجيهات من سيريل، أسقف الإسكندرية، الذى ستقوم الكنيسة فيما بعد بجعله قديسا. وبعد إعدامها بلا محاكمة، قام الجناة بسحب جثتها داخل الكاتدرائية وتولى الرهبان تقطيع جسدها بناء على أوامر الأسقف سيريل. وكانت حجة المسيحيين فى النيل منها أنها كانت مدرسة رياضيات بارعة وتمثل تهديدا ضد انتشار المسيحية بسبب تعليمها العلوم وفلسفة الأفلاطونية الجديدة. ويقول ريبونى إن كونها سيدة جميلة كان وجودها غير محتمل فى نظر هؤلاء المسيحيين. ويمثل مقتلها نقطة تحول كبرى إذ غادر العديد من العلماء مدينة الإسكندرية متجهين إلى الهند أو فارس. ولم تعد الإسكندرية تمثل مركز الإشعاع العلمى فى العصر القديم. ويحدد ريبونى أنه منذ ذلك الوقت بدأ العلم يتقهقر فى الغرب ولن يصل إلى مستوى الإسكندرية القديمة إلا فى فجر الثورة الصناعية. ثم يضيف قائلا إن أعمال مدرسة الإسكندرية المتعلقة بالرياضيات والفيزياء والفلك قد حفظت بفضل المسلمين والعرب والفرس والهنود بل والصينيين. بينما غاص الغرب فى عصر الظلمات التى لم يبدأ يفيق منها إلا بعد حوالى ألف عام..

ويسخر الكاتب قائلا إنه اعترافا بكفاءاته فيما يتعلق باضطهاد جماعة العلماء قامت الكنيسة بترسيم الأسقف سيريل قديساً، وفى عام ١٨٨٢ قامت بإضفاء لقب «علاّمة الكنيسة» عليه..

٥٣٢:

قام الإمبراطور جستيان بإغلاق مدرسة الفلسفة فى أتينا، وكانت تعتبر آخر معقل للوثنية فى اليونان. وبذلك ساد عصر الظلمات والجهل فى كل المنطقة. الأمر الذى دفع العلماء إلى نفى أنفسهم فى بلاد فارس.

٥٩٠- جريجوار الأول

جريجوار الأول المعروف باسم جريجوار الأكبر، واليوم اسمه القديس جريجوار، تم تعيينه فى منصب البابوية. وهو معروف تاريخيا بأنه أول من ابتدع الحروب الصليبية. فلقد أرسل خطابا طويلا إلى چنّا ديوس، حاكم أفريقيا لدى الإمبراطورية الرومانية فى الشرق، يحثه فيه على «القيام بعدة حروب تهدف إلى تنصير شعوب الأراضى المحتلة بالقوة». وقد قام القديس جريجوار بتنصير اليهود بأن قدم لهم العديد من المزايا المالية، مع تدعيمه لسياسة التنصير القهرى الذى كان يقوم بها ملك الفيزيجوت فى إسبانيا. وهذا القديس جريجوار كان أيضاً عدوّاً للعلوم والمعرفة العقلانية. ويوضح ريبونى أنه يوجد فى المحفوظات خطاب موجه منه إلى أسقف فيينا فى فرنسا يقول فيه: «لقد علمنا بشأن معلومة، أرددها لك بشىء من الخجل وهى: يبدو أنه يقومون فى أبرشيتك بتعليم الأجرومية»؟! وبخلاف انتقاده لتعلم قواعد اللغة، حاول منع تدريس الثقافة الرومانية بصفة عامة، بما فى ذلك اللغات والعلوم والفلسفة وعلم الأساطير.

ويسخر هنا إنريكو ريبونى قائلا: «ونظرا لجهوده ضد الثقافة وتشجعيه على الحروب الصليبية، فإن القديس جرايجوار الأكبر يعتبر اليوم مؤسس العقيدة الاجتماعية المسيحية التى سيتم تنفيذها طوال القرون الوسطى فى أوروبا.

من القرن السابع إلى القرن الخامس عشر: القرون الوسطى المسيحية:

انتهزت الكنيسة فرصة اختفاء المكتبات الكبرى الرومانية والغياب شبه الكامل لنشاط النشر فى أوروبا، وحصلت بذلك بحكم الواقع على احتكار مجمل وسائل الكتابة والإعلام. ويوضح الباحث كيف ترك الشعب عمدا فى غياهب الجهل، كانوا يمنعونه من قراءة الإنجيل إذا ما استطاع الحصول على نسخة. ومنذ القرن الثالث عشر ستقوم محاكم التفتيش بمنع امتلاك أية

أسفار من العهد القديم منعا قطعيا. وفرضت الكنيسة مخالبها بالتدريج على المجتمع: محاكم التفتيش، تبتل القساوسة، فرض الزواج وإن كان يحمد لها منع أية علاقة جنسية بدونه.. وفى هذه الفترة أيضا تطورت وانتشرت بدعة ستمثل جزءاً هاما من التراث الكنسى، ألا وهو: حرق الناس أحياءً. فقد تم حرق مليون «ساحرة» (وهى تهمة مطاطة الأبعاد) خلال القرون الوسطى. وكانت المدن تتسابق فى ضرب الرقم القياسى لعدد الحرقى فى العام الواحد. ويقال إن مدينة مامبرج، مقر الأبرشية، وصلت لرقم ستمائة فى العام.

٨٠٤:

قيام الإمبراطور المسيحى شارلمان بتنصير الساكسون بأن خيرهم بين اعتناق المسيحية أو قطع الرأس! ويقول الباحث إن عدة عشرات الآلاف من الرؤوس قد سقطت بمباركة الكنيسة، «فقد كان القساوسة يساهمون فى لعبة الإمبراطور».

٨٩٧: أحد الباباوات يحاكم سلفه

قام البابا إيتيين السادس بإخراج جسمان سلفه، البابا فورموز، بعد دفنه بعدة أشهر. وأحضر الجسمان مسحوبا من قدميه أمام السينودس المنعقد بأمره. وبعد أن قام بإدانة المتوفى بصورة طنانة، أمر بقطع ثلاثة أصابع من يده اليمنى، ثم أمر برمى جسمانه فى نهر التيبر. وقد تم انتشال جسمانه من النهر ودفنه سرّاً دون علم البابا. وفى عام ٩٠٥ علم البابا الجديد سرجيوس الثالث بهذه الواقعة فأمر بإخراجه من مقبرته وارتدائه الثياب الباباوية وأجلسه على العرش وأعيدت محاكمته. ثم قطعت رأسه وثلاثة أصابع أخرى، ثم أعيد إلقاؤه فى النهر. وهذه المرة لم يهتم أحد بانتشاله ودفنه!

وسبب كل هذه المهانة الغريبة أنه تمت تعديات كهونتية عند تعيينه، ولم

يلتزم بالحرمان الذى كان البابا يوحنا الثامن قد نطق به، ولم يلتزم بالقسم الذى أداه فى مدينة طروادة عام ٨٧٨ بألا يحتال على الوظائف أو المهام الكهونتية!!

انشقاق الشرق

لقد زعم باطريارك القسطنطينية أنه لابد من استخدام خبز مصنوع بالخميرة لعمل فطيرة المناولة التى تتحول إلى لحم السيد المسيح أو كما يطلق عليها ريبونى «من أجل طقس أكل لحم الإله» الذى يتوسط القداس المسيحى! إلا أن البابا، أسقف روما، راح يؤكد أنه لابد من استخدام خبز مصنوع **بدون خميرة**. «وحول هذه المسألة شديدة الأهمية انقسمت المسيحية فيما عرف باسم «انشقاق الشرق» وقام الباطرياركان - فى روما وفى القسطنطينية - بحرمان كل منهما للآخر. وظل هذا الانقسام يتسبب فى تزايد عدد القتلى حتى عام ١٩٩٠ (ومن هذه المعارك الحروب الأهلية فى يوغسلافيا، الكاثوليك ضد الأورثوذكس).

القرن الحادى والثانى عشر

يتناول الباحث هذه الحقبة بتلك السخرية التى يتميّز بها أسلوبه أحيانا، قائلا: «حيال زيادة تعداد سكان أوروبا، اقترحت الكنيسة وسيلة «طبيعية» للسيطرة على هذا النمو، ألا وهى: الحروب الصليبية. فلقد أعلنتها عام ١٠٩٥، وفى عام ١٠٩٩ تم «تحرير» القدس.. فعندما دخلت فرق الصليبيين المدينة، قام الحاكم المسلم بتسليم نفسه مقابل وعد أن المدنيين لن يصيبهم أى مكروه. وبالطبع، تم الإجهاز على السكان، وكانوا يتكونون أساسا من المسلمين واليهود إلا أن الصليبيين لم يفتهم اغتصاب النساء والأطفال قبل ذبحهم أو بقر بطونهم. ويقدر عدد المدنيين الذين أبيدو بحوالى سبعين ألفا. ولقد تمت آخر حلقة من هذه المجزرة فى المعابد اليهودية وفى المساجد حيث

كان السكان قد لجأوا إليها فزعين، اعتقادا منهم أن الطابع الدينى للمكان يمكنه أن يوحى للصليبيين بالرأفة. وبالطبع لم يتأثر أحدهم ودخل الصليبيون ليحيلوا أماكن العبادة إلى ركام جثث شاسعة. ولقد استمرت مجزرة آلاف المدنيين الغارقين فى دمائهم فى ساحة المسجد الكبير عدة ساعات. وقد قال قادة هذه الحملة بفخر مجيد: «لقد أجهزنا على كل ما يتنفس فى هذه المدينة»!

١٠٩٠ ـ ١١٥٣: القديس برنارد دى كليرفو علامة الكنيسة:

لقد تم اعتبار القديس برنار دى كليرفو من القديسين منذ عام ١١٧٤، ثم تمت ترقيته إلى درجة علاّمة الكنيسة عام ١٨٣٠، ثم قام البابا بيوس الثانى عشر برفع درجاته مرة أخرى عام ١٩٥٣ ليطلق عليه «العلاّمة الذى يقطر شهداً»! ويسخر ريبونى من تلك الواقعة الهامة أو من ذلك النموذج المثالى الفذ الذى تواصل الكنيسة تقدير جهوده حتى فى القرن العشرين، حتى وإن كانت هذه الجهود ترجع إلى القرون الوسطى. وهنا يقول الباحث: «بالفعل، إن كفاءات القدّيس برنار جد كبيرة: فهو الذى أشعل الحرب الصليبية الثانية بخطبه الحماسيه التى أقنعت شباب أوروبا بالذهاب إلى الشرق لإبادة الهراطقة... وبعد أن قام عام ١١٤٦ بالتبشير والدعوة للحرب الصليبية جنبا إلى جنب مع ملك فرنسا، ذهب إلى ألمانيا ليبشر بها قائلا عبارته الشهيرة: إن المساهمة فى الحرب الصليبية عملية مجزية، لأنها تمنح تلقائيا العفو التام من كافة الخطايا.. إلا أن الألمان كانوا أقل سهولة فى الاقتناع من الفرنسيين، خاصة إن على حدود ألمانيا توجد الشعوب السلافية التى كانت لم تتنصر بعد، والتى يمكن إبادتها دون تكبد معاناة السفر حتى فلسطين.

ونجح القديس برنار فى الحصول على موافقة البابا لتوسيع نطاق الحرب الصليبية. ومنحه البابا ما أراد بالخطاب الرسولى المعنون: «الإعفاء الإلهى» ـ أى الإعفاء من الذنوب..

«إلا أن القديس برنار خشى أن يكون الجنود الألمان رحماء مع السلاف، لذلك أصبحت خطبه أكثر تحديدا إذ أوضح لهم أن هدف هذه الحملة هى «إبادة (Vernichtung) الوثنيين القائمين على الجانب الأخر من نهر إلب». ولقد أصر القديس على توضيح أن الهدف من هذه الحملة ليس استعادة الأراضى، كما فى فلسطين، إنما عملية إبادة. وإنه يتعين على الجيوش الصليبية تخيير كافة الوثنيين الذين سيلاقونهم: «الإبادة أو التنصير» (Vernichtung oder Bekehrung). ثم تحولت العبارة، لأسباب تسويقية إلى: «الموت أو التعميد» (Tod oder Taufe). وأدرك السلاف فحوى الرسالة وما كان منهم إلا أن قاموا بتعليق الصلبان على أبواب منازلهم وأعلنوا قبولهم الديانة الجديدة بحماس. وقد أصيب القديس برنار بإحباط من قلة الدماء التى سالت فى هذه الحرب الصليبية، بينما فرح البابا وطاقمه بأن هذه الحرب الصليبية قد أرست قواعد الكاثوليكية بالسيف فى الشعوب السلافية لشمال غرب أوروبا، بحيث أن بولندا وجزءا كبيرا من سكان بلاد البلطيق اعتنقوا الكاثوليكية».

ثم يوضح الباحث أن القديس برنار لم يكتف بأن الكاثوليك لم يقتلوا عددا كافيا من الوثنيين، فدخل فى صراعات مع العديد من رجال اللاهوت فى عصره، ومنهم جيلبر دى لاپوريه الذى تم إعدامه بسبب القديس برنار، وأرنولدو دا بريشيا الذى أخذ رماده بعد أن أعدم فى روما ونثروه فى النهر. ولقد احتفظ التاريخ بالعديد من خطب القديس برنار إلا أنه يبدو أن أهمها كانت بعنوان: «حب الله»!!

١١٨٢: مذابح اللاتين فى القسطنطينية

يقول ريبونى إنه فى مدينة ذلك الباطريارك الورع، الذى يأكل المناولة بالخميرة، استقر فريق من التجار اللاتين فى مطلع القرن الثانى عشر، وكانوا من فنيسيا وجنوا وبيزا وأمالفى. إلا أنهم كانوا يتمتعون بكل ما يمكنه أن

يغضب رجال الدين الأروثوذوكس: إذ لم يكن من عادتهم استخدام الخبز بدون خميرة من أجل طقس المناولة، كما كانوا يقومون بعلامة التصليب بالاتجاه العكسى، أى من الشمال إلى اليمين وليس من اليمين إلى الشمال! وقام البابا الاورثوذكسى باستثارة السكان.. وذات صباح مشمس من شهر مايو عام ١١٨٢، تحركت الجماهير بقيادة البابا لتنقض على اللاتين وتم الإجهاز على آلاف الرجال والنساء والأطفال.

١٢٠٤:

يوضح ريبونى أن الحرب الصليبية الرابعة قد عدلت مسارها لتمر بالقسطنطينية، التى كانت آنذاك أكبر عاصمة مسيحية. «إلا أن المسيحيين يجيدون القتل فيما بينهم مثلما يقتلون الآخرين. وطوال ثلاثة أيام متتالية تعرض أهالى القسطنطينية إلى القتل والسلب والنهب بعنف لا يوصف».. الأمر الذى زاد من عمق الانشقاق بين الكنيستين.

١٢٠٨ ـ ١٢٤٤: الحروب الصليبية ضد الألبيجوا

من أشهر الصفحات السوداء المسيحية تعتيما، تلك الحرب الصليبية التى قادتها الكنيسة الكاثوليكية البابوية فى روما ضد الألبيجوا والكاتار، وقلّة هم الذين يعرفون بوقوعها فى التاريخ أو سمعوا عنها. وقد أفرد لها إنريكو ريبونى مساحة واضحة فى بحثه. ولعل التعتيم الذى يحيط بها يرجع صراحة إلى أنهم كانوا يعتنقون مذهب الأريوسية فى المسيحية، وهو المذهب الخاص بالأسقف أريوس، من القرن الرابع، والذى اعترض بشدة على تأليه السيد المسيح وهو بذلك أكثر المذاهب المسيحية قربا للإسلام، وأكثرهم احتراما وتمسكا بوحدانية الله وعلى الرغم من اضطهاد الكنيسة له، مثله مثل كل «الهراطقة إلا أن مذهبه قد انتشر حتى تمت إبادة أتباعه بهذه الحملة الصليبية، والمعروف تاريخيا أن الذين نجوا من هذه المجزرة وفرّوا منها هم الذين اعتنقوا الإسلام وكونوا مسلمى البوسنة.. الأمر الذى يفسر

لماذا بدأت حرب اقتلاع الإسلام والمسلمين فى التسعينيات من القرن العشرين بتلك المنطقة، ولماذا تم التواطؤ وانقض التعصب ليعيد التاريخ فى مجزرة سريبرينيتسا تلك المجزرة التى تمت تحت أعين وبمساعدة الفرقة الهولندية من الخوذات الزرقاء (الأمم المتحدة)، والتى كانت قد تلقت أوامر سرية من رئيس الوزراء الهولندى، التابع لليمين المسيحى، وأدى انكشاف ذلك الأمر إلى إقالة الوزارة سنة ٢٠٠٢ بعد أن تناولته الصحف العالمية.. لكن ذلك لم يمنع اغتيال مالا يقل عن تسعة آلاف وخمسمائة مسلم فى أكبر مجزرة عرفتها أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية..

ويقول ريبونى إن تصرفات القساوسة الخارجة عن الحد، خاصة طوال النصف الثانى من القرن الثانى عشر، ولا أخلاقياتهم المفضوحة كانت تضير سكان أوروبا بصورة متزايدة. ومن ناحية أخرى كانت الفرق المنشقة تتزايد وأهمها الڤودوا، والكاتار أو الألبيچوا، الذين بدأوا يشيدون كنائسهم الخاصة للصلاة بعيدا عن الكنائس الكاثوليكية. ويوضح الباحث هنا أن الڤودوا كانوا نوعا من البروتستانت قبل قيام هذا المذهب رسميا، لكنهم قرروا مقاطعة القساوسة والصلاة إلى الله بدون وساطتهم أو قيادتهم. وبدأت السلطات المدنية والكنسية تتصدى لهم حتى اضطروا إلى اللجوء إلى وديان جبال الألب.

أما الألبيچوا فكانت قضيتهم أكبر أهمية، من حيث العدد إنهم كانوا يتبعون الأريوسية الرافضة لتأليه السيد المسيح. وانتشرت هذه العقيدة فى جنوب وجنوب شرق فرنسا. وكانوا يلتزمون بالتعاليم الأخلاقية السامية بجدية وصرامة. وما كان من البابا إينوسنت الثالث إلا أن طالب عام ١٢٠٨ بحملة صليبية ضد هؤلاء «الهراطقة»، وبعدها بقليل انطلقت الحملات العسكرية لتقتلهم.

ففى ٢١ يوليو ١٢٠٩ وصلت الحملة الصليبية مدينة بيزييه الكاثوليكية، بقيادة أرنو آمورى، الرئيس العام لجماعة دير سيتو الكاثوليكى، والمندوب عن

البابا رسميا. وقام آمورى بتسليم أسقف المدينة كشفا به ٢٢٢ اسما من أسماء «الهراطقة» الكاتار أو الفودوا، وأمره إما بتسليمهم للصليبيين أو أن يغادر البلدة ويتركها بمن فيها. وفى حالة الرفض «فإن الكاثوليك من سكان المدينة سيصيبهم نفس مصير «الهراطقة». وخرج الأسقف ومعه بضعة كاثوليك وتركوا المدينة. ووفّى مندوب البابا بوعده: ففى الصباح التالى قام الصليبيون باقتحام المدينة، وأعطى أرنو آمورى أوامره بتلك الصيحة التى أدخلته التاريخ: «اقتلوهم جميعا والله سيتعرف على أتباعه» أى على الكاثوليك! وبدأت المجزرة البشعة.. واختبأ حوالى ألف شخص فى كنيسة القديسة مادلين، آملين الحماية وأن الصليبيين سيحترمون حرمة المكان.. وخابت آمالهم، فقدتم الإجهاز عليهم جميعاً بما فى ذلك قساوسة الكنيسة الكاثوليكية! وأشعلت النيران فى المدينة «ووقف ارنو آمورى لإقامة قداس يشكر الرب على مثل هذا النصر السهل». ويعلق الباحث قائلاً: «ومعه كل الحق فى أن يفرح ويقيم قدّاس شكر بما أن عدد القتلى فى ذلك اليوم كان ٢٥ ألفا من الضحايا من بينهم «الهراطقة» الـ ٢٢٢ المطلوبون»!

ويقول ريبونى إنه باستثناء موقعة مدينة بيزييه الشهيرة، فإن هذه الحرب الصليبية كانت مسرحاً للعديد من الحملات المماثلة فى مدن أخرى. ففى بلدة مارمند، قام الأهالى بالاستسلام لجيش الصليبيين المكون من ٢٠ أسقفا، و ٦٠٠ فارس، و ١٠٠٠٠ من رماة الأسهم. ولم يفد الاستسلام سكان المدينة البالغ عددهم خمسة آلاف، فقد تمت إبادتهم جميعا بما فى ذلك النساء والأطفال. وأقيمت أكبر محرقة صليبية فى التاريخ، فى ٣ مايو ١٢١١، بقصر لافور، حيث تم حرق ٤٠٠ شخص فى محرقة واحدة! «أما سيدة القصر فقد تم تسليمها للجنود، جنود الرب، وبعد أن تناوبوا عليها قذفوها فى بئر وردموها بالحجارة»..

ولقد خلت مقاطعة مدينة تولوز تقريبا من سكانها بسبب هذه الحرب

التى اجتاحت السكان المدنيين بوحشية لا سابقة لها فى التاريخ الأوروبى منذ غزوات البرابرة. وقد تم إبادة سكان العديد من المدن ومنها مدينة كاركاسون. ولم تتوقف هذه الحرب القائمة على القتل العمد إلا بسقوط ضاحية مونسيجور، آخر معقل للكاتار، فى فبراير ١٢٤٤. وفى أول مارس ١٢٤٤ أقامت الكنيسة الكاثوليكية المنتصرة آخر محرقة فى تلك الحملة، لحرق ٢٠٥ أشخاص فى محرقة واحدة. وبذلك تم هدم حضارة منطقة أوك وهى النصف الجنوبى لفرنسا.

وفى أيام هذه المجزرة البشرية قامت الكنيسة بإنشاء ما أطلقت عليه محاكم التفتيش، التى ستواصل حرق المشتبه فيهم أو أى شخص يبدى ميولا للكاتار. وذلك مثال جيوم بلليباست وكان من الكاتار الورعين وهرب إلى مقاطعة كتالونيا وظل بها عدة سنوات إلا أن محاكم التفتيش قد تعرفت عليه وأحرقته حيا ببلدة ڤيلروج.

١٢٢٤ ـ تشريع إبادة الهراطقة

قام الإمبراطور فريدريك الثانى بإصدار مرسوم ينص على أن الهرطقة يجب أن تكون عقوبتها الموت أو قطع اللسان، والاختيار متروك للقاضى. وقد راقت فكرة تقنين ممارسة كان رجال الكنيسة يمارسونها بالفعل، وتبعتها عدة تشريعات مماثلة اجتاحت أوروبا. ففى عام ١٢٣١ نص الدستور الصقلّى على ضرورة حرق الهراطقة، وانتهت بذلك إلى ما كان سائدا بالفعل فى ألمانيا. وفى فينسيا، تم تعديل القسم الدوقى، فكل من تتم ترقيته إلى درجة دوج (قاض أول فى جمهوريتى جنوا والبندقية)، منذ عام ١٢٤٠، عليه أن يقسم بحرق كافة الهراطقة. وفى ١٢٥٥، أمر الفونس العاشر، ملك قشطلة وليون، بحرق أى مسيحى يقوم باعتناق الإسلام(*) أو اليهودية. وفى عام ١٢٧٠، نص

(*) ومن الغريب أن يطالب القائمون على الحوار من الجانب الكنسى بإلغاء حد الردة لتسهيل عملية تنصير المسلمين!

القانون الفرنسى على جعل عقوبة الهراطقة إجبارية بالحرق أحياءً، على الرغم من ممارسة هذه العقوبة قبل تقنينها. وفى إنجلترا تم اعتماد مثل هذا القانون عام ١٤٠١ فقد كان من المتبع حتى ذلك التاريخ، الاكتفاء بكى وجه الهراطقة بالحديد المحمى..

١٢٢٨: سن أول قانون معادٍ للسامية بإسبانيا

قرر الملك جاك الأول بمقاطعة أراجون، بعد اجتماع مع عدة أساقفة، أن يحرِّم على اليهود أن يكون لديهم خدم من المسيحيين.

١٢٣٤: اختراع النجمة الصفراء

قرر مجمع مدينة آرل مبدأ فرض علامات مميزة على اليهود أن يرتدوها، وبذلك كان سباقا بخمسمائة عام على الإدارة الجمركية السويسرية والسويدية اللتين أصرتا منذ عام ١٩٣٨ على وضع حرف «J» على جوازات سفر اليهود، وكذلك الإدارة النازية، والكنيسة الكاثوليكية التى اخترعت مبدأ وضع علامات مميزة على الأشخاص الذين يتعيّن اضطهادهم.

١٢٢٦ ـ ١٢٧٠: لويس التاسع ملك فرنسا

ويعود الباحث إلى سخريته وهو يتناول تاريخ ملك فرنسا لويس التاسع، المشهور بورعه الكاثوليكى.. إذ قامت الكنيسة بإضفاء صفة القداسة عليه عام ١٢٩٠، اعترافا بكفاءاته المتفردة.. ويحدد الباحث السبب، أن القديس لويس كان قد أطلق عنان حملتين صليبيتين، انتهت كل منهما بصورة مأساوية، «لكن ذلك لايهم طالما الهدف هو القتل والسلب والنهب ـ وذلك هو أهم شىء فى نظر الكنيسة الكاثوليكية الشديدة الرحمة»! أما على الصعيد الداخلى، فيوضح الباحث أن القديس لويس قد تصرف بحيث يمكن للعدالة أن تقوم بمهمتها بصفة منتظمة مع المنشقين أو «الهراطقة»: «إذ سوف يوضعون على الخازوق ويثقب لسانهم بالسيخ المحمى»...

١٢٢٥ ـ ١٢٧٤: القديس توما، علامة الكنيسة

يعد القديس توما اليوم الفيلسوف الكبير للكاثوليكية، وذلك بفضل مؤلفاته وخاصة كتابه المعروف باسم «مجمل اللاهوت»، ويعد المرجع الأساسى فى المنهج الكاثوليكى وكثيرا ما يستشهد به البابا يوحنا بولس الثانى فى خطبه الرسولية.. ومن أهم مايتناوله القديس توما فى «مجمل اللاهوت» هذا، ضرورة قتل الهراطقة، إذ يقول:

«فيما يتعلق بالهراطقة، هناك شيئان يجب أخذهما فى الاعتبار: واحدة تقع على الهراطقة، والأخرى تقع على الكنيسة. مايقع عليهم هو الإثم والخطأ الذى بمقتصاه لايستحقون أن يفصلوا من الكنيسة فحسب، ولكن أن يُستأصلوا من الدنيا بالموت. فى الواقع، إن محاولة إفساد العقيدة التى تؤدى إلى حياة الروح، لأكبر ذنباً من تزييف النقود التى لاتفيد إلا الحياة الدنيا. وبالتالى، إذا ما كان المزيفون أو المجرمون يعاقبون فورا بالموت عن استحقاق وبفضل العدالة، فمن البديهى أن يتم معاملة الهراطقة، ما أن تثبت عليهم التهمة، لا باستبعادهم عن الكنيسة فحسب وإنما بقتلهم بكل الحق» («مجمل اللاهوت»، الجزءالثانى، المسأله ١١، الهرطقة، البند ٣).

ويوضح ريبونى أن القديس تومايتناول المسألة من كل جوانبها ويحدد متى يجب قتل أحد الهراطقة: فإن تنكر لهرطقته وتاب عنها، لايجب قتله، وإن أصر عليها فيجب قتله بكل تأكيد. ويقول القديس توما بهذا الصدد:

«أما إذا عاد الشخص مرة أخرى إلى الهرطقة، فذلك يوضح زعزعة إيمانه. لذلك إذا ما رجع عنها ثانية فيؤخذ للعقاب مع عدم استبعاد عقوبة الموت». («مجمل اللاهوت»، الجزء الثانى، المسألة ١١، البند٤).

وسوف تقوم محاكم التفتيش بترسيخ هذه الممارسة. ففى الوقت الذى يصعد فيه المتهم إلى المحرقة سيكون أمامه أن يتوب ويندم و«يموت موتة

المسيحى الورع». وسوف تصل رحمة لجنة محكمة التفتيش إلى درجة أن الشخص الذى يتوب ويندم عند صعوده إلى المحرقة سيموت خنقا وليس حرقا بالنيران!

ويضحك الباحث من إطلاق صفة «العلاّمة الملائكى» على القديس توما، «مشرِّع إبادة الهراطقة» فى نظره. أما عن العقائد الأخرى، غير اليهودية التى أفرد لها جانبا من المعاملة، فقد كتب العلاّمة الملائكى قائلا: «أما عن طقوس الكفرة الآخرين (ويقصد بهم المسلمين بالطبع)، فهم لا يمتلكون أى عنصر من الحقيقة أو المنفعة ولايوجد أى سبب يجبرنا بتحملهم» («مجمل اللاهوت»، الجزء الثانى، المسألة ١٠، الكفر بصفة عامة البند ١١). وغنى عن الإشارة بكل أسف أن هذا المفهوم، عن الإسلام والمسلمين، لايزال هو السائد فى الفكر الكنيسى ولدى الكثير من الأتباع.. ولا غرابة فى ذلك فالقديس توما يعد اليوم هو فيلسوف الكنيسة الكاثوليكية، ويكفى أن نقرأ الخطاب الرسولى للبابا يوحنا بولس الثانى الصادر عام ١٩٩٨ والمعنون: «الإيمان والعقل» والذى يستشهد فيه البابا طيلة الوقت بالقديس الملائكى لا بأى فيلسوف سواه..

١٢٣١: إنشاء محاكم التفتيش

حتى عام ١٢٣١ كانت مهمة اكتشاف وكشف ومعاقبة «الهراطقة» تقع على عاتق الأساقفة. ويقول ريبونى إنه مع الوقت أصبحت هذه المهمة صعبة ثقيلة على هؤلاء «الرعاة» الذين يرعون مصالح أتباعهم. فقرر البابا إنشاء مؤسسة مستقلة، يكون لديها الوقت الكافى والوسائل اللازمة لتتفرغ فحسب لاقتلاع الهراطقة والسحرة. فتم إنشاء محاكم التفتيش. ويوضح ريبونى أن لجان هذه المحاكم قد أبادت أكثر من مليون شخص من الهراطقة والسحرة والمسلمين واليهود الذين تم تنصيرهم لكن اللجنة تشك فى ولائهم. وسرعان ماقام البروستانت بعد ذلك بتقليد الكاثوليك، وكانت لهم محاكم أيضا على

غرار الكنيسة الأم. إلا أن ريبونى يقول: إن البروتستانت كانوا يحرقون الأطباء والعلماء إذا ما سنحت الظروف.

ولم تتنكر الكنيسة أبدا لمحاكم التفتيش، بل ستضمن استمراريتها حتى يومنا هذا مع تغيير المسميات. ففى عام ١٩٠٦ قام البابا بيوس العاشر بتغيير الاسم أو اختصاره الى ما معناه حرفيا: «المكتب المقدس». وفى عام ١٩٦٥ أعيد تغيير الاسم إلى «لجنة عقيدة الإيمان». وفى عام ١٩٩٧ وافق البابا على فتح أرشيف لجان محاكم التفتيش للمؤرخين الذين تم اختيارهم بعناية فائقة - على حد قول ريبونى، الذى ينتقد الذين يصرون - رغم ذلك التاريخ الممتد - على إنكار أن هذه المحاكم كانت موجودة بالفعل قائلا: إنهم يتناسون أن ممارسات محاكم التفتيش من تعذيب وقتل كانت قد بدأت بعد وصول المسيحيين إلى الاستيلاء على الحكم فى روما القديمة، وأن محاكم التفتيش كمؤسسة وممارسات تمتد عبر كل تاريخ المسيحية.. إنهم يتناسون أن أسس محاكم التفتيش موجودة فى الكتاب المقدس، وخاصة فى سفر اللاويين. وسفر يوشع، وأنهم كانوا يتصرفون وفقا لتعاليم النصوص المؤسسة لدينهم».

ثم يواصل قائلا: «إن المسيحيين الذين يحاولون اليوم فصل المسيحية عن محاكم التفتيش ينسون أن العاملين بهذه اللجان كان يتم اختيارهم من مذهبين لايزلان قائمين حتى يومنا هذا، وهما: الفرنسيسكان والدومنيكان. وقد تم تكوين هذين المذهبين فى مطلع القرن الثالث عشر، ومنذ عام ١٢٤٤ كانا يتبعان البابا مباشرة. وبذلك كان فى خدمة الكنيسة جيش من الرجال المخلصين لأهدافها. وما أن حصلت لجان المحاكم على الموافقة باستخدام التعذيب، كان يحق لهم تعذيب الرجال من سن ١٤ عاما والنساء من سن ١٢ سنة! وقامت لجان محاكم التفتيش فى إسبانيا بإلغاء هذه التفرقة من قبيل المساواة بين الجنسين وجعلت سن المساءلة من عشر سنوات! وقد لجأت هذه المحاكم إلى إجراءات قانونية بأن تسمح للولى المسؤول عن الطفل بحضور

محاكمته. وهناك حالات لأطفال تمت محاكمتهم فى سن السابعة وتم تعذيبهم وإدانتهم كهراطقة. وأبناء الهراطقة كانوا يعتبرون هراطقة بالتبعية. وإذا لم تكن أعمارهم تسمح لهم بأن يعذبوا ويحاكموا كانوا يضعونهم فى أوان مليئة بالمياه الدافئة ويوثقونهم ويقطعون شرايين معصمهم. وكانت هذه الوسيلة تعد رحيمة فى نظر هذه المحاكم بدلا من حرقهم أحياء»!

١٢٣٧: استخراج الموتى لحرق رفاتها

يوضح الكاتب فى هذه الجزئية مدى تشبث التعصب الكنسى برأيه، ولعل هذه النقطة تقنع الذين ينكرون وجود محاكم التفتيش.. ففى مدينة تولوز وبينما كانت الحرب ضد الكاتار فى أوجها، أراد رجال هذه المحاكم أن يثبتوا للأتباع أن حتى الموت لا يمكنه أن يقف عثرة فى طريقهم! فقاموا باستخراج جثث العديد من الأشخاص، ومنهم نبلاء، وبعد أن تم الإعلان بأنهم قد ماتوا وهم «هراطقة»، يسحلونهم حتى ميدان السوق ثم يحرقونهم..

ويقول ريبونى: «يبدو أن فكرة استخراج الموتى لحرق جثثهم قد لاقت نجاحا كبيرا إذ استمرت محاكم التفتيش فى ممارستها طوال القرون الوسطى، فى أوروبا، وبعد ذلك اتبعت محاكم التفتيش الإسبانية نفس التقليد».

١٢٥١: البابا يقر مبدأ التعذيب

سنة ١٢٥١ أقر البابا إينوسنت الرابع مبدأ التعذيب للحصول على اعتراف الجناة، وأقر لجوء محاكم التفتيش إلى التعذيب، إلى هذه الوسيلة اللاإنسانية للحصول على الاعترافات.. وتشاء سخرية القدر أن يعنى اسم إينوسنت هذا: «البرئ»! وبذلك أصبح الحصول على اعترافات تدين الجانى، فى نظرها، أمراً سهلا.. إذ يمكن للمحكمة أن تنطق بالحكم بناء على اعترافات تم الحصول عليها بالتعذيب الذى كان يواكبه صلوات مفروضة المدة وصوم ومصادرة الممتلكات والسجن مدى الحياة أحيانا. ومع ذلك لم يكن

بوسع هذه المحاكم أن تنطق بحكم الموت، ويوضح الباحث السبب قائلا: «يرجع ذلك إلى نوع من اللؤم المميّز للكنيسة الكاثوليكية، إذ كانت تقدم المتهم وأدلة الإدانة الى المسؤول من قبل السلطات المدنية لينطق هو بحكم الموت. الأمر الذى سمح للكنيسة أن تقول فيما بعد إنها لم تقتل أحداً»!

وهنا يوضح الباحث حقيقة أخرى وهى. أن الحكم بموت «الهراطقة» يرجع إلى ماقبل إنشاء هذه المحاكم.. والجديد فى عام ١٢٣١ هو إنشاء مؤسسة متخصصة كل مهمتها هى ملاحقة الهراطقة والنيل منهم. كما يشير إلى أنه يجب على القارئ أن يفرّق بين ثلاثة أنواع من هذه المحاكم منعا للخلط: محاكم التفتيش القروسطية، والإسبانية، والحديثة أو الرومية.

وهذه الأخيرة لاتزال قائمة حتى يومنا هذا. وفى الواقع إن المبدأ العام لها واحد: التعرف على «الجانى»، وجعله يعترف بالتعذيب، ثم تسليمه للعدالة المدنية لسجنه مدى الحياة أو للحكم عليه بالموت. والفرق بين هذه الأنواع الثلاثة لايكمن إلا فى تفاصيل إجرائية أو سلطوية: أيام القرون الوسطى كانت هذه المحاكم تابعة للأساقفه وللبابا؛ والإسبانية كانت تابعة للملوك الكاثوليك، والرومية - التى يرجع عصرها إلى مابعد ثورة الإصلاح - تتبع البابا وحده.

١٣١٠: محرقة تولوز الكبرى

وهنا يكشف الباحث عن أسماء بعض المحققين فى هذه المحاكم من واقع سجلاتهم التاريخية. فيقول إن المحقق برنار جى ترأس محكمة لمدة أربعة أيام متواصلة، تم فيها حرق ثمانية عشر شخصا أمام المواطنين، وخمسة وستون حكم عليهم بالسجن مدى الحياه، ثلاثة منهم يقيدون بالسلاسل، وعشرون حكم عليهم بالنفى الى أراض بعيدة يصعب العودة منها. وبعد ذلك بسنتين، نفس برنار جى هذا أمر باستخراج عظام ست وثلاثين جثة لحرقها من جديد. وحكم على خمسين آخرين بارتداء علامة الصليب والقيام بالسفر إلى مناطق نائية، وستة وثمانين سجنوا مدى الحياة. والجديد

هنا هو أنه قام فى نفس المشهد بحرق الأحياء وحرق عظام الموتى معا. ويرجع تقليد حرق رفات الموتى إلى عام ١٢٣٧.

بعض الأرقام حول إدانات محاكم التفتيش

يقول ريبونى إن المسيحيين فى القرن العشرين والواحد والعشرين يجاهدون للتقليل من وطأة جرائم محاكم التفتيش. ويصرون على حقيقة أن الحكم بالموت لم يمثل إلا نسبة صغيرة. ويجيب الباحث قائلا حتى وإن كانت هذه حقيقة شكلا إذ أن السلطات المدنية هى التى كانت تنطق بحكم الموت فيجب أن نأخذ فى الاعتبار نوعية الإدانات الأخرى، وأهمها ثلاث:

- **ارتداء علامة الصليب**: ويعنى ذلك أن الجانى عليه أن يرتدى زى «السان بنيتو» وهو رداء حيكت عليه علامة صليب كبرى بالنسيج، لمدى الحياة أو لعدة سنوات. ولم يكن باستطاعة المحكوم عليه بخلع هذا الزى إلا فى بيته عند النوم فقط.
- **السجن**: وكان عادة مايحكم به مدى الحياة. وهذه «الحياة» كانت قصيرة جدا نظرا لظروف السجون آنذاك ولم تكن تتعدى بضعة أسابيع. فكثيرا ماكان السجناء يموتون أثناء المحاكمة من جراء التعذيب.
- **الحج**: كان يجبر «الجانى» على القيام برحلة إلى الأماكن المقدسة سيرا. وفى تلك الأيام كانت مثل هذه الأحكام توازى الحكم بالموت، فلم يحدث أن عاد أحدهم من إحدى هذه الرحلات.

ويوضح الباحث أنه يجب إضافة تعليق حول مصير هؤلاء الذين لم يكن يحكم عليهم بالموت فلم تكن نسبتهم تصل الى ١٠٪ من المتهمين. وكان ذلك يعنى أنهم صمدوا لمختلف وسائل التعذيب والتنكيل، فكانوا يعودون إلى الحياة غير قادرين على العمل أو على ممارسة أى نوع من الحياة الطبيعية.

١٣١٤: أول محرقة فى إسبانيا

يقول - هنا - ريبونى إنه على عكس الفكرة السائدة عند معظم الناس، فإن محاكم التفتيش لم تكن بدعة إسبانية، وإن إسبانيا قد مارست هذا التقليد بعد روما بكثير، لكنها ضاعفت من وسائل التعذيب والتفنن بحيث طغت سمعتها على البلدان الأخرى! وقد بدأت أول محرقة فى مدينة أراجون فى ١٣١٤/٥/١٢، بحرق ستة هراطقة أحياء وعدة جثث تم استخراجها من مقابرها. والمحرقة فى إسبانيا كانت تبدأ بمراسيم مغايرة عن البلاد الأخرى. فتبدأ بقداس فى الكنيسة حيث تتم محاولة لمصالحة الهراطقة، ثم يتم تسليمهم إلى البوليس المدنى الذى كان يتولى تنفيذ عملية الحرق. وكانت الكنيسة تعد الأتباع بمنح كل من يحضر لمشاهدة القداس والمحرقة عفوا من ذنوبه أربعين يوما، وبذلك تحولت إسبانيا الى بلد المحارق الكبرى من حيث عدد الجناة وعدد المشاهدين.

كما تم إعدام آلاف الكتب على مر التاريخ فى محاكم التفتيش الإسبانية، وحرق الكتب تبدو عملية قديمة ممتدة فى التاريخ الكنسى، إذ رأينا القديس بولس الذى حرق أكوام الكتب مع أتباعه. ويضيف الباحث هنا: «إن المسيحيين الأوائل كانوا قد اعتادوا حرق المكتبات، خاصة إذا ما كانت تابعة لأحد المعابد. وقد بدأ القديس جريجوار الكبير مهام وظيفته البابوية بحرق مكتبة كبرى خاصة بالبلاط الرومانى. وحاليا لايزال البروتستانت فى شمال أمريكا يمارسون هذه العادة الممتدة عبر تاريخهم.. ففى مطلع الألفية الثالثة، قامت كنيسة «معمدانية الجنوب» وهى من أكبر الكنائس البروتستانتية الأمريكية بحرق العديد من الكتب. وتضم هذه المحارق مجموعة هارى بوتر»!

١٣٤٧ - ١٣٥٤: الطاعون

امتد الوباء عبر أوروبا، وسرعان ما قام القساوسة الكاثوليك باتهام

اليهود بأنهم قد قاموا بتسميم آبار المياه!. وامتدت الإشاعة لتملأ أوروبا وبدأت محارق اليهود تشتعل فى كل مكان. ففى ألمانيا تم حرق ٣٥٠ جماعة أبيدو كلية فى تلك الفترة.

وفى كثير من المدن تم منع اليهود من دخولها. وهذا التحريم ظل سائدا فى العديد من المدن الكبرى، مثال نورنبرج، حتى القرن الثامن عشر. وفى إيطاليا، فى مدينة ميلانو، قامت السلطات الكنسية والمدنية بحرق اليهود المتهمين. ومن الطريف أن يقام لهم نصبا تذكاريا لتخليد هذه الذكرى! وقد عرف هذا النصب فى التاريخ باسم «عمود العار». وقد قام الروائى مانزونى، فى القرن التاسع عشر، بإدانة هذا النصب، إذ كان أول من تجرأ بشجاعة على اتهام الفساد الكنسى رسميا.

١٣٩١: بداية العنف ضد اليهود فى إسبانيا

يقول ريبونى إن «أيام الحكم الإسلامى فى إسبانيا تعايشت الديانات التوحيدية بسلام لعدة قرون. إلا أن هذا التعايش السلمى للديانات الثلاثة لم يرق للملوك الكاثوليك الذين أصبحوا هم المسيطرون على البلاد، ولم يرق للقادة الكاثوليك الذين لم يكفوا عن نشر معاداة اليهود والمسلمين فى أعلى مراكز السلطة. وماهى إلا فترات صغيرة حتى بدأت أبشع عملية طرد وإبادة فى ذلك العام.

١٤١٥:

فى عام ١٣٩٠، بدأ أحد قساوسة مدينة براج بإلقاء مواعظه الكنيسية باللغه التشيكية بدلا من اللغة اللاتينية. واعتبرت الكنيسة هذه البدعة هرطقة لا تغتفر، إذ كيف يتجرأ أحد رجال الدين بالتحدث إلى الناس بلغة يفهمونها!! وتم اتهام القس يان هَسّ بالهرطقة. فهرب من مدينة براج. وعند انعقاد مجمع كونستانس، قام الملك بمنح هَسّ تصريحا بالسفر ليدافع عن نفسه ويشرح وجهة نظره للمجمع. لكن هذا «التصريح بالمرور سالما» لم يكن

الا فخا منصوبا له. فما أن وصل إلى مدينة انعقاد المجمع حتى تم القبض عليه وسجن فى نوفمبر ١٤١٤. وتبعت هذه الواقعة محاكمة من محاكم التفتيش الشهيرة والتى انتهت بإدانة يان هَسْ لإصراره على عدم التخلى عن رأيه. وتم حرقه حيا فى السادس من شهر يوليو عام ١٤١٥.

١٤٧٨: إنشاء محاكم التفتيش الإسبانية

يقول إزيكو ريبونى فى هذه الجزئية: «لقد تم توحيد إسبانيا بعد زواج الملك فرديناند من إيزابللا، وكانت إسبانيا تعرف فى ذلك الوقت بمعاداتها الشديدة للمسلمين، الذين كانوا مازالوا يسيطرون على جنوب شبه الجزيرة الإسبانية. ولكى تتم محاربة هؤلاء الهراطقة بفاعلية، حصل الملك فرديناند والملكه إيزابيلا - المعروف اسمهما فى التاريخ بأنهما «شديدا المسيحية»، حصلا على موافقة البابا سكست الرابع على سلطة تعيين رؤساء محاكم التفتيش فى كشطلة وأراجون. وكان لهذا القرار سبب مالى غير معلن، لأن المحاكم كانت تصادر أموال المحكوم عليهم. لكن البابا قد وافق على منحهما هذه السلطة بعد أن حصل على وعد منهما باستخدام هذه الأموال لتمويل الحروب ضد المسلمين. ومنذ ذلك الوقت، منذ أيام القديس جريجوار الأكبر، لم يكف الباباوات عن محاربة المسلمين».

١٤٨٣: توماس دى توركمادا

ويقول الباحث عن القس توماس دى توركمادا إنه قد تم تعيينه فى منصب كبير محققى محاكم التفتيش، وقد قام باستخدام وسائل التعذيب ومصادرة أموال الضحايا، وأغلبهم من المسلمين، إلى أبعد مدى حتى صار اسمه مثلا. ويقدر عدد الأشخاص الذين أعطى الأوامر بحرقهم، وفقا للمؤرخين فيما بين ألفين وثمانية آلاف وثمانمائة ضحية، بخلاف تسعة آلاف وستمائة وأربع وخمسين تم تعذيبهم أو سجنهم مدى الحياة.. بل لقد أصبح اسمه الرمز الحىّ لمحاكم التفتيش!

وقد قام البابا أوجين الرابع بتعيينه بلقب «حامى العقيدة»، ويلقبه المؤرخ سبستيان دى أولميدا «نور إسبانيا، ومنقذ البلاد، وشرف رهبانيته». وقد حاول بعض الكاثوليك تخليص تاريخ الكنيسة من مثل هذه الشخصية، فراحوا يصورونه بصور شتى. إلا أن إنريكو ريبونى يقول: «إنه كان شخصا شديد الإيمان بما يعمله من أجل العقيدة، وقد رفض الترقيات الكنسية أو الكهنوتية ولم يحاول التكسب من منصبه. بل لقد كان بوسعه أن يصل إلى درجة أسقف أو كاردينال بسهولة. لكنه كان شديد الحماس والتعصب، لذلك ساهم بضراوة فى إعادة تنصير إسبانيا وتخليصها من المسلمين»..

ويقول الكاتب: «إن توركمادا كان يعتبر مهمته مهمة مقدسة، وشديد الإيمان بأن المسلمين، حتى الذين تم تنصيرهم، يمثلون خطرا على إسبانيا وعلى العقيدة، لذلك كان يجب محاربتهم. لذلك قام بتضمين كل خبرته لصياغة قانون خاص بمحاكم التفتيش، وظل يعدّل فيه حتى عام ١٤٩٨، قبل وفاته ببضعة أشهر».

التعذيب أيام توركمادا

لقد تم توحيد نمط التعذيب أيام توركمادا بحيث لا تترك أية فرصة للجلادين أو رؤساء المحاكم كى يتلاعبوا. فيصف إنريكو ريبونى هذا التقنين قائلا: تبدأ المحاكمة بصورة معينة محددة: «ففى البداية يأتون بالمتهم بالهرطقة، ويكون الجلادون قد ارتدوا قمصانا سوداء، وغطاء للرأس به فتحتان للعينين وفتحة للأنف وأخرى للفم، ويمسكون المتهم وينزعون عنه ثيابه حتى الخصر، ويضعونه أمام لجنة المحكمة التى تتوسل للمتهم أن يعترف بأخطائه. فإذا ما استمر فى إنكارها، أمرت المحكمة الجلادين بتعذيبه بعد أن تحذره اللجنة بأنه فى حالة ما إذا تم كسر إحدى عظامه أو أصابه أى تمزق أو مات فإن المسؤولية تقع عليه وحده لأن ما أصابه من تعذيب لم يكن إلا نتيجة عناده وتشبثه برأيه».

وكانت الفقرة الأولى من جدول أو قائمة التعذيب تسمى «تعذيب الحبل» فكانوا يربطون يديه خلف ظهره ويوثقونه ببكرة مثبتة فى السقف، ثم يرفعون المتهم ويتركونه معلقا لفترة معينة. وفجأة يترك الجلاد الحبل فيسقط جسم المتهم إلى ماقبل الأرضية بحوالى عشرين سنتيمترا. فتتخلع مفاصله من الصدمة بينما يجز الحبل على يديه ويقطعهما أو يقطع أوتارهما. وكان هذا التعذيب يستمر ساعة أو أكثر.

ثم يأتى التعذيب بالمياه، فى المرحلة التالية: فكانوا يوثقون المتهم على لوح مائل ورأسه الى أسفل وقدماه إلى أعلى. ففى مثل هذا الوضع يصعب التنفس، ثم يدخلون فى فمه خرقة تصل حتى نهاية حلقه، مبللة بالمياه، بحيث تغطى أنفه أيضا ثم يبدأون فى دلق المياه نقطة نقطة، بينما المتهم لا يتمكن من التنفس إلا بصعوبة، بينما شعيرات حلقه تتمزق، وعادة ما كانوا يخرجون الخرقة مشبعة بالدماء..

وتأتى بعد ذلك المرحلة الثالثة - إن صمد -، وهى: التعذيب بالنار. فكانوا يربطون يدى المتهم وساقيه بحيث لايمكنه الحراك أو تغيير موضعه، ثم يدهنون قدميه بالزيت أو الدهن أو أية مادة شحمية ثم يعرضونهما أمام النار إلى أن يتشقق الجلد ويشوى حتى تظهر العظام أحيانا.

وهنا يوضح الكاتب أن رجال محاكم التفتيش كانوا يعرفون أنهم يعذبون أحيانا بعض الكاثوليك الذين لا غبار عليهم. وقد تمت مناقشة هذه المسألة داخل الكنيسة، لأن الكردينال جيمينس دى سيسنيروس قد كتب: «إذا ماتم تعذيب الكاثوليك عن غير وجه حق، وفقا لقوانين وقواعد محاكم التفتيش، فإن روحهم تصعد مباشرة إلى الجنة».

ويوضح ريبونى أن التعذيب، فى محاكم التفتيش الإسبانية، كان يمارس على الأطفال بدءًا من سن العاشرة، وعلى المسنين حتى سن الستين فقط.. ويالها من رأفة!!

١٤٨٥: استشهاد القديس بدرو أربويس

فى ليلة ١٥ سبتمبر ١٤٨٥: وبينما كان القس بدرو أربويس رئيس محكمة التفتيش وزميل توركمادا، يؤدى الصلاة فى كاتدرائية ساراجوس، انقض عليه ثمانية جناة. ولعلمه أنه ليس محاطا بالأصدقاء فحسب، فقد كان يرتدى الصدرية الحديدية. لكن هذا الزى لم يمنع الخنجر من أن يخترق عنقه، فانهار على الأرض ومات بعدها بقليل محاطا برهبان الكاتدرائية الذين هرعوا لإنقاذه.

وسرعان ماقامت محكمة التفتيش باتهام المسلمين الذين تم تنصيرهم حديثا. ويقول ريبونى: «إنه من ديسمبر ١٤٨٥ إلى أواخر ١٤٩٢ سيتم تعذيب وقتل «الجناة» المشاركين فى مؤامرة القديس بدرو! وكان تعذيب «الجناة» قاسيا فقد قطعت يدا أحدهم وتم تسميرهما على باب قصر النواب، ثم أعدموه، وبعد ذلك تم فسخ جسده وتم تقطيعه وتعليق القطع فى الشوارع حتى يرتدع الآخرون.

ولقد قامت الكنيسة عام ١٦٦٤ بإضفاء رتبة «السعداء» عليه، وهى الرتبه التى تسبق القداسة - التى منحها له البابا بيوس التاسع فى ١٨٦٧/٦/٢٩.

١٤٨٦ (أو ١٤٨٧): نشر كتاب تعليمى لكيفية اصطياد السحرة

قام اثنان من الدومنيكان الألمان هما جاكوب سبرنجر، عميد كلية كولونيا، وهنريخ كرامر، أستاذ اللاهوت بجامعة سالزبورج، بنشر كتاب من أكثر من أربعمائة صفحة، أقرته الكنيسة، لشرح وتوضيح كيفية التعرف على السحرة، واعتقالهم وتعذيبهم لإجبارهم على الاعتراف. كما ينص الكتاب أن عملية إنكار وجود السحر تعد هرطقة خطيرة تصل عقوبتها إلى الموت حرقا. ويسخر الكاتب قائلا إن هذا الكتاب قد تصدر المبيعات، إذ تمت طباعته ٢٦ مرة فيما بين ١٤٨٦ و١٦٠٠. والبابا الذى أقر عمل هذين الجامعيين الدومنيكان

هو البابا اينوسنت الثامن، الذى كان قد طلب منهما عام ١٤٨٤ بموجب خطابه الرسولى المعنون «Summis desiderantes affectibus» أن ينتزعا السحر من ألمانيا. ونص هذا الخطاب الرسولى يتصدر مقدمة الطبعات الكاثولويكية لهذا الكتاب..

١٤٩٢: طرد المسلمين واليهود من إسبانيا

قام الملك فرديناند وزوجته إيزابللا بطرد المسلمين واليهود من إسبانيا. وكانوا يخيّرونهم مابين التنصير أو لتقع عليهم عواقب محاكم التفتيش. وحرق أغلبهم بزعم أنهم «نصارى غير حقيقيين»، أو بالترحيل من البلاد.. وقد قام البابا فى روما بتشجيع بقية الملوك فى البلدان الأوروبية للاقتداء بملك إسبانيا. وكرس الأساقفة كل جهودهم لدفع الحكومات لمنع المسلمين واليهود المطرودين من إسبانيا من دخول أراضيهم.. وفى عام ١٤٩٤، قام البابا بمنح لقب «الملكان الكاثوليكيان» لإزابيللا وفرديناند تقديرا لجهودهما.

ويضيف الباحث هنا قائلا: «إن المسلمين واليهود الذين كانوا يختارون التنصير، كانت محاكم التفتيش تضطهدهم بدأب غريب: فحتى القرن الثامن عشر كانوا يخضعونهم إلى اختبار وجبة «دهن الخنزير المقلى». وعند ملاحظة أنهم كانوا يستبعدون قطع الدهن المقلية أو يرفضون تناول الطعام كلية، كان يتم حرقهم على أنهم «نصارى مزيفون».. وقد تم استخدام هذا الأسلوب حتى على ذريتهم.

وعلى الرغم من أن تهجير المسلمين واليهود من إسبانيا يعد أكبر حملة ترحيل أو تهجير عرفها التاريخ، فقد كان لها سوابق فى فرنسا وإنجلترا والبرتغال.

١٤٩٣: أول هندى أمريكى فى الجنة

يقول ريبونى إنه عندما ذهب كريستوفر كولمب إلى أمريكا، وكان قد اصطحب معه أحد الرهبان، وقد قابل الهنود وكتب عنهم قائلا إنهم طيبون

ويتعاونون عن طيب خاطر. وقد اصطحب معه، عند عودته، اثنى عشر مواطنا هنديا. وعند وصولهم إسبانيا، أصيب أحدهم ومرض. وقبل وفاته بقليل قاموا بتعميده.. الأمر الذى سمح لملكىْ إسبانيا شديدى الكاثوليكية، كما يصفهما الباحث، أن يتهللا لأن أحد الهنود من العالم الجديد قد دخل الجنة وهو يعتنق المسيحية!! ثم يضيف قائلا: «إن هذه القصة البائسة تحدد بداية التنصير المأساوى لهنود أمريكا، ومنها أحداث إبادة أهل باراجواى واضطهاد هنود بويبلو، وهما من أكثر الأحداث التاريخية سوادا ومأساوية..

القرن السادس عشر: مأساة الخصاة

ويتناول الباحث هنا قرار الكنيسة التى أصرت على أن السيدات لايمكنهن الاشتراك فى كورال الكنائس.. الأمر الذى نجم عنه مشكلة مأساوية.. فلم يكن من الممكن حرمان الموسيقى من الأصوات الرفيعة العالية.. «وقد عثروا على حلٍّ همجى، إذ قرروا خصيان الأولاد الذين يتمتعون بأصوات جميلة.. وبذلك لم تحرم الكنيسة المقدسة أبدا من أصوات السوبرانوا النسائية»!!

وقد استمر هذا التقليد الهمجى حتى عام ١٨٧٨ بناء على أوامر البابا ليون الثالث عشر.. وقد كانت هذه الممارسة مازالت منتشرة طوال القرن التاسع عشر، لدرجة أن الموسيقار روسينى كتب عندما قام بتأليف المقطوعة المسماة: «قداس صغير احتفالى»، أنه يكفى لغنائها حوالى اثنى عشر مغنيا من الأجناس الثلاثة: رجال، ونساء،وخصاة»!

١٥٠٦: محارق المسلمين واليهود فى لشبونة

انتقل عدد كبير من المسلمين واليهود المهجرين من إسبانيا إلى البرتغال. ويقول المؤرخون إن هذه الهجرة كانت بمثابة عون كبير للبرتغال، إذ أن معظمهم كانوا من المتعلمين، والأطباء، ورجال المصارف. والتجار.. بل لقد

وصل بعضهم ومعه ثرواته. لكن، سرعان ما قام رجال محاكم التفتيش فى إسبانيا بإقناع رجال الكنيسة البرتغالية بالتصدى لهم. وماهى إلا بضعة أعوام حتى تم تكوين لجان محاكم التفتيش فى لشبونة لتبدأ مهامها التقليدية من حرق غير المرغوب فيهم.. ويمثل عام ١٥٣٦ التاريخ الرسمى لإنشاء محاكم التفتيش فى البرتغال.

١٥٢١:

يوضح الباحث كيف يمثل هذا التاريخ حدا فاصلا ودافعا للانشقاقات الكنسية.. فقد قام أحد القساوسة الألمان، مارتن لوثر، بترجمة العهد الجديد فى عدة أسابيع، مما أدى إلى تقاتل المسيحيين فيما بينهم بحمية وكراهية أكثر من تلك التى تصدوا بها للمسلمين واليهود..

وقد كتب لوثر عدة مرات أنه لابد من حرق معابد اليهود وطردهم من المدن، منضما بذلك إلى ما مارسه آباء الكنيسة الكاثوليكية، وظل مستمرا حتى القرن العشرين.

ويقول ريبونى إن مارتن لوثر قام عام ١٥٤٣ بكتابة منشور بعنوان: «اليهود وأكاذيبهم». ومما ورد به ويكشف عن مدى تطبيقهم لمبدأ «حب القريب»، يقول لوثر: «إن رائحتهم تفوح بالذهب والفضة التى استولوا عليها من الوثنيين، فلم يوجد بل ولن يوجد أكثر بخلا من اليهود، مثلما نلاحظ ذلك من ممارستهم غير الشريفة للربا. واعلموا، أيها المسيحيون الأعزاء، أنه لايوجد من هم أكثر عداوة لكم، من بعد الشيطان، ولا أكثر سماً أو عداوة إلا اليهودى الحقيقى.. ألا يقول لهم تلمودهم إنه إذا ماقتل اليهودى أحد الوثنيين فتلك ليست خطيئة، لكنه إذا قتل يهوديا فإن تلك خطيئة؟» لذلك يطالب لوثر: «بحرق معابدهم ومدارسهم وهدم منازلهم وتلطيخ كل مالا يمكن عدمه أو ردمه (...) ثم يدعو إلى حرق كتب صلواتهم المليئة بالأكاذيب والوثنية

والشتائم، ومنعهم من التدريس وتهديدهم بالقتل (...) والاستيلاء على ثرواتهم، وإن تقاعست السلطات المدنية عن تنفيذ ذلك فيجب طردهم من البلاد وليذهبوا إلى القدس حيث يمكنهم أن يكذبوا ويسبّوا ويقتلوا ويسرقوا ويمارسوا الربا وكل تلك الرذائل التى يمارسونها بيننا».

١٥٢٤: الرقم القياسى فى حرق السحرة:

يقول ريبونى إن عام ١٥٢٤ يمثل ذلك العام الذى وصل فيه حرق السحرة والساحرات الى رقم قياسى. ففى مدينة كوم بمقاطعة لومبرديا بإيطاليا تعدى رقم حرق السحرة الألف فى العام الواحد.. وإن مدينة كولونيا كانت تحافظ على رقم ثلاثمائة فى المتوسط كل عام، بينما الرقم السائد فى مدن أوروبا كان فى حدود مائتين.

١٥٢٧: نهب مدينة روما

قام الجنود البروتستانت بنهب مدينة روما وقتل سكانها، وكانوا حوالى أربعين ألفا، وقام الحرس السويسرى بإنقاذ البابا وحمايته فى قلعة سانتانجلو بينما كان الشعب يُذبح.

١٥٤٧: شهادة النقاء (La Limpieza)

يقول الباحث فى هذا التاريخ إنه يمثل سن قوانين عنصرية بدافع التعصب الدينى، قائلا: «لقد رأينا إسبانيا، أيام الحكم الإسلامى، تضم العقائد التوحيدية الثلاث فى مجتمع متعدد الثقافات فى تجاور فريد، وعندما تولى المسيحيون الحكم سارعوا بإنهاء ذلك العهد السلمى بعدة إجراءات وقوانين تجبر المسلمين واليهود على التنصر إلا أن ذلك لم يكفِ رجال الكنيسة الكاثوليك الأجلاء، لأنهم كانوا دائما يتشككون فيمن تم تنصيرهم، وأن كل واحد منهم أو من أبنائهم يخفى «مسيحى غير حقيقى» إذ كانوا يمارسون عقيدتهم فى السر! لذلك تفتق ذهن رجال الكهنوت

الكاثوليكى واخترعوا عبارة «النقاء العرقى». وبالتدريج، ارتفعت الأصوات الكنسية لتطالب ألا يتولى الوظائف المدنية والكنسية فى الدولة إلا المسيحيون الأصلاء، وليس المسلمون أو من تنصر منهم. وبدأت جامعة سلامنك بطلب شهادة «نقاء عرقى» من كل الطلبة المتقدمين للدراسة بها. وكانت محاكم التفتيش هى التى تقوم بمنح هذه الشهادة.

ولم يلغ بيان حالة النقاء العرقى إلا عام ١٨٣٥، لكن شهادة «النقاء» ظلت تطلب من المتقدمين للجيش والوظائف المدنية العليا حتى عام ١٨٦٥.

١٥٥٣:

قام كالفن، الذى كان ينتقد تطرف الكنيسة الكاثوليكية، باستصدار أمر قطع رقبة الطبيب والمفكر الحر ميشيل سرفيه الذى كان قد اكتشف الدورة الدموية. ولم يكن سرفيه إلا واحدا من خمسة عشر من «الهراطقة» الذين أمر بإعدامهم أيام حكمة فى مدينة جنيف.

فيوضح الباحث هنا كيف قام كالفن بدور فعّال فى القبض ثم فى الحكم على الطبيب ميشيل سرفيه. إذ بدأ بمراسلته، بينما كان سرفيه يتهرب من محكمة التفتيش، ووصل سرا إلى مدينة جنيف. وهناك قام كالفن بالشهادة ضده فى المحكمة وأيد أمر إعدامه. والمساعدة الوحيدة التى أسداها للطبيب هى أنه طلب من لجنة المحكمة أن يموت بالإعدام بقطع الرأس بدلا من الحرق حيا. وبعد إعدامه تم حرق جسمانه مع نسخة من كتبه..

١٥٥٩:

سمح اختراع المطبعة لعدد كبير من الناس بالاطلاع والمعرفة، إلا أن الكنيسة قد قامت بنشر مايعرف بـ «الأندكس» أى قائمة الكتب الممنوع الاطلاع عليها. ولكى يتم الحفاظ على دقة هذه القائمة، قام البابا بيوس الخامس عام ١٥٧١ بإنشاء لجنة خاصة بالأندكس. ومهمة هذه اللجنة هى

مراجعة كافة المطبوعات لتعد قائمة بالممنوعات. ومنذ تكوين هذه اللجنة فى العديد من الناشرين من إيطاليا إلى سويسرا أو ألمانيا.. ولقد صدر آخر كشف لقائمة الممنوعات هذه فى عام ١٩٦١: ومن آلاف الكتب والمراجع التى أدرج اسمها فى هذا الكشف يذكر الباحث اسم الموسوعة الفرنسية التى تم نشرها فيمابين ١٧٥١ و١٧٦٥.. ولم تكن هذه الموسوعة وحدها هى المدانة، وإنما كل من يقرأها!!

١٥٦٦ ـ ١٥٧٢: البابا بيوس الخامس

يقول الباحث عن هذا البابا الذى حظى على رتبة قديس فى الكنيسة الكاثوليكية إنه كان يتفاخر بأنه أيام عمله بلجان محكمة التفتيش قد أشعل بيده محرقة أكثر من مائة شخص كان قد قام باتهامهم وإدانتهم. وإنه فى عام ١٥٦٩ قد أمر بطرد اليهود والمسلمين من دولة الكنيسة وإن كان قد سمح لبعض التجار أن يظلوا فى كل من روما وأنكونا بظروف جد مهينة. ولم يكف عن محاولة فرض تنصيرهم وإجبارهم على الاعتراف بخطأهم وقبول التنصير.

١٥٦٨: أول أمر بالإبادة الطائفية فى العصر الحديث

ويوضح الباحث فى هذه النقطة أنه فى ١٥٦٨/٢/١٦، قام ذلك البابا المعروف باسم القديس بيوس الخامس بتوقيع أول أمر للإبادة الطائفية فى العصر الحديث. ذلك لأنه منذ عدة سنوات كان سكان هولندا قد اعتنق أغلبيتهم مذهب لوثر وتحولوا إلى البروتستانتية. وما كان يبدو أكثر قلقا للبابا أنهم قد انشقوا عن تعاليم الكنيسة وإباحتها لتصوير الآلهة والقديسين وقاموا بتحطيم الصور والتماثيل وفقا للوصية الثانية من الوصايا العشرة. فما كان من البابا القديس إلا أن أصدر أوامره لفيليب الثانى ملك إسبانيا وهولندا، ليعمل على إبادة ذلك الشعب، أى على إبادة حوالى ثلاثة ملايين نسمة ـ باستثناء بعض الشخصيات التى قام بتعيينها فى كنيسته. وبعد عشرة

أيام من إصدار هذا الأمر طلب الملك فيليب الثانى من دوق ألبا بتنفيذ هذه الأوامر العليا. وفى صيف ١٥٦٧ انتقل هذا الجنرال إلى هولندا ومعه عشرة آلاف من المشاة وألف ومائتان من الفرسان وأكثر من ألفى عاهرة، وانطلق فى تنفيذ المهمة الملقاة على عاتقه رغم هذه الإمكانات المحدودة..

وفى خطاب أرسله دوق ألبا إلى الملك فيليب الثانى، قال له إنه قد «أجهز على ثمانمائة رأس» خلال الأسبوع المقدس لعام ١٥٦٨.. وسرعان ما ثار الشعب الهولندى بالسلاح ضد ذلك الجيش الكاثوليكى القادم لإبادته! ويقول ريبونى إن الرقم الحقيقى لعدد القتلى غير معروف، إلا أن دوق ألبا قد أعلن مقتل ستة عشر ألف هولندى خلال ست سنوات من القتل الطائفى!.. وبعد فشله فى مهمة إبادة الشعب الهولندى تم استدعاء دوق ألبا إلى إسبانيا، وبعد ذلك أسندت إليه نفس المهمة ليقوم بتطبيقها فى البرتغال لمحاصرة كل الذين اعتنقوا البروتستانتية.

١٥٤٧ ـ ١٥٩٣: الحروب الدينية فى فرنسا

اندلعت الحرب الدينية بين الطوائف الكاثوليكية والبروتستانتية بلا هوادة، وإن تخللتها عدة محاولات لعقد هدنة. ومن أشهر تلك المعارك موقعة سان برتليمى عام ١٥٧٢ التى ذبح فيها عشرون ألفا من الرجال والنساء والأطفال البروتستانت.. وكم كانت سعادة البابا جريجوار الثالث عشر الكاثوليكى عند سماعه هذا النبأ، فأقام الاحتفالات الدينية فى روما وطلب من الفنان الإيطالى ماسارى أن يعد بهذه المناسبة لوحة ضخمة بعنوان: «إبادة الهوجنو» ـ وهو اسم البروتستانت الفرنسيين.

١٥٩١ ـ المجموعة الثانية من محارق إسبانيا

عندما استولى الملك فيليب الثانى على الحكم فى البرتغال وعد المسلمين واليهود المقيمين بحرية التجول فيما بين إسبانيا والبرتغال. وتصور

كثير منهم أنه يمكنهم العودة إلى إسبانيا والحياة هناك بعدما بدأت المحارق تشتعل فى البرتغال. ومع عودتهم إلى إسبانيا عادت محاكم التفتيش إلى نشاطها من جديد بناء على الوشايات التى بدأت تصلها. وفى ١٥٩١ بدأت المحارق ضد الذين تم تنصيرهم بزعم ضعف إيمانهم، وتم طرد أغلبهم بعد الاستيلاء على ممتلكاتهم ولم تهدأ الأمور فى إسبانيا ـ كما يوضح الباحث ـ إلا بعد طرد المسلمين منها كلية عام ١٦٠٩..

أواخر القرن السادس عشر حتى مطلع القرن الثامن عشر

التنصير الإجبارى لهنود بويبلو

وصل المستكشفون الإسبان عام ١٥٩٨ أراضى الهنود المعروفين باسم بويبلو، وهى اليوم نيومكسيكو التابعة للولايات المتحدة، وبصحبتهم العديد من القساوسة والرهبان. وهنود البويبلو يختلفون عن الهنود الرحالة فى سهول الشمال، ويختلفون أيضا عن الهنود المحاربين الذين واجهوا الإسبان فى المكسيك وفى أمريكا الجنوبية.. ويقول ريبونى إن هنود البويبلو كانوا يعشون فى منازلهم من طابقين من الطوب، وهم قوم مسالمون، مزارعون، يعبدون «أب السماء» و«أم الأرض»، ويخشون الشياطين التى تتجول عند الغروب على قمم الجبال، ويبجلون الغربان على أنها تجسدات لأجدادهم.

وكان «لهم مجمع من الآلهة أشبه مايكون بآلهة اليونان. ويقيمون احتفالاتهم الدينية فى هياكل صغيرة أسرية.. وسرعان ما أصبح هؤلاء المسالمون هدف قساوسة الكنيسة الإسبان. ويوضح الباحث ساخرا: «لقد حاولوا استبدال طقس أكل لحم وشرب دم الإله بعبادة رب السماء وأم الأرض.. فتم اتهام رجال الدين الهنود بالشعوذة والسحر وقاموا بإعدامهم وهدم هياكلهم الدينية، ومنع احتفالاتهم الدينية بتهديدهم: أن أيا منهم سيقوم بإقامة الشعائر الهندية ستُبْتر ذراعه أو ساقه». وتمتد مآسى تنصير أو إبادة البويبلو حتى منتصف القرن التاسع عشر.

١٦٠٠ ـ حرق جيوردانو برونو حيا

لقد تم حرق جيوردانو برونو حيا عام ١٦٠٠ بتهمة الهرطقة. ويوضح الباحث هنا أن هذا الاتهام ناجم عن موقف برونو الذى تجرأ ووصف الكون بأنه لا نهائى، وأعرب عن فكرة أن هناك أشكالا من الحياة خارج الكرة الأرضية.. وهذا الرأى يمثل قمة الكفر بالنسبة للكنيسة التى تصر على أن الأرض منبسطة.. وعلى مدى ثمانية أعوام هى طول مدة المحاكمة، تم خلالها انتزاع الاعترافات من برونو عن طريق التعذيب الذى أقرته الكنيسة منذ عشرات السنين، أيام بداية محاكم التفتيش، وحُكم على جيوردانو برونو بالموت لأنه «متعنت مصرٌّ على هرطقته».. وكان قد جاهد ليشرح أن أفكاره ليست خطأ، دون جدوى. وتم حرقه حيا فى «كامبو دى فيورى» أى «حقل الزهور»! ويوضح الباحث قائلا: «لقد كمموه قبل أن يأخذوه إلى المحرقة لتفادى ألا تتسبب عباراته فى قلقلة معتقدات الجمهور الذى حضر لمشاهدة المحرقة. وقد تم إضفاء رتبة «كبير علماء الكنيسة» عام ١٩٣٠ على الكردينال بللارمين الذى تولى إدانة برونو رسميا..

وهنا يوضح إنريكو ريبونى أنه إذا ماكانت الكنيسة الكاثوليكية قد أعربت عن بعض الأسف، فى أواخر القرن العشرين، لاتهامها جاليليو، وحاولت تبرأته جزئيا عام ١٩٩٢، فإنها لم تندم أبدا على حرق برونو، بل على العكس من ذلك، لقد اعترضت بشدة على إقامة تمثال ليجوردانو برونو فى أحد ميادين روما عام ١٨٨٩. وفى عام ١٩٢٩، طلب البابا من موسولينى هدم هذا التمثال قبل ترسيم الكردينال روبرتو بللارمين، الذى كان قد أدان برونو. وفى فبراير ٢٠٠٠ حينما عقدت ندوة حول جيوردانو برونو فى كلية اللاهوت فى نابولى، أرسل الكرسى الرسولى إلى رئيس الندوة رسالة عليها توقيع الكردينال أنجيلو سودانو، سكرتير الدولة فى الفاتيكان، يرد بها: «إن تطور فكره قد دفعه إلى اختيارات فكرية وثقافية ستتكشف مع الوقت، فى العديد

من النقاط الحاسمة، أنها لاتتمشى مع العقيدة المسيحية».. ثم تلقى الرسالة بعاقبة قرار الحكم على برونو وتنفيذه، لا على لجنه محاكم التفتيش، وإنما على السلطة المدنية التى كانت ـ بإصرار من الكنيسة ـ هى التى تتولى تنفيذ أحكام الموت حرقا.. وهنا يشير الباحث قائلا: «لكى ندرك مغزى هذه الرسالة المكتوبة عام ٢٠٠٠ والتى تدافع عن أساقفة عام ١٦٠٠ أن الحكم فى روما كان آنذاك خاضعا للسلطة البابوية وحدها.. ويضيف الباحث أن الرسالة تنتهى بعبارة تقول: «إن مايخرج عن هذا الموقف تاريخيا أن قضاة المحكمة كان كل ما يعنيهم هو إظهار الحق والعمل على الصالح العام إضافة إلى أنهم قد جاهدوا لإنقاذ حياته»!

ويعلق الباحث على هذه الوثيقة بأنها صادرة فى ٢٠٠٠/٢/١٧ كوثيقة رسمية من الفاتيكان وهى موجودة فى موقع الفاتيكان على الإنترنت وليست وثيقة وهمية أو من العصور الوسطى!

١٦٠٩: طرد المسلمين من إسبانيا

يوضح هنا الباحث كيف ظلت محاكم التفتيش تضطهد المسلمين الذين فرضت عليهم التنصير أو أولئك الذين رفضوه، ولم تكتف بقتل كل الذين رفضوا احتساء الخمر أو أكل الخنزير، بل راحت تتهم الذين يتميزون بالنظافة! وهنا يقول ريبونى: «بالفعل، إن الإسلام، على عكس المسيحية، يفرض التطهر والاغتسال بصورة منتظمة قبل الصلاة. ومن الواضح أن النظافة لم تكن أبدا خطرة مثل خطورتها فى القرن السادس عشر! ففى عام ١٦٠٩، وخشية من أن يكون مازال هناك بعض الذين تعتبرهم محاكم التفتيش «متنصرون مزيفون» طلبت من الملك استصدار أمر بطرد المسلمين إلى شمال أفريقيا». ويوضح الباحث أن عدد الذين شملهم قرار الطرد هذا غير معروف تماما فهناك من يقدر عددهم بثلاثمائة ألف وهناك من يقول ثلاثة ملايين. إلا أنه نتيجة هذا الطرد الجماعى قد أقفرت العديد من الأراضى الزراعية

فى إسبانيا.. وبعد انتهاء عملية الطرد الجماعى أو التهجير الإجبارى، قال رئيس محكمة التفتيش، الجنرال ديجو دى اسبينوزا: «أخيرا إن إسبانيا تتنفس الصعداء» ثم أضاف بعد أن قام بتحية هذا النصر قائلا: «لقد انتصرت النظافة على النتانة» ـ واللهم لا تعليق!..

١٦١٩ ـ حرق لوتشيلو فانينى

قامت محكمة التفتيش بحرق الفيلسوف الإيطالى لوتشيلو فانينى حيا، وتتلخص أخطاؤه فى أنه قد أعطى بعض التفسيرات العلمية المنطقية لعدد مما تطلق عليه الكنيسة «معجزات»، وأقر باحتمال أن يكون الإنسان من سلالة كبار القردة. ولاحقته رجالات اللجنة، ونجح فانينى فى الفرار، لكن مخالب التعصب قد لحقت به فى مدينة تولوز الفرنسية. وحكم عليه بالمثول أمام المحكمة الكنسية العليا التى أدانته بتهمة الإلحاد، وحكمت عليه بقطع لسانه قبل أن يحرق حيا..

١٦١٥: البروتستانت يتعقبون السحرة

يوضح الباحث قائلا: قد يعتقد البعض أن مطاردة السحرة تخصص كاثوليكى فحسب، لكن للأسف ومنذ عصر الإصلاح بدأ البروتستانت يمارسون هذا الولع كإخوانهم الكاثوليك.. مضيفا أنه من الصعب معرفة عدد قتلى البروتستانت من الذين تم حرقهم أحياء، لأنهم لم يهتموا بعمل سجلات منظمة مثل تلك التى كانت تعدها لجنة محاكم التفتيش، المعروفة اليوم باسم «لجنة عقيدة الإيمان».

وكان البروتستانت يتبعون نفس وسائل التعذيب، كالكاثوليك، للحصول على الاعترافات، وأشهرها أو أولى الخطوات كانت استخدام الحبل، أى أن المتهم كانت توثق يداه وساقاه ثم يرفع الى أعلى، ويترك ليهوى فجأة فتتمزق أربطتها. ثم ابتدعوا كخطوة تالية، عملية الرفع بالأثقال، بأن يوثقوا أثقالا فى ساقى المتهم ويتم رفعه للحصول على اعترافاته ـ أى أنه كان يتم سحبه أو

تمزيق أربطته من أعلى ومن أسفل.. ولم تكن اللجنة تعتبر الاعترافات كاملة إلا اذا قام المتهم بالوشاية باثنين من «الهراطقة».. ثم تتم باقى الإجراءات من تعذيب وحرق.. ويوضح الباحث أنه لم تتوقف هذه المطاردات فى سويسرا إلا بعد عصر التنوير.

١٦٣٣: محاكمة جاليليو

بدأت إدانة جاليليو بأنه تشكك فى نظرية بطليموس حول مركزية الأرض. وأجبرته لجنة المحكمة على الرجوع فى رأيه بأن عرضت عليه أولا وسائل التعذيب المستخدمة إذا ما أصر على رأيه.. وكانت أعمال جاليليو قد أدينت ووضعت فى كشف الممنوعات منذ عام ١٦١٦. وقد أمضى بقية حياته معتقلا فى منزله إذ أن شهرته العالمية قد سمحت له بتفادى العواقب الوخيمة، فكانت عملية اعتقاله فى منزله هى الوسيلة الوحيدة لتفادى عمليات التعذيب الرسمية التى تمارسها اللجنة..

ويشير ريبونى إلى أن الكنيسة الكاثوليكية قد تباطأت طويلا لكى تعترف بأن الأرض تدور حول الشمس. وحتى عام ١٧٥٧ كانت «لجنة الإندكس» (قائمة الممنوعات) تمنع ظهور أو نشر وتداول أعمالا تتناول دوران الأرض. وقد ظلت أعمال جاليليو وكوبرنيكس فى كشف الممنوعات حتى عام ١٨٣٥.

وساد الصمت حتى مجئ البابا يوحنا بولس الثانى لكى تتحدث الكنيسة ثانية عن جاليليو! ففى عام ١٩٧٩ وعد البابا بتشكيل لجنة تعيد فحص حالة جاليليو، مكونة من علماء الأكاديمية البابوية للعلوم، على أن «تعيد النظر بأمانة فى الأخطاء التى تسببت فى إدانته أيا كان المخطئ»! وبدأت اللجنة عملها عام ١٩٨١. وفى عام ١٩٩٢، قدمت اللجنة قراراتها للبابا الذى أشار إلى العديد من التحفظات قائلا إنه لا قضاة محكمة التفتيش ولا جاليليو قد استطاعوا القيام بالتفرقة بين «التناول العلمى لبعض الظواهر الطبيعية» وبين «تأمل الطبيعة من المنطلق الفلسفى».

فوفقا للبابا يوحنا بولس الثانى، أن جاليليو قد أخطأ خطأً جسيما برفضه الاقتراح الذى قيل له آنذاك وهو «أن يقدم نظرية كوبرنيكس على أنها مجرد افتراض بما أنها لم تتأكد بأدلة قاطعة». وقد اتفقت اللجنة والبابا على ترك جزء كبير من المسؤولية على عاتق جاليلو لأنه اقترف خطأ آخر وهو: لقد اعتقد أن المد والجزر دليل قاطع على دوران الأرض. وأخيرا انتهت الكنيسة الى تبرأة جاليليو مع التأكيد على أنه كان مسؤلا عن إدانته بقدر لايقل عن مسؤلية محكمة التفتيش التى أدانته!!

١٦١٨ ـ ١٦٤٨: حرب الثلاثين عاما

قام كاثوليك عائلة هابسبورج بفرض الكاثوليكية على البروتستانت فى بوهيميا، وبذلك اندلعت أكبر حرب عرفتها أوروبا حتى ذلك الوقت. فقد فقدت فيها ألمانيا نصف تعدادها تقريبا. وتمت هجرة العديد من المدن وانتشر وباء الطاعون ليجتاح أوروبا الوسطى من لومبارديا إلى بروسيا.

ويؤكد إنريكو ريبونى على أنها كانت حربا دينية بمعنى الكلمة حتى وإن حاولت الكنائس الإيحاء بأنها كانت صراعات سياسية. فلقد شبت الحرب بسبب دينى، وبعد ذلك تدخل الملوك من الخارج، مثال جوستاف الثانى فى السويد، تدخل كل منهم وفقا لعقيدته الدينية. ويكشف كيف كانت هذه الجيوش المسيحية عندما تدخل إحدى المدن تذبح الرجال وتغتصب النساء والأطفال قبل ذبحهم وتشعل النيران فيهم..

١٦٥٠:

قام رئيس أساقفة الكنيسة الأيرلندية، جيمس أوشر باستخدام الإنجيل لتحديد عمر الكرة الأرضية.. ووفقا لما هو وارد بها فإن الأرض قد خُلقت يوم الأحد ٢٣ أكتوبر عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد! ويقول ريبونى: قد يبتسم القارئ اليوم من قراءة مثل هذه المعلومة، لكن يجب أن نذكّر أن قبل ذلك بعام، أى فى

سنة ١٦٤٩ كان بليز باسكال يقوم ببناء أول آلة حسابية: أى إننا من الناحية العلمية والتقنية نحن فى العصور الحديثة، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية تصر على البحث عن الحقيقة فى المسائل العلمية داخل الإنجيل فحسب!

ثم يضيف الباحث أن حسابات جيمس أوشر يستخدمها اليوم رجال الدين الأمريكان المؤمنين بالنشء، ويصرون على أن كل ما له عمر أكثر من ستة آلاف سنة، من قبيل طفاوة القارات أو المتحجرات وغيرها تمثل بالنسبة لهؤلاء عملا من أعمال الشيطان!

١٦٥٢ ـ إعدام آخر ساحرة فى جنيف

كانت مدينة جنيف أول مدينة تكف عن قتل السحرة قبل المدن الأخرى الكبرى فى أوروبا بعشرات السنين. وآخر ساحرة تم حرقها «لاتفاقها مع الشيطان» كانت تدعى ميشيه شودرون، من مقاطعة فورينى. وكانت التهمة التى ألصقت بها من جانب امرأة معتوهة وكانت المحكمة فى جنيف تطلب تقريرا طبيا يقدم الأدلة والبراهين على وجود آثار من آثار الشياطين على جسد الساحرة، كأى ندبة مثلا، أو حسنة ، حتى ورم سرطانى من أنواع سرطان الجلد! إلا أن تقرير الأطباء جاء بما ينفى اتهامات لجنة محكمة التفتيش، فأصر رجال الكنيسة على استدعاء طبيبين من الأقاليم، خارج مدينة جنيف، يمكنهما كتابة التقرير المطلوب. وفى السادس من شهر أبريل عام ١٦٥٢ تم حرق ميشيه شودرون حية فى الميدان إرضاء لرجال اللاهوت التابعين لكالفن..

١٦٦٤: بداية إعدام السحرة فى العالم الجديد

يسخر إنريكو ريبونى قائلا: إن الغربيين قد قاموا بتصدير هذه البدعة الهامة للمسيحيين إلى العالم الجديد! فقد تألقت بدعة المحارق فى أمريكا ووصلت لذروتها عام ١٦٩٢ فى قضية «ساحرات سالم» التى انتهت بحرق ثمانى عشرة ساحرة ورجل واحد بتهمة علاقات مع الجان..

القرن الثامن عشر: إسبانيا وعصر التنوير

بينما كانت أوروبا تخرج ببطء من عصر الظلمات، كانت محاكم التفتيش تنهى أعمالها لاقتلاع «المتنصرين الزائفين».. ويقول الباحث إنه من الصعب تحديد رقم الضحايا فى القرن الثامن عشر، إلا أنه من الثابت تاريخيا أنه فى حكم الملك فيليب الخامس (١٧٠٠ ـ ١٧٤٦) قد أقيمت خلاله ستون محرقة، راح ضحيتها حوالى ألف متهم.

١٧٥٠ ـ ١٧٦٧: عملية الاستحكامات

يقول الباحث إن هذه النقطة طريفة بمعنى أن الكاثوليك فى باراجواى بدأوا يتشاجرون فيما بينهم ويتقاتلون ويلعنون بعضهم بعضا. فلقد وصل الجزويت إلى باراجواى عام ١٦٠٤ وأقاموا إمبراطورية صغيرة، عبارة عن مدن محمية أو «استحكامات» فى وسط الغابات، يضعون فيها الهنود الذين تم تنصيرهم. وابتداء من عام ١٦٤٠ بدأ الجزويت تزويد هؤلاء الهنود بالأسلحة، فقد كان الجزويت هم الذين يديرون ويحكمون هذه القرى من الاستحكامات.. بينما كان الكاثوليك، على الجانب الآخر من الحدود يواصلون تجارة العبيد بالهنود الذين كانوا يأخذونهم لبيعهم فى البرتغال. وبدأ الصراع المسلح، واضطر البابا للتدخل وقام بحرمان الجزويت فى مدن الاستحكامات، وأرسل جيشا لمحاربتهم.. وامتدت الحرب.. ففى عام ١٧٥٦ انتصر الهنود فى موقعة حاسمة على البرتغاليين. وانتهت الحرب سنة ١٧٦٧ باتحاد جيش من البرتغال والإسبان ضد الجزويت الذين تمت إبادتهم وتم أسر الهنود لبيعهم كعبيد. وأقامت الكنيسة قداس شكر لانتصارها وتم طرد ما تبقى من الجزويت من الأراضى الإسبانية.

وفى عام ١٧٧٣ قام البابا كليمان الرابع عشر بمنع جماعة الجزويت بتهمة شدة الذكاء والعقلانية وخاصة لأنهم لم يقوموا بخدمة أسرة البوربون ـ ملوك فرنسا وإسبانيا ـ كما يجب، وهى أسرة من الملوك شديدى التعصب

ومن كبار أصدقاء الكنيسة الكاثوليكية. وقد أصدر أوامره باعتقال الأب قائد الجزويت الذى توفى فى سجن قلعة سانتانچلو فى روما.

١٧٦٦ مقتل الفارس دى لابار

فى قمة ازدهار عصر التنوير، كان الفارس دى لابار يمر على مقربة من موكب كنسى دون أن يخلع قبعته تحية للموكب. فتم القبض عليه وحكمت لجنة التفتيش بتعذيبه ثم بقطع لسانه، وقطع رأسه، وحرق جسمانه على المحرقة مع نسخة من «القاموس الفلسفى» للأديب الفرنسى ڤولتير الذى كان يقرأه.

١٧٩٣: كانط والكنيسة

كان كانط يعمل أستاذا للفلسفة فى جامعة كونجسبرج، ويعد نجما دوليا للفلسفة، إلا أنه قد تطاول ـ على حد قول ريبونى ـ وكتب بحثا بعنوان: «الدين فى نطاق العقل وحده»، أى بعيدا عن الإيمان والمقدسات. وهاج رجال الكنيسة البروتستانتية، وتدخل ملك بروسيا واضطر كانط إلى التراجع علنا تحت ضغط الطرد من الجامعة وما يليها.. كما فرضت الجامعة على باقى الأساتذة أن يوقعوا على تعهد بعدم ذكر أبحاث كانط فى محاضراتهم وخاصة تلك التى تتعلق بالمسيحية، وإلا سيتعرضون للطرد والملاحقة.

١٨٣٢: إدانة حرية العقيدة وحرية الرأى

يوضح الباحث فى هذه الجزئية مدى تسلط النفوذ الكنسى وتحكمه فى حرية الشعوب. ففى عام ١٨٣٠ كانت أوروبا تموج بالثورات والحركات الإصلاحية فى العديد من المجالات. إذ كانت الشعوب وخاصة فى فرنسا ترفض ذلك التحكم المطلق الذى تم فرضه عام ١٨١٥. فقد تم طرد الملك وتولى لوى ـ فيليب الحكم معلنا أنه «الملك المواطن». وارتعدت الكنيسة الكاثوليكية من موجة الحرية التى راحت تتزايد لدرجة أن البابا جريجوار السادس عشر قد أصدر خطابا رسوليا يدين فيه الحريات وخاصة حرية

العقيدة التى تعنى بالنسبة للمجتمع الأوروبى التحرر من طغيان التعتيم وسيادة عصور الظلمات. وقد بدأ البابا بإدانة «تلك الموجة العارمة من الحريات التى ستؤدى الى هدم الكنيسة والدولة».. كما أدان «حرية الصحافة، وحرية تكوين الجمعيات، وحرية التعليم، وسيادة الشعب والانتخابات العامة». وينهى الباحث هذه الفقرة قائلا: «فى الصراع بين التقدم والتخلف، بين الحرية والتعتيم، فإن الكنيسة الكاثوليكية قد اختارت طريقها بوضوح»!

١٨٤٧: حرب سوندربوند

كانت الحرب الدينية تنهش مقاطعات سويسرا فى منتصف القرن التاسع عشر إذ أن المقاطعات الكاثوليكية قامت بتكوين تحالف عسكرى خاص (سوندربوند) يطالب بضم المقاطعات الأخرى التى غالبية سكانها من البروتستانت إلى تحالفها الكاثوليكى. وطلبوا مساعدة الملوك الكاثوليك فى النمسا واندلعت الحرب بينهم، إلا أن الفرق الفيدرالية البروتستانتية استطاعت إيقاف التدخل النمساوى الذى كان سيؤدى إلى توسيع الحرب على المستوى الأوروبى.

ويضيف الباحث ساخرا: «وبدأ البروتستانت يقومون بحملات ضارية ضد الكاثوليك فى الأرياف المحيطة بمدينة جنيف. وتم طرد الجزويت، المسئولين عن هذه الحرب، وظل طردهم من البلاد ساريا حتى عام ١٩٧٠»..

١٨٤٨: ثورة ضد البابوية

فى عام ١٨٤٨ ثار شعب روما ضد الدكتاتورية البابوية وتم طرد البابا بيوس التاسع وإعلان الجمهورية وهدم الجدران التى كانت تحيط بمدينة روما. إلا أن لويس نابليون بونابرت رئيس الجمهورية الفرنسية قد أعاده إلى السلطة فى العام التالى بالسلاح. وتم إعدام المعارضين. وتحولت دولة

الكنيسة إلى سلطة مطلقة برئاسة البابا، حتى تم إسقاط نظامه عام ١٨٧١. وفى عام ١٨٤٩، وبمناسبة مناقشات دائرة فى البرلمان الفرنسى، كتب الأديب فيكتور هيجو واصفا حال الدولة والكنيسة الكاثوليكية قائلا: «التشريع الوحيد القائم هو خواء من القوانين الإقطاعية والرهبانية التى ينجم عنها وحشية القضاة المجرمين وخراب ذمم القضاة المدنيين. فهناك أربع عشرة محكمة استثنائية تعمل على الدوام، ولا يوجد أى ضمان أمام هذه المحاكم. فالمداولات سرية، والدفاع الشفهى ممنوع، والقضاة الكنسيون يحكمون القضايا والأشخاص المدنيين. وقد تم حذر سير اليهود مساءً فى مساكنهم كما فى القرن الخامس عشر، ورجال الاكليروس يتدخلون فى كل شىء حتى فى البوليس.. ورجال المال لا يقدمون حساباتهم إلا لرجال الرب! وقد أصبح هناك نظامان من الرقابة: الرقابة البوليسية والرقابة الكنسية.. واحدة تنهش حرية الرأى والأخرى تنهش حرية الضمير. على أى حال لقد أعيدت محاكم التفتيش»!

١٨٥٨: اختطاف طفل بأمر البابا

قامت خادمة كاثوليكية سرّاً بتعميد طفل يهودى كانت تتولى تربيته. وعند سؤالها قالت إن الطفل كان مريضا وكان عليها أن تنقذه قبل أن يموت ويذهب إلى الجحيم! ويشير الباحث قائلا إن هذه الواقعة تمت فى دولة الكنيسة التى ما أن علمت بحكاية التعميد حتى أرسلت البوليس البابوى لاقتلاع الطفل من أسرته. وقام البابا بيوس التاسع بتبنى الطفل إدجاردو مورتارا وتولى تربيته ليصبح قسّاً.

١٨٦٣: إصدار «السيللابوس» [١]

قام البابا بيوس التاسع بإصدار «السيللابوس»، وهى وثيقة تضم قائمة الممنوعات والأخطاء الخاصة بالفكر الحديث الذى أدانها البابا بلا استئناف.

(١) لقد تناولنا هذه الوثيقة بالتفصيل فى كتاب «هدم الإسلام» ـ نشر دار الكتاب العربى.

ومن بين ما أدانه البابا: الزواج المدنى، إذ يجب أن يتم فى الكنيسة فقط. التسامح أو قبول الديانات الأخرى فى البلدان الكاثوليكية. حرية العقيدة. وحدة الوجود. الليبرالية. الاشتراكية. الثورة ضد أى حاكم «شرعى». توجيه النقد لسلطة البابا. فكرة إمكان التقدم بفضل العقل (وليس بفضل الكنيسة). كما أدان عدم تدخل رجال الدين فى العلوم والفلسفة! وفى عام ١٨٧٠ فرض على مجمع الفاتيكان الأول قبول معصومية البابا من الخطأ بأثر رجعى ممتد - حتى يضمن أنه لن يتم الاعتراض على قراراته وإداناته..

١٨٧١: البابا يمنع إقامة السلطة المدنية

قام البابا الذى أصبح رسميا معصوما من الخطأ بأثر رجعى منذ ١٨٧٠ بالتهديد بالحرمان لأى شخص يساهم فى الانتخابات من أجل إقامة دولة إيطالية مستقلة عن الفاتيكان، بعد أن وصف مثل هذه الدولة بأنها «شيطانية» لأنها سوف تسلب الباباوات سلطتهم المدنية. إلا أن هذا الإجراء لن يمنع البابا - بعد ذلك بعدة سنوات، من مباركة إقامة «الحزب الشعبى الكاثوليكى» الذى أسسه أحد الأساقفة!!

١٨٨١: مذابح اليهود فى روسيا

قام القساوسة الأورثوذوكس فى روسيا بنشر إشاعة كاذبة بأن أحد اليهود قد قتل القيصر إسكندر الثانى. وتجمعت الجماهير فى أكثر من مائتى مدينة روسية لهدم ونهب الممتلكات اليهودية، وكان أعنفها فى مدينة كيشينيث عام ١٩٠٣ حيث قامت المجازر إضافة الى أعمال السلب والنهب.

١٨٨١ - ١٨٨٢: صلب أطفال مسيحيين

نشرت جريدة «تشيفيلتا كاتوليكا» مجموعة من المقالات تؤكد فيها أن اليهود يقومون بصلب أطفال مسيحيين كل عام، وقد أضاف الأب جيوزيبى أورليا دى سان ستيفانو أنهم يقومون بذلك سنويا وأن أوروبا الشرقية تعانى

من هذا التقليد الوحشى مضيفا «أن استخدام دم المسيحيين تقليد عام لدى اليهود وهو وزر يقع على عاتقهم جميعا».

ويعلق الباحث قائلا: «لكى نفهم وقع مثل هذه الكلمات، يجب أن نذكّر أنها غذت عقول الأطفال الذين سيصبحون فى الحكم فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، ومنهم البابا بيوس الثانى عشر، وسوف يكبرون وقد تشبعوا بالعداء ضد اليهود وسوف يطبقون ما شبوا عليه فى الحرب العالمية الثانية»..

١٨٨٩: تمثال جيوردانو برونو

ما أن تخلصت روما من وطأة الحكم البابوى حتى أقيم فى التاسع من يونيو ١٨٨٩، احتفال ضخم لإقامة تمثال للعالم جيوردانو برونو فى حقل الزهور، فى نفس الموقع الذى كانت الكنيسة قد أحرقته فيه. وقد حزن البابا ليون الثالث عشر لذلك وأمضى يومه فى حداد وصوم على إقامة التمثال. ووصفت الصحافة الكاثوليكية هذا الحدث بأنه «وليمة شيطانية» و«انتصار الماسونية والديماجوجية». وقد عملت الكنيسة كل ما فى وسعها لهدم التمثال فى القرن العشرين..

١٩١٨ ـ ١٩٤٥: الكنيسة تأخذ جانب الدكتاتوريات

يوضح الباحث أن الكنيسة كانت تساند الأنظمة الشمولية فى أوروبا:

ففى النمسا: ساندت الكنيسة الكاثوليكية الفاشية النمساوية مساندة كاملة.

وفى إيطاليا: قام الفاتيكان بتوقيع اتفاقية مع النظام الفاشى ينص على أن الكاثوليكية هى دين الدولة، ووعد موسولينى بأن لاتنقلب منظمة «العمل الكاثوليكى» ضد الفاشية، ثم منح موسلينى وسام «الفروسية الذهبى».

وفى ألمانيا: وفى يناير ١٩٣٣ قام الحزب الكاثوليكى برئاسة برالات كاس

بانتخاب هتلر والموافقة على إسناد كافة السلطات له وبذلك حصل على ثلثى الأصوات فى الرايخشتاج وأمكنه وقف قوانين الدستور. كما وافق الحزب على اعتقال النازى للنواب الشيوعيين قبل الانتخابات. ثم أقر القس كاس على حل الحزب بعد أن عاون النظام النازى على السيطرة على الحكم، وانتقل إلى الفاتيكان، وتمت ترقيته إلى درجة أسقف. وقد قام هتلر بالإعلان فى كتاب «ماين كامف» الذى يشرح فيه برنامجه السياسى، أنه كاثوليكى و«أداة أرسلها الرب» والطريف أن الكنيسة لم تضع أبدا كتاب «ماين كامف» فى قائمة الممنوعات! وعرفانا بالجميل، جعل هتلر الصلاة إجبارية فى المدارس العامة الكاثوليكية كما كتب عبارة «الرب معنا» على الزى العسكرى!..

وفى عام ١٩٣٨ نظمت السلطات النازية ما أطلقوا عليه «ليلة الكريستال» وتخفوا فى الزى المدنى وقاموا بالهجوم على المعابد والمحال التابعة لليهود. وفزع الألمان مما وقع مساءً وعندما سألوا أسقف فرايبور، المونسينيور وجروبر قال: «لايمكننا أن نرفض لأحد حق الحفاظ على نقاء جنسه واتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك».

وفى إسبانيا: ما أن أقيمت الجمهورية فى أبريل ١٩٣١ عقب سقوط دكتاتورية دى ريفيرا، حتى أعلنت الكنيسة الحرب على الديمقراطية: ففى السابع من مايو ١٩٣١ قام الكاردينال بدرو سيجورا، أسقف مدينة توليدو بحثّ أتباعه على حمل السلاح ضد الديمقراطية. وكرد فعل على ذلك النداء العلنى للحرب المدنية، قامت الجماهير، فى الحادى عشر من مايو، بحرق العديد من الكنائس، وبذلك أصبحت الكنيسة حاملة للقب «شهيدة» الجمهورية! الأمر الذى سيسمح لها بتبرير اشتراكها فى الانقلاب العسكرى الذى قاده فرانكو. وراح أكثر من مليون قتيل ضحية لعنة الحرب، إضافة إلى إعدام مائتى ألف أثناء الحرب ومائتى ألف بعدها. ولم تساند الكنيسة الانقلاب العسكرى وحده وإنما ساندت عمليات إعدام الأسرى أيضا. فقد قام اثنان من الكرادلة وستة رؤساء أساقفة، و٣٥ أسقفا وخمسة نواب رسوليين

بالتوقيع على خطاب موجه إلى أساقفة العالم يعربون فيه عن فرحهم بإعدام أولئك الأسرى «لأنهم فى لحظة إعدامه فإن القتيل يتصالح مع ربه». وفى ١٩٣٦/٩/٢٨ قام إيزيدرو جوما، رئيس أساقفة مدينة توليدو بمساندة فرق فرانكو لأنهم «يحاربون أولئك الملاعين أبناء موسكو واليهود والماسونيين والجمعيات السرية التى تسيطر عليها المنظمات اليهودية العالمية».

ويوضح ريبونى كيف قامت كنائس العالم لمساندة فرانكو ضد جمهورية إسبانيا. ونجح الأساقفة الكاثوليك فى نشر خطاب جماعى يوم ١٩٣٩/٨/١٩ يؤيدون فيه مساندة هتلر لفرانكو، ونجحوا فى الولايات المتحدة فى منع إرسال أية مساعدات لمساندة الجمهورية، وتراجع روزفلت عن مساندة الجمهورية لكى لا يخسر أصوات الناخبين الكاثوليك. وأعلن البابا أن أى شخص يقتله الجمهوريون يصبح شهيدا، واعترف بنظام فرانكو منذ ١٩٣٧ بينما الحرب مازالت مشتعلة، وأرسل مندوبا رسوليا، ثم زاد التمثيل الرسولى فى ١٨ مايو ١٩٣٨ - والحرب قد امتدت حتى ١٩٣٩ - بتعيين جايتانو تشيكونيانى مندوبا رسوليا وأرسل فرانكو سفيرا له فى الفاتيكان.

ويوضح الباحث كيف قام فرانكو برد الجميل لحلفائه الأتقياء بأن عهد (أوبوس داى) إلى الكنيسة بمهمة التعليم القومى، ثم قام بتعيين عدد كبيرمن أعضاء جمعية «عمل الرب» فى الحكومة، وهى كبرى الجمعيات التبشيرية التابعة للفاتيكان. وتزايد سلطان هذه الجمعية أيام دكتاتورية فرانكو لدرجة أن آخر حكومة فى نظامه كان نصف أعضائها من تلك المؤسسة الكاثوليكية.

وبعد ذلك بسنوات، فى شهر مارس ٢٠٠١، قام البابا يوحنا بولس الثانى بترسيم ٢٣٣ من رجال الكنيسة وإضفاء لقب «شهيد» الحرب المدنية الإسبانية قائلا إنهم ضحايا الإرهاب!

وفى فرنسا: أعلنت الكنيسة منذ ١٩٤٠ أن «بيتان هو فرنسا» واختارت بذلك حليف الألمان.

وخلال الحرب العالمية الثانية

يقول ريبونى إن الفاتيكان كان على علم بإبادة النازى لليهود. وقد اتضح بعد الحرب أنه كان بوسع البابا أن يصدر بيانا لإيقاف ذلك لكنه امتنع. وفى أبريل ١٩٤١، عندما اجتاح الألمان يوغسلافيا، أعلن أنتى بالفيتش، المتعصب الكاثوليكى عن استقلال كرواتيا بهدف أن يجعل منها دولة كاثوليكية نموذجية، وفقا لتعاليم الكنيسة. وسرعان ما باركه كبير أساقفة زغرب المونسينيور ستبيناك وطوال الحرب ظل بالفتينش يرسل تقارير منتظمة للبابا بيوس الثانى عشر حول تقدم الكاثوليكية فى كرواتيا. وتقول أرقام التقارير إنه استطاع تحويل أكثر من ثلاثمائة ألف أورثوذكسى إلى الكاثوليكية. وبعد وصوله إلى الحكم، قام بالفيتش بفتح معسكرات اعتقال للأورثوذكس. وكثيرون من حراس أو جلادى هذه المعسكرات كانوا من الفرانسيسكان. وكان القس ميروساف فيليبوفيتش واحدا منهم، وكان يعمل قائدا لمعسكر ياسينوفاتش حيث لقى أكثر من أربعين ألف رجل وامرأة وطفل من الأورثوذكس حتفهم هناك، إذ أن رجال الكنيسة كانوا يساهمون أيضا فى هذه المجازر.

وقد طالب الأب إيفان راجوز بقتل كل الصرب الأورثوذكس بما فى ذلك الأطفال «لكى لايبقى شىء من بذرة هؤلاء البهائم».. ويورد الباحث أن عدد القتلى الأورثوذكس فى هذه المجزرة العرقية وصل إلى أربعمائة ألف شخص.

وفى صيف ١٩٤١، عندما كانت جيوش المحور تتقدم نحو السهول الروسية، طلب الفاتيكان رسميا من قائد الفرق أن يسمح له بإرسال مبشرين يسيرون على خطى الفرق الألمانية لتحويل الفلاحين الروس الأورثوذكس إلى الكاثوليكية. إلا أن هتلر قد رفض ذلك، ليس من أجل أسباب دينية وإنما من أجل أسباب منطقية وعملية بحتة كما يقول الباحث، إذ قال لمستشاريه الذين كانوا يلحّون عليه: «إذا ماسمحنا للكاثوليك بالذهاب، فيجب أن نسمح للكنائس الأخرى أيضا، وسرعان ما ستتحول الساحة خلفنا إلى مبشرين من كافة الفرق يتحاربون مع بعضهم بعضا بالصُّلبان»!

ويصر الباحث على تحديد كيف ظل البابا متمسكا بموقفه المساند للنازى. وفى سبتمبر ١٩٤٣ عند استسلام إيطاليا أمام الحلفاء قام الألمان باحتلال روما. وبدأت موجات اكتساح اليهود الإيطاليين منها. وخشيت الحكومة الألمانية من رد فعل البابا وأرسلت ويتساخر وكيل أول الوزارة ليتبين الموقف. وفى ١٩٤٣/١٠/١٨ كتب ويتساخر لوزارة الخارجية الألمانية قائلا: «رغم كل الضغوط التى تمارس عليه من كل جهة فإن البابا لم يرضخ لعمل أية مذكرة احتجاج ضد ترحيل يهود روما».. ثم اتخذ البابا موقفا صريحا مع المحتل ضد المقاومة، ففى ١٩٤٤/٣/١٢ وأثناء الاحتفال باعتلائه الكرسى الرسولى، أعلن نداءً ضد المقاومة الشعبية مسانداً الغزاة المحتلين بصراحة. وبعد عشرة أيام قامت المقاومة الإيطالية بقتل ٣٢ جنديا ألمانيا. وفى اليوم التالى قام الألمان بإعدام ٣٣٥ إيطاليا من السجناء السياسيين والمدنيين، وقد تم إعدامهم فى سرّية تامة، بأن وضعوهم فى أحد الكهوف ونسفوهم بالديناميت. وعند انتشار الخبر قامت جريدة «أسرفاتورى رومانو» وهى الجريدة الرسمية للكرسى الرسولى باتهام المقاومة الإيطالية بقتلهم وأضافت مناشدة قادة المقاومة: أن تكف عن التضحية بالآدميين».

١٩٤٨: معاداة الشيوعية

أعلن البابا أن أى شخص يقوم بانتخاب اليسار أو يساعد الحزب اليسارى بأى طريقة كانت، سيعتبره محروما تلقائيا. وقد أدى هذا القرار إلى انقسام العائلات وإلى العديد من الإبعاد الاجتماعى. وهو أمر غير محتمل بالنسبة للعديد من الناس، إضافة إلى إلزام العديد باللجوء إلى السرية فى مساندة اليسار. وسارع رجال الكنيسة بترجمة هذه التوجيهات وإجبار أتباعهم على انتخاب الحزب «الديمقراطى المسيحى» وهو أكبر حزب ضد اليسار.. ويشيد الباحث إلى أن هذا الحزب الديمقراطى المسيحى قد انهار من الفساد الذى عم به وتفشى فى منتصف التسعينيات.

١٩٦١: آخر طبعة لقائمة الممنوعات

إصدار آخر طبعة لقائمة الممنوعات من الكتب، والمعروفة باسم «إندكس»، كما تضم أسماء الذين تُمنع كل كتبهم، ومنهم جان بول سارتر، البرتو مورافيا، أندريه جيد.

١٩٧٨: البابا يوحنا بولس الثانى

فى عام ١٩٧٨ تم تعيين البابا يوحنا بولس الثانى على رأس أكبر طائفة مسيحية فى العالم، وقد ترأس الكاثوليكية - كما يقول ريبونى - بكل تراثها الكنسى البشع. ويعتبر ريبونى إدانة البابا لاستخدام العازل الطبى كوقاية من مرض الإيدز وخاصة فى أفريقيا قد أدى إلى عدد من الوفيات يصعب حصره. كما يتهمه بالقيام بعمليات تخريبية فى قضايا تنظيم النسل فى أمريكا الجنوبية وأفريقيا والعالم الثالث بعامة، تؤدى إلى مآسٍ لا إنسانية. كما قام بملاحقة اثنين من علماء اللاهوت الألمان، كان أحدهما قد تجرأ على إدانة «معصومية البابا من الخطأ»، بينما تشكك الثانى فى مسألة الحمل العذرى للسيدة مريم.

١٩٨٥ : لاهوت التحرر أمام محكمة التفتيش

فى مطلع الثمانينيات قام علماء اللاهوت الكاثوليك فى البرازيل بتطوير مفهوم لاهوت التحرر، مؤكدين أن المسيحية يُفترض فيها الدفاع عن الفقراء والمقهورين، وأنها يجب أن تتبنى الدفاع عن حقوق الإنسان. ولم يرق هذا التفسير للأناجيل للقيادات العليا للكنيسة الكاثوليكية، وتصدت لأحد رجال اللاهوت هناك هو الأب ليوناردو بوف الذى كتب يقول «إنه يتعين على الكنيسة نفسها أن تبدأ باحترام حقوق الإنسان».

ويقول الباحث إن «لجنة عقيدة الإيمان»، وهو الاسم الرسمى الجديد لمحاكم التفتيش منذ مجمع الفاتيكان الثانى (١٩٦٥)، قد أدانت ليوناردو بوف

واستدعته للمحاكمة، فى نفس تلك الغرفة التى كانت تستخدمها أيام كان اسمها المكتب المقدس لمحاكم التفتيش». وقد حظى ليوناردو بون بالجلوس على نفس المقعد الذى جلس عليه كل من جليليو وجيوردانو برونو.. ويقول ليونارد بوف بعد ذلك إنه قد انحنى تحية لذلك المقعد الشهير، قبل أن يشكر اللجنة على الشرف الذى منحته له بالسماح له بالجلوس عليه». وكانت نتيجة المحاكمة أن بوف مُنع من النشر. لقد سمح له أن يظل قسيسا، لكن لم يعد من حقه كتابة ونشر أى شىء. وبما أن القس ليوناردو بوف من النشطين فى الكنيسة البرازيلية ويساهم فى المؤتمرات والندوات المختلفة، فقد تلقى الأمر من روما بمغادرة البرازيل وأن يختار ديرا فى الفيليبين او فى كوريا، أو أن ينسحب من أى اتصال بالعالم الخارجى. فآثر ترك الكنيسة.

ويقول الباحث إن هذه القضية لافتة للنظر إذ أنها تكشف عن أن الكنيسة الكاثوليكية ومحاكم التفتيش لاتزال تعمل بنفس صرامة الماضى. وإذا لم يتعرض ليوناردو بوف إلى التعذيب مثل جاليليو وغيره فذلك يرجع إلى أن الكنيسة لم يعد فى مقدورها عمل ذلك، لكنها عملت على إجباره على ترك الخدمة. كما تكشف عن القول بأن مفهوم المسيحية يتمشى مع حقوق الإنسان، بالصورة التى نفهمها اليوم، هى فكرة خاطئة رسميا وعمليا إذ أن الكنيسة تحاربها بضراوة.

١٩٨٧: تدخل الكنيسة ضد التلقيح الصناعى

ينتقد ريبونى الموقف اللا إنسانى للكنيسة فى حربها ضد التلقيح الصناعى، «لما فى هذه الوسيلة من مساعدة طبية لزيجات تواجه صعوبات فى الحمل بالصورة الطبيعية. وقد نشرت «لجنة عقيدة الإيمان» (محاكم التفتيش سابقا) بيانا أقره البابا يمنع كافة هذه التدخلات الطبية التى قد تخفف من آلام الكثير من الزيجات البائسة، وذلك استنادا إلى نصوص كتبها بعض البدو منذ ثلاثة آلاف سنة»! ويأسف الباحث لأن الكنيسة تمارس سلطاتها فى كافة البلدان التى يوجد فيها أحزاب ديمقراطية مسيحية.

١٩٩٠: الحروب الدينية فى يوغسلافيا

يقول ريبونى إن يوغسلافيا ظلت حتى الثمانينيات من القرن العشرين تحظى بسمعة بأنها من أفضل الأماكن لتمضية الأجازات الصيفية، وكانت تفخر ـ سياحيا ـ بطابعها المتعدد الديانات، حيث كان يمكن أن يرى السائح فى بلدة موستار وعديد من البلدان غيرها المسجد والكنيسة فى نظرة واحدة. إلا أن البلد انهارت فى سلسلة من الحروب الأهلية التى يحلو للبعض وصفها بأنها حروب «عرقية»، فى حين أنها حروب صليبية دينية صرفة. ثم يضيف قائلا: لعل حرب كرواتيا تكون أكثرها دليلا على ذلك. فالصرب والكروات يتقاسمون نفس الأصل العرقى، ونفس اللغة، «السربوكروات»، التى مازالت (عند كتابة هذا البحث) اللغة الرسمية للجيش اليوغسلافى، الذى يحارب ضد منظمة حلف الأطلنطى فى كوسوفو، بعد أن حارب ضد الكروات فى مطلع التسعينيات.

والحقيقة هى أن الدين هو الذى يفرق بينهم: فالكروات قامت روما بتنصيرهم، وهم كاثوليك. والصرب قام البيزنطيون بتنصيرهم، وهم أورثوذوكس. وعندما بدأ ميلو سفيتش، الدكتاتور الصربى، بالتلويح بفكرة «صربيا الكبرى»، أعلنت كرواتيا استقلالها. وعلى الفور سارع الفاتيكان وألمانيا الاتحادية وقتها بالاعتراف بكرواتيا كدولة كاثوليكية مستقلة. كما قام الفاتيكان بإرسال مندوبيه فى جميع بلدان الغرب للاعتراف بالدولة الكاثوليكية الجديدة، كما قام البابا بمضاعفة النداءات، والصلوات والقداسات من أجل استقلال كرواتيا. وفى نفس ذلك الوقت، كان دكتاتور كرواتيا الشديد الكاثوليكية ـ كما يصفه ريبونى، قام برفت جميع الموظفين الأورثوذكس من وظائفهم، أى رفت الصرب. واختار راية جديدة لدولة كرواتيا هى نفس الراية القديمة التى كان يستخدمها الأوستاتشى (الكروات) الذين قاموا فيما بين عام ١٩٤٠ و١٩٤٤ بعمل حملة أبادوا فيها ستمائة ألف صربى أورثوذكسى.. وبدأت الحرب الأهلية..

واستمرت حرب يوغسلافيا بعد ذلك فى البوسنة، وتعاون الفريقان لاقتلاع المسلمين. وقامت الكنيسة الأورثوذكسية بمساندة الصرب ضد أهل كوسوفو المسلمين بل لقد تضافرت جهودهما بمساعدة الفريق الهولندى فى الأمم المتحدة الذى أشرف على إبادة اكثر من تسعه آلاف من مسلمى بلدة سريبرينيتسا - كما سبق وطالعنا من قبل.. ويأسف الباحث من أن هذه الحروب اليوغسلافية تمثل قمة مأساة عدم التسامح والتعصب الكنسى فى القرن العشرين.

١٩٩٤: الجنس، الأكاذيب، والقمع

يتناول الباحث هنا أحد الموضوعات التى كان من الصعب تناولها. فيوضح كيف أن الكنيسة منذ القرون الوسطى تفرض على القساوسة عند ترسيمهم عدم ممارسة الحياة الجنسية. وفى نفس الوقت تقيم الأديرة للراهبات، وهن أيضا قد تخلين عن الحياة الجنسية لأنهن «تزوجن السيد المسيح». إلا أن العلاقات بين الراهبات والرهبان لا تنقطع، فالرهبان هم الذين يستمعن الى اعترافات الراهبات بصفة منتظمة. ومن هذا الموقف المتفجر، كما يصفه الباحث تنجم المشاكل. وما أكثر ما تمتلئ به الروايات فى الأدب الفرنسى عن تلك السراديب التى يلتقى فيها الفريقان أو تدفن فيها الأجنة الناجمة عنها.. وظلت الكنيسة تنكر وتمنع تناول الموضوع رغم تفاقم المشكلة، بينما هى تصر على مبدأ لا أرى، لا أسمع، لا أعرف، إلى أن انفجر الموضوع عام ١٩٩٤ حينما قامت إحدى الراهبات، هى الأخت مورا أدونوهو، المسئولة عن تنظيم حملة ضد مرض الإيدز تابعة لمنظمة فى إنجلترا، وقامت بتسليم تقرير تنص فيه على العديد من حالات الاغتصاب المتكرر من جانب الرهبان على الراهبات فى أكثر من ٢٣ دولة، أغلبها فى أفريقيا لكنها ذكرت حالات من الاغتصاب أو التحرش فى البرازيل وكولومبيا والفيليبين والولايات المتحدة وأيرلندا وإيطاليا - وكان من الأوقع والأكثر اختصارا أن تقول فى جميع أنحاء العالم حيثما يوجد رهبان وراهبات.

ويقول الباحث إن التقرير جد محبط، فمن بين الحالات التى ذكرتها إيقاف رئيسة عليا من منصبها لأنها أعلنت لأسقفها عن وجود ٢٣ حالة حمل بين الراهبات، فى آن واحد، كما شكت له ذلك الراهب الذى أقام قداسا على روح راهبة كانت قد حملت منه وألزمها بالإجهاض لكنها توفيت أثناء العملية. ويعلن الباحث ساخرا بأن مثل هذه المسائل عادة ماتحل بصورة تقليدية، فالراهبة التى تحمل تُطرد من الكنيسة بينما الراهب الذى تسبب فى حملها يظل محتفظا بمنصبه!

وقد احتفظت الكنيسة بالتقرير فى سرية تامة ولم يتم نشر أجزاء منه إلا فى مارس ٢٠٠١ فى صحيفة كاثوليكية أمريكية هى «ناشيونال كاثوليك ريبورتر».

ويؤكد الباحث أن تقرير الراهبة مورا ليس التقرير الوحيد الذى يتسلمه الفاتيكان ليفضح هذه الظاهرة أو مدى انتشارها أو حتى مدى التعتيم عليها. ففى عام ١٩٩٨ قامت راهبة أخرى هى مارى ماكدونالد، وتعمل طبيبة فى نفس الوقت ورئيسة لإرساليات «نوتر دام بأفريقيا»، وهو تقرير به نفس المضمون وإن كان يزيد عليه التنويه «بغياب أية عمليات تفتيش دورية كما يدين مخطط الصمت». وأثناء انعقاد سينودس أساقفة جزر المحيط الهادى، الذى أقيم فى روما عام ١٩٩٨، قال أسقف مدينة سيدنى باستراليا جوفروا روبنصون مؤكدا «إن الاعتداءات الجنسية من جانب الأساقفة أصبحت العقبة الأساسية أمام تبشير الإنجيل فى هذه المنطقة».

ويوضح الباحث كيف ظل الفاتيكان يتكتم الأمر إلى أن تم فضحه فى «ناشيونال كاثوليك ريبورتر». وعندما لم يعد باستطاعة أحد إنكار الموضوع، راح الفاتيكان يقلل من شأن هذا التقرير. وهنا يرى إنريكو ريبونى أنه حتى يومناهذا فإن الكنيسة تلجأ إلى نفس الأساليب. فعندما يقوم القساوسة باستغلال الضعفاء، تتكتم الأمر أو تتحمله، لكنها تعاقب الضحايا..

وفى هذا الصدد فإنها تجبرهن على الإجهاض وتطردهن من الدير. واللائى يتجرأن على كشف الموضوع، حتى فى النطاق الداخلى المحصور للهيلمان الكنسى، فيقع عليهن العقاب أيضا. ويضرب مثلا بتلك الراهبة الرئيسة التى أقيلت وطردت من الدير لأنها تجرأت وشكت للأسقف وجود ٢٩ حالة حمل بين الراهبات!

١٩٩٤: مساندة المتواطئين فى مجزرة رواندا

يبدأ ريبونى هذه النقطة من الصفحة السوداء للمسيحية بحمد الله على «أن الكنيسة الكاثوليكية تجيد تقديم العون لمن يحتاجه خاصة إذا كان مجرما ومن رجال الاكليروس».

لقد اجتاحت حرب رواندا التى بدأت عام ١٩٩٤ وأتت على قرابة مليون من التوتسى المسلمين وعددا من الهوتو المعتدلين. ويشير الباحث إلى أن الكنيسة لم تقف مكتوفة الأيدى وإنما ساهمت فى المجازر التى قادها الهوتو.

ولم يتم كشف هذه الخبايا ويصبح الموضوع علنا إلا فى أبريل ٢٠٠١، عندما ذهلت أوروبا بمشاهدة راهبتين من رواندا تمثلان أمام المحكمة فى بلجيكا بتهمة الإسهام فى عملية الإبادة التى تمت. فالراهبتان جرترود وكيزيتو كانتا عام ١٩٩٤ تشغلان منصب رئيسة ومديرة الدير الكاثوليكى فى رواندا، عندما لجأ مئات الفارين من الإبادة واحتموا فى الدير وفى الهنجر التابع له.. إلا أن الراهبتين قد وشيتا باللاجئين المسلمين وعاونتا على إشعال الحريق بالمبنيين بأن حملتا صفائح الكيروسين وأشعلتا المكانين بأيديهما. بل إن الراهبة كيزيتو كانت تغذى النيران بإضافة الحطب الجاف. وأدانتها المحكمة بعقوبات صارمة. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية قد قامت بحمايتهما وأودعتهما فى دير بجنوب بلجيكا. وما أذهل الجمهور الأوروبى - كما يقول ريبونى، هو اكتشافه أن هاتين الراهبتين ليستا وحدهما، وأن هناك فى

بلجيكا وفى بلدان أوروبية أخرى قساوسة ورتبا دينية أخرى قد عاونت فى هذه الإبادة الدينية، وأنهم ينعمون بالحرية بعيدا عن المحاكم البلجيكية والدولية. ومنهم الأب إمانويل ركوندو، أحد العاملين فى أبرشية جرانج كنال فى جنيف اسمه مدرج على قائمة الحكومة الرواندية من بين الأشخاص الضالعين فى هذا التطهير الدينى. وكان قد نجح فى الفرار من رواندا بفضل معاونة الفاتيكان. وما يغضب الباحث أن الفاتيكان قام بالدفاع عنه أمام الأتباع فى جنيف، حيث قام أسقف جنيف باتهام «الإشاعات الكاذبة المهينة» التى لاحقته وذلك فى قداس عيد الفصح فى ٢٤ و ٢٥ مارس ٢٠٠١.

١٩٩٦: محرقة العوازل الطبية

فى ٣١ أغسطس عام ١٩٩٦، قام الكاردينال موريس أتونجا بإقامة محرقة فى وسط ميدان نيروبى فى كينيا، لحرق علب العوازل الطبية والكتيبات الإرشادية لكيفية الوقاية من الإيدز! وهذه الكتيبات لم تكن من البيانات الدعائية وإنما كتيبات طبية قامت بها بعض المنظمات الأهلية الطبية ضمن برنامج الصحة وتطوير التقنيات المناسبة. ويقول ريبونى إن هذا الكاردينال ليس وحده الذى يقوم بفتح الباب للمرض ليجتاح الملايين من الأفارقة. فهناك الأسقف كومبارى فى بوركينا فاسو الذى قام بنفس الشىء عام١٩٩٦.

١٩٩٩: ضد إنقاذ مسلمات كوسوفو

يورد الباحث أن فى عام ١٩٩٩ كان الموقف شديد التوتر فى كوسوفو، مقاطعة صربيا الأورثوذكسية والتى أغلب سكانها من المسلمين. وعند التدخل العسكرى لمنظمة حلف الأطلنطى، أجابهم العسكريون الصرب بطرد المسلمين من ديارهم. ومن استطاع من النساء والفتيات الوصول إلى حدود كوسوفو مررن بعمليات اغتصاب وحشية وجماعية من العسكريين الصرب الأرثوذكس. وقامت منظمات الصليب الأحمر التابعة لمنظمة حلف الأطلنطى

بتوزيع حبوب الإجهاض لمن تطلبها. إلا أن الفاتيكان قد اعترض على ذلك، ففى ١٣ أبريل ١٩٩٩ قام الأسقف إليو سجريتشا التابع له ونائب رئيس الأكاديمية البابوية، وأدان تلك الأقراص التى يمكنها أن تخفف من فضيحة هؤلاء البائسات، قائلا «إن أقراص الإجهاض لا تتمشى مع العقيدة الكاثوليكية» ومن المؤسف أن سيادة الأسقف لم يقل شيئا عن وحشية الاعتداءات نفسها..

٢٠٠١: الأساقفة المنحرفون

يفرد إنريكو ريبونى مساحة كبيرة لهذه الجزئية التى يختتم بها بحثه عن تلك الصفحة السوداء والمشينة للمسيحية عبر التاريخ.. ويقول إن الكنيسة تفرض التبتل على قساوستها عند ترسيمهم، منذ أكثر من ألف عام. وفى حقيقة الأمر أن هذه الجزئية قد عرفت الكثير من التردد على مر التاريخ بين الإباحة والتحريم. إلا أن هذا التحريم قد جذب الشواذ وخاصة المجرمين فى حق الأطفال. ويوضح الباحث أن الخطر يكمن من جهة فى تلك الآية التى تحبذ الإخصاء من أجل يسوع.. ثم يضعونهم فى مواقف الإغراء المتواصل وخاصة تقليد الاعتراف..

ويقول الباحث إن المشكلة قديمة، فأيام عصر التنوير كتب الأب برنييه، المعروف باسم البارون هولباخ، فى عالم الأدب، فى مؤلفه المعنون: «القاموس المختصر للدين المسيحى» فى الجزء الخاص بجمعية يسوع: «... وعادة ما لا تقبل النساء، إلا أن الشبان أو الأطفال لايخرجون سالمين، أى أنهم يدفعون الثمن».. غير أن ذلك الأمر لم يتكشف إلا فى أواخر القرن العشرين وانفضحت أبعاد وأعماق المشكلة عن طريق الإعلام الذى فضح العديد من القصص المخزية فى منتصف التسعينيات. وما أذهل الجمهور فى كل هذه المسألة ليست عملية الاغتصاب، التى راح ضحيتها آلاف الأطفال، ولكن موقف الكنيسة الكاثوليكية التى دأبت على حماية قساوستها من يد العدالة الاجتماعية.

ثم يورد الباحث واحدة من أولى هذه الفضائح، فى تلك الأعوام، وكانت تتعلق بأسقف مدينة فيينا الصديق المقرَّب من البابا يوحنا بولس الثانى. فقد سمحت له الكنيسة الكاثوليكية أن يختبئ فى أحد أديرة الراهبات فى ألمانيا، وبذلك أفلت من يد العدالة النمساوية. وفى التاسع من شهر أبريل ١٩٩٨ وبينما الرأى العام البلجيكى كان يهتز من عدد من هذه الفضائح، قامت العدالة البلجيكية لأول مرة بإخضاع رجال الكنيسة أخلاقيا للقانون المدنى. وقامت المحكمة رقم ٣٤ من المحكمة التأديبية فى بروكسيل بالحكم على الأب المنحرف أندريه فاندرلين، وأدانته للقيام بعدد من الاعتداءات الجنسية على أطفال فى فصول تعليم الدين المسيحى، بالسجن مع الأشغال. كما أدانت رئيسه الكردينال دانيلز والأسقف التابع له الأب پول لانو، لأنهما كانا على علم بتصرفات القس المنحرف وتسترا عليه ولم يتخذا أى إجراء لحماية الضحايا من تصرفاته. وفرح البلجيك آنذاك بالحكم على أنه سوف يردع المنحرفين.. إلا أن أنظارهم سرعان ما اتجهت إلى مدينة جاند، شمال غرب بروكسل، حيث كانت فضيحة أخرى مطروحة أمام القضاء: فقد اعترف أحد القساوسة بعلاقته مع أحد الأتباع، وحاول التنصل منها قائلا إنه كان بالغا.. واعترض أهل الشاب الذين رفعوا الأمر الى القضاء.. وأقرت المحكمة رقم ١٤ فى الغرفة التأديبية فى العاشر من شهر يونيو ١٩٩٨ أن العلاقة الجنسية قد بدأت فعلا بينما كان الشاب طفلا قاصرا وأن القس قد استغل سلطاته الوظيفية، وتمت إدانته.

ويقول ريبونى إنه مع انتشار وتزايد الاتهامات ضد رجال الكنيسة المنحرفين، أعلنت الكنيسة فى فرنسا أنها لن تقوم بحماية المنحرفين من رجالها. إلا أنه فى شهر مارس ٢٠٠١ اندلعت فضيحة جديدة تهز قطاع الفرانكوفونية ـ كما يطلق عليها الباحث.. ففى مدينة فيفاى بسويسرا انتشر خبر أن راعى الكنيسة متهم باغتصاب الأحداث. وبادر أحد زملائه بالإبلاغ

عنه إذ هاله صمت المسؤولين. والمضحك ـ كما يقول الباحث، أن القس الذى تقدم بالبلاغ هو الذى عوقب بالرفت لأنه تطاول على سر المهنة وكشف خبايا زميل له، أما الجانى فظل فى مكانه ومنصبه ولايزال يمارس مهنة تعليم الاطفال «أصول» المسيحية! أى أن الأساقفة مازالوا يمارسون مهمة حماية القساوسة أو أى زميل لهم، أيا كانت درجته الكهنوتية، على أساس أن ما قام به يعتبر خطأ وليس جريمة يعاقب عليها القانون!

٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢: مؤامرة الصمت

عشرة ملايين دولار هو المبلغ الذى دفعته أسقفية مدينة بوسطن فى أمريكا، فيما بين ١٩٩٧ و٢٠٠١ لإسكات ضحايا أحد قساوستها المتهم باغتصاب الاطفال بدأب!

ولولا صحيفة «بوسطن جلوب» التى أذاعت النبأ لظل فى طى الكتمان.. وكان الغضب عارما، ففى عام ١٩٩٢ كانت الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية قد اهتزت بحدث مماثل، إذ قام أكثر من مائة ضحية للقس المنحرف جيمس بورتر، من أسقفية فول ريفر بجنوب شرق ملساشوستس وقدموا الأدلة والبراهين على أن الكنيسة قد قامت بنقل ذلك القس من أبرشية لأخرى لكى تحميه من غضب ذوى الأطفال الذين اعتدى عليهم، فى الوقت الذى كان فيه انحرافه معلوما لدى الجميع. ويشير الباحث إلى تقرير سرى يرجع إلى عام ١٩٨٥ يحذر رجال الأسقفية من «أن الثقة التى كان يمكننا الاعتماد عليها لدى القضاة ووكلاء النيابة الكاثوليك لحماية قساوسة الأبرشية قد ولت»..

وعلى الرغم من أن أسقف مدينة بوسطن قد أعلن عام ١٩٩٣ أنه سيتم اتخاذ إجراءات حاسمة ضد من يقوم بمثل هذا الفعل، إلا أن نفس هذا الأسقف اضطر فى يناير ٢٠٠٢ أن يقف أمام الجمهور ويشرح لماذا لم يتم تنفيذ القرار الذى أعلن عنه عام ١٩٩٣..

ويشير الباحث إلى أن ذلك القس المدعو جوغان قد اغتصب مائة وثلاثين طفلا فى ثلاثين عاما مع تغيير أماكن عمله وتنقله فى أبراشيات مختلفة، بينما رئيس أساقفة بوسطن، الحبر لو، كان على دراية بذلك. وكل ما فعله هو أنه طلب من القس المنحرف أن يخضع للعلاج ثلاثة أشهر، ثم أعاده الى منصبه حيث عاد يمارس اعتداءاته. والمعروف أن ذلك المنحرف كان يتصيد الأطفال الفقراء الذين يمكن شراء صمتهم ببعض الحلوى..

وينهى إنريكو ريبونى ذلك البحث الأسود بأن البابا يوحنا بولس الثانى قد قام بالتوقيع على خطاب عام ٢٠٠١، مقدم من لجنة عقيدة الإيمان - محاكم التفتيش سابقا، بأن تخضع مثل هذه القضايا للمحاكم الكنيسية فحسب، حيث يكون وكلاء النيابة والقضاة والدفاع وكافة الإجراءات كنيسية وسرية..

وفى مطلع الألفية الثالثة مازالت الكنيسة الكاثوليكية كما يصفها الباحث «عبارة عن عش للمنحرفين جنسيا الذين يغتصبون الأطفال بعيدا عن طائلة القانون، بما أن الكنيسة قد فرضت سيطرتها على مجرى العدالة، وبعيدا عن انتقام الأهالى، بما أن الكنيسة تستثمر ملايين الدولارات لتفرض أو لتشترى صمت آباء الضحايا من الأطفال.

وعلى الرغم من أن الرئيس جورج دابليو بوش قد أعلن يوم ٢٠٠٣/٧/٢٩ فى مؤتمر صحفى حول هذا الموضع قائلا: «الزواج هو: رجل وامرأة»، فقد تم تعيين أحد الأساقفة الشواذ فى الكنيسة الإنجليكانية بإحدى الولايات.. وانقسم الرأى العام الأمريكى خاصة بعد أن قامت المحكمة العليا هناك بعدم تجريم اللواط. الأمر الذى سمح لبعض النواب بتبنى حركة تؤدى إلى الاعتراف بالزيجات المثلية - التى لا يُعترف بها حاليا سوى فى ولاية فيرمونت. والأمر مثار بالتالى فى الكنائس جامعة فالكاثوليك باركوا هذا الانحلال وتقبلوه رسميا، بينما البروتستانت فهم منقسمون فى الرأى أما الأورثوذكس وخاصة فى مصر فقد أعلنوا رفضهم كلية.

ومن المعروف أن الشذوذ الجنسى محرَّم تماما وفقا للنصوص الإنجلية. فالعهد القديم ينص صراحة على تحريم هذا الانحراف ويعتبره من المحرمات الكبرى لأنه ضد الطبيعة السوية التى خلقها الله سبحانه وتعالى لاستمرار وجود الجنس البشرى على الأرض. ويقول سفراللاويين فى الإصحاح الثامن عشر الآية ٢٢: «ولاتضاجع ذكرا مضاجعة امرأة إنه رجس» وفى الآية ٢٩ من نفس الإصحاح: «بل كل من عمل شيئا من جميع هذه الرجسات تقطع الأنفس التى تعملها من شعبها» (طبعة ١٩٦٦).

أما فى طبعة ١٨٣١ المطبوعة على نسخة ١٦٧١ فكانت أكثر وضوحا فى استئصال الجانى وهلاكه إذ تقول: «لأن كل من يفعل شيئاً من هذه الخطايا تهلك تلك النفس التى فعلها من شعبها» أى يقتل. والمثال الأكثر شيوعا فى هذا التحريم يوجد فى سفر التكوين فى هدم المدن الفاسدة سدوم وعمورة.

وتعتمد المسيحية على نفس النصوص فى إدانتها اللواط. بل يضع بولس اللواط فى مرتبة «العواطف النجسة» ويصفها «بالفحشاء» (رسالة إلى أهل رومية ١: ٢٤ ـ ٢٧) وفى الإصحاح السادس من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس الآيتان ٩ و١٠ ينصان صراحة على أن «مضاجعى الذكور» لن يرثوا ملكوت الله..

والإسلام يدين الشذوذ الجنسى وانحرافاته بنفس الوضوح، بل إن هذا النفور موجود فى الإنسان بالفطرة النقية. التى خلقه الله سبحانه وتعالى عليها.

ولا أدل على ذلك النفور من ذلك الرفض الجماعى العام والسخط الذى عبر به الشعب المصرى عند اكتشاف جماعة من الشباب المنحرفين الموالين لبدع الغرب وأودعوا السجن.. إلا أن رئيس إحدى الدول الأورو ـ أوسطية قد تدخل لإنقاذهم أو لتخفيف العقوبة عليهم..

وفى مقال صادر بجريدة لوموند الفرنسية فى ٢٠٠٣/٨/١٠، يوضح أن هولندا كانت أول بلد فى العالم يعترف بالزواج المثلى متضمنا عملية حق تبنى

الأطفال لإنشاء أسرة.. وقد دخل القرار حيز التنفيذ اعتبارا من شهر أبريل ٢٠٠١. وقد تبعتهما بلجيكا بعد قليل، وتدور حاليا مناقشات فى كندا لإقرار مشروع مماثل. وتقول الصحيفة إن هناك عدة بلدان قد اعترفت بصورة أو بأخرى بمساواة الحقوق فى الزيجات المثلية وسمحت بالعقود المدنية أو بعقود شراكة فى الحياة المدنية. وذلك كما هو الحال فى فرنسا التى سمحت بالزواج المدنى منذ ١٩٩٩، والدانمارك (١٩٨٩)، والنرويج (١٩٩٣)، والسويد (١٩٩٥)، وهنغاريا (١٩٩٥)، والبرتغال (٢٠٠١)، وألمانيا (٢٠٠١)، وكرواتيا (٢٠٠٣) وأخيرا انجلترا منذ شهر يوليو ٢٠٠٣. أما فى إسبانيا فهناك بعض المقاطعات التى بدأت تقره مثل كتالونيا ونافار. وكذلك بعض المقاطعات فى زيورخ وجنيف فى سويسرا وبعض المدن فى إيطاليا مثل مدينة فلورنسا.

ويقول باتريك جارو مراسل صحيفة لومند فى واشنطن، فى ٢٠٠٣/٨/٩، إن مسألة حقوق الشواذ تمثل موضوع مناقشات فى الولايات المتحدة منذ عدة سنوات. وأنه فى شهو يوليو ٢٠٠٣ اعتبرت المحكمة العليا أن تجريم اللواط فى ولاية تكساس بمثابة تناقض ضد الدستور الفدرالى. والمعروف أن هناك ثلاث عشرة ولاية تجرّم اللواط بصفة عامة. وبعد ذلك بعدة أيام قام بعض النواب الجمهوريين بتقديم اقتراح يرمى إلى إدراج نص صريح فى الدستور ينص صراحة على أن الزواج لايجوز إلا بين رجل وامرأة. وهم يهدفون بذلك إلى منع بعض الولايات من إقرار تشريع يفتح الباب للزيجات المثلية.

وتدور المناقشات المحتدمة حول مسألة محددة: هل يظل الاعتراف بالزواج المثلى مدنيا فحسب أم يسمح له بأن يتم بمباركة الكنيسة أيضا؟! كما أن نفس السؤال مطروح بصيغة عكسية: إذا ما قبلت بعض الكنائس بعقد الزواج المثلى فهل ستجسر الدولة على عدم الاعتراف به مدنيا؟! ويالها من مناقشات توضح وتكشف عن مدى التدنى فى الانفلات والابتعاد عن الدين بزعم حقوق الإنسان المزعومة وحرياته الشخصية التى دفعوا بها إلى أسفل سافلين..

وذلك ماحدث فى روسيا.. ففى شهر سبتمبر ٢٠٠٣ أعاد كل من دنيس جولوجيف وميخائيل موروروف قضية الزواج المثلى إلى الصدارة بعد أن كان مثل هذا الشذوذ محرّما فى الاتحاد السوفيتى. فلقد تم عقد زواجهما فى إحدى الكنائس ببلدة نيجنى نوفجورود على ضفاف الفولجا. وقد ثارت السلطات الدينية الأورثوذكسية هناك وتم فصل القس الذى عقد هذا الزواج. واللافت للنظر أن دنيس جولو جيف ينوى ترشيح نفسه فى الجمعية الوطنية فى شهر ديسمبر ٢٠٠٣ لتبنى الدفاع عن حقوق الشواذ فى روسيا.

أما الملحدون، فيقومون من جانبهم بكشف الإجراءات السرية التى اتبعها الفاتيكان لحماية القساوسة الشواذ. ففى وثيقة صادرة فى ٢٠٠٣/٨/٢٣، وتبدأ بإدانة واضحة تقول: «فضيحة بعد فضيحة الكنيسة الكاثوليكية تغوص كل مرة أكثر فى الكذب والخزى والعار.. إن موضوعات الانحراف الجنسى قد كشفت، منذ سنوات، عن الفساد العارم الذى يعم مؤسسة تفرض العزوبية والعفة على أعضائها». ففى بداية شهر أغسطس ٢٠٠٣ أعلنت الشبكة التليفزيونية الأمريكية سى. بى. إس CBS عن وجود تقرير يرجع تاريخه إلى عام ١٩٦٢، يهدف إلى حماية القساوسة الشواذ.. وكاتب هذا التقرير هو الكاردينال الفريدو أتّافيانى، الذى يتوعد فيه بحرمان الأشخاص الذين سيكشفون عن مثل هذه الأمور. وترجع المسؤولية عن هذا التقرير إلى أعلى المناصب الفاتيكانية، بما أنه حُفظ فى أرشيفها منذ ذلك الوقت بعد أن أقره البابا يوحنا الثالث والعشرون.

ويوصف الشذوذ الجنسى للقساوسة بأنه «أبشع الجرائم» ويمكن تبيّن قذارة وجودهم ومعيشتهم حينما يتم التعتيم على أفعالهم بعبارات تحاول التخفيف منها من قبيل «الاعتداء الجنسى الذى يقوم به قسيس».. والاعتداء أخف بكثير من اغتصاب، أو «محاولة الاعتداء على شباب من الجنسين». ويشير كاتب المقال إلى أن الصمت يتم فرضه من قِبَل الكنيسة الضالة على

كل من الجانى والمجنى عليه، حينما تتوعدهم «بضرورة القسم والوعد بأنهم سوف يلتزمون الصمت وإلا سيتم حرمانهم» والحرمان باللغة الكنسية يعنى استبعادهم من الكنيسة وحرمانهم من شرف الانتماء إليها.. وقد تم فرض الصمت بمعرفة وباسم المكتب المقدس الذى كان أسمه فيما مضى محاكم التفتيش.. كما صدرت الأوامر للأساقفة بأن يتولوا التحقيق «فى أكبر سرّية» و«فى صمت تام متواصل»!

وحيال هذا التعتيم والصد فى مواجهة العدالة، تتمنى المحامية كارمن دورسو أن تتاح الفرصة لاستخدام هذا التقرير لملاحقة النفوذ الكنسى قائلة: «إذا ما تمكن المرء من مواجهة مؤامرة مستمرة ومتواصلة حاليا، والتصدى لها، فى الوقت الذى يمكن فيه ملاحقة كل الذين تواطئوا فيها، فإن وضع التحديدات لايمثل عقبة فى خط سير العدالة».

ولقد تم استخدام هذا التقرير حتى عام ٢٠٠٢ إلى أن ظهرت إجراءات أخرى اتخذتها الكنيسة الكاثوليكية «بحيث بدت وكأنها تتحول بالتدريج إلى عصابة من المافيا تحمى السفالة والخسة على مئات الضحايا وعلى حساب العدالة».

وتجر الفضائح بعضها بعضا.. فلقد تبين بعد الإجراءات التى أدت إلى ذلك التقرير الصادر عام ١٩٦٢ من الفاتيكان بالتعتيم والسرية على موضوع الشواذ داخل جدرانها، فقد انتقلت أو تم تبليغ نفس التعليمات إلى الأساقفة الإنجليز! وذلك يعنى أن كافة العاملين بالمحيط الكنسى وكافة الضحايا قد تم إبلاغهم وأمرهم بالصمت.

وفى السابع عشر من شهر يونيو ٢٠٠٣ وتحت عنوان «الكنيسة عبارة عن مافيا تحمى القساوسة الشواذ» أذاعت محطة أخبار البى بى سى BBC خبرا يقول: لقد استقال أحد المسؤولين عن التحقيق فى حالات الشواذ فى الولايات المتحدة من منصبه فى يونيو ٢٠٠٣ نتيجة للعديد من العقبات التى وضعها النفوذ الكنسى لمنعه من ممارسة عمله. ولقد قام فرانك كيتنج،

الكاثوليكى الذى كان يشغل منصب محافظ ولاية أوكلاهوما، بتشبيه الكنيسة بالمافيا لأنها قامت بإخفاء أو إلغاء بعض الوثائق التى تدين بعض المتهمين العاملين بها».

إن اللجنة التى كان يرأسها كيتنج كانت تقوم بتحقيق عام حول كافة الأساقفة فى الولايات المتحدة، لكن ٦١ فقط من الـ ١٩٥ هم الذين استجابوا للتحقيق، ولقد أضاف فرانك كيتنج قائلا: «إن بعض الأساقفة قد تصرفوا كأعضاء حقيقيين لمنظمة إجرامية. فلقد رفضوا المثول أمام القاضى، وقاموا باستبعاد أو إلغاء أسماء رجال الدين المدانين، وقاموا بالإنكار، وخلطوا الإجابات أو حرفوها.. إن ذلك يمثل نموذجا لمنظمة إجرامية، ولا يمثل كنيستى»!.

وأضافت المحطة أن آلاف الأشخاص يلاحقون الأبرشيات مطالبين بملايين من الدولارات كتعويض عن الاعتداءات الجنسية التى قام بها القساوسة.. ويقدر عدد الضحايا بأكثر من ألف طفل وشاب فى أسطفية بوسطن وحدها بالولايات المتحدة. كما أن تقرير المدعى العام فى ماساشوستس قد كشف عن ذلك الرقم المحبط فى تقرير له مؤرخ فى ٢٣ يوليو ٢٠٠٣. وقد استقال الأسقف فى ديسمبر ٢٠٠٢، كما استقال رئيس لجنة التحقيقات فى يونيو ٢٠٠٣ نظرا لكثرة العقبات التى يضعها التسلط الكنسى أمام مجرى العدالة.

أما الأسقف مونسينيور برنار لويس الذى استقال فى ٢٠٠٢/١٢/١٣، فلقد أقدم على ذلك خجلا من تصرفاته لحماية القساوسة الشواذ الذين كانوا يعملون تحت إدارته. إذ كان يكتفى بنقل القساوسة المجرمين إلى أبرشيات أخرى لكى يتفادوا قصاص العدالة والقانون. وبما أن هذا الأسقف يمثل أعلى شخصية دينية فى الولايات المتحدة، فإن استقالته تعد بمثابة مؤشر للانحلال والتدهور الذى أصاب الكنيسة الكاثوليكية. وهو ليس

تدهورا أخلاقيا فحسب، فذلك ليس بجديد على هذه الكنيسة، كما يقول الخبر، لكنه انحلال وتدهور مالى أيضا إذ أن الأبرشية كانت على وشك إعلان إفلاسها رغم ثرائها لكى لا تضطر إلى دفع التعويضات المطالبة بها نظير الاعتداءات التى قام بها قساوستها.

ولقد تقدم أكثر من أربعمائة شخص برفع دعاوى ضد الأبرشية، ولا يقل عدد القساوسة الذين استقالوا فى الولايات المتحدة عن ثلاثمائة وخمسة وعشرين قسيسا بتهمة الاعتداءات الجنسية..

أما آخر ماوصلت إليه دولة الأكاذيب التى تحاول السيطرة على العالم بوقاحة سياستها، وبفرض انحلال أخلاقياتها على شعوب العالم، باعتبارها النموذج الأعلى والأول، وذات السيادة المطلقة، فهو افتتاح مدرسة ثانوية فى نيويورك خاصة بالشواذ فقط!؟

ففى ٢٠٠٣/٧/٢٩ أعلنت وكالة الأنباء الفرنسية أنه سيتم افتتاح مدرسة ثانوية فى شهر سبتمبر٢٠٠٣ بضاحية جرينتش فى نيويورك. وذلك هو ما أعلنه المسئولون عن هذه المدرسة المسماة «هارفى ميلك». وستبدأ المدرسة باستقبال حوالى مائة طالب وتتوقع أن يصل عددهم إلى مائة وسبعين فى العام القادم. وقد صرح عمدة البلدة ميخائيل بلومبرج فى حديث صحفى: «إنها فكرة جيدة وصائبة، لأن الطلبة الشواذ يعانون دائما من اضطهاد زملائهم فى المدارس الأخرى. ويتعرضون لمضايقات مستمرة. أما هنا فى هذه المدرسة الخاصة فسوف يمكنهم مواصلة تعليمهم فى هدوء واطمئنان».

ولقد تكلفت مبانى هذه المدرسة المتفردة، الخاصة بالشواذ، مبلغ ثلاثة ملايين دولار ونصف. ويقول الخبراء إن بعض المنظمات المحافظة قد اعترضت على تشييد مثل هذه المدرسة وعلى استخدام الأموال فى مثل هذه المشاريع.

وأول مدير لهذه المدرسة، يحمل اسم أحد الرجال السياسيين الشواذ

الذى قُتل فى سان فرانسيسكو عام ١٩٧٨، وكان أحد الرجال المسئولين السابقين فى وول ستريت واسمه وليم سالزمان. وقد أعلن هذا المدير لجريدة النيو يورك بوست قائلا: «إن هذه المدرسة ستصبح نموذجا لبلدنا، بل وللعالم بأسره».. واللافت للنظر فى هذه الأسماء المعلنة أنها ليهود وما خفى كان أعظم..

ولايملك المرء إلا أن يتساءل بمرارة جارحة أذلك هو ما ينتظرنا من «تعديل» لمنطقة الشرق الأوسط؟! فمنذ التسعينيات فى القرن العشرين وتلك الولايات المتحدة تحاول فرض انحلالها الأخلاقى وانحطاط فجورها على منطقتنا من خلال مؤتمرات المرأة، ومؤتمر السكان، وكلها تجمعات تخريبية كانت تحمل من ضمن ما تحمل محاولة فرض إدراج الانحلال الخلقى من ضمن حقوق الإنسان فى اللوائح الإسلامية والعربية.. ولاينسى أحد تلك التجارب التى كانت تدار فى الكواليس تحت عنوان «ورش العمل» وفى مخيّماتها..

أتلك هى القيم والأخلاق التى يريدون ويحاولون فرضها علينا؟! أو أتلك هى الصورة المشينة التى يريدون تحسينها وتلميعها حتى نتقبلها؟!

ليت أصحاب القرار فى بلداننا المغلوبة على أمرها، يدركون مانحن مساقون إليه ويتصدون بحزم لتلك الموجة العاتية. فأولئك الذين يخرجون عن تعاليم دينهم الذى ينص بصريح العبارة أن «تقطع الأنفس» أو «أن تهلك تلك النفس» التى تمارس مثل هذا الرجس وهذه النجاسة، بل تنص الآية ١٣ من الأصحاح ٢٠ للاويين: «واذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعل كلاهما رجسا. إنهما يقتلان. دمهما عليهما».. إن هؤلاء الذين يخرجون عن تعاليم الدين وعن تعاليم كافة الأعراف الأخلاقية، ويقيمون المهرجانات للشواذ وينظمون المسيرات لكسب مزيد من الحقوق الانفلاتية، لايحق لهم أن يفرضوا انحرافهم علينا.

الجانب التاريخى والوثائقى للإلحاد

ما من شك فى أن التقدم العلمى واللغوى فى القرن الثامن عشر، والذى أدى إلى اكتشاف عمليات التحريف والتعديل والتبديل التى تمت فى الأناجيل، ومتابعة كيف تم تكوين أسطورة تأليه السيد المسيح، يمثل ضربة قاسمة لتلك الأسطورة.

وتوالت الاكتشافات، وتوالت الصراعات بين العلماء والتعصب الكنسى، وتألق الصراع فى معركة الأصولية والحداثة، لينتهى الأمر بعملية كشف لارجعة فيها. فالسؤال المطروح حاليا فى الغرب المسيحى يدور حول التساؤل الصريح عما إذا كان يسوع المسيح قد وُجد فعلا؟! وإن كان البعض يطرح القضية بالتفرقة بين يسوع الأسطورة، ذلك «الإله الذى تجسد فى إنسان ليفادى البشر ثم تم قتله صلبا وبعثه وصعوده وجلوسه على يمين الله أو على يمين نفسه»، كما يقولون، وبين يسوع التاريخى، ذلك الإنسان النبى الذى أرسل ليعيد خراف إسرائيل الضالة إلى عبادة التوحيد.

وما أكثرالمراجع التى توالت لتتناول هذا الموضوع بصور متفاوتة، فى كافة البلدان الأوروبية، وخاصة جامعاتها اللاهوتية، بعد اكتشاف مخطوطات قمران، عند البحر الميت أو مخطوطات نجع حمادى فى صعيد مصر.

ونذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر ، وهى:

- **التاريخ القديم للرب يسوع** ـ بقلم: ادوارد دوچاردان
- **خِدَعٌ خرافات الكتاب المقدس** ـ بقلم: للويد جراهام
- **هل يسوع وُجد حقاً** ـ بقلم: ج.أ. ويلز
- **القرينة التاريخية ليسوع** ـ بقلم: ج.أ. ويلز
- **التزوير فى المسيحية** ـ بقلم: جوزيف هويلس
- **المسيحية الغنوصية والتاريخية** ـ بقلم: جيرالد ماساى
- **يسوع التاريخى ويسوع الخرافى** ـ بقلم: جيرالد ماساى
- **كشف النقاب عن إيزيس** ـ بقلم: هلين بلاڤاتسكى
- **العقائد الوثنية والمسيحية** ـ بقلم: ادوارد كاربنتر
- **المسيح الوثنيون** ـ بقلم: ج.م. روبرتس
- **الكتاب الذى لاتريدكم الكنيسة أن تقرأوه** ـ بقلم: چوردان ماكسويل
- **مخطوطات البحر الميت والخرافة المسيحية** ـ بقلم: چون الليجرو
- **أصل وتطور الدين** ـ بقلم: البرت تشرشوارد
- **موسوعة النساء والأساطير والأسرار** ـ بقلم: برباره ووكر
- **الستة عشر منقذا المصلوبون فى العالم** ـ بقلم : كرسى جريڤيز
- **حياة يسوع** ـ بقلم: القس إرنست رينان
- **يسوع** ـ بقلم: چاك دوكين
- **الرجل الذى أصبح إلهاً** ـ بقلم: چيرالد ميساديه
- **لغز يسوع** ـ بقلم : باتريك دوپوى
- **لغز يسوع المسيح** ـ بقلم: دانيال ماسى

- **حياة يسوع أو تحليل نقدى لتاريخه** ـ بقلم: د. ف. شتراوس
- **يسوع ابن الانسان** ـ بقلم: رودلف أوجشتاين
- **خرافات الإنجيل** ـ بقلم: راندل هلمز
- **السر التاريخى لحياة يسوع** ـ بقلم: أولبرت شفايتسر
- **المسيح الآخر** ـ بقلم: إسرائيل كنول
- **قصة التراث المتواتر** ـ بقلم: رودلف بولتمان
- **عملية اختراع يسوع** ـ بقلم: ب. دوبور

ونعرض لبعض مما جاء فيها أو فى غيرها، على سبيل المثال أيضاً:

فيبدأ روبير ج إنجرصول بحثه المعنون «لننتهى من الكتاب المقدس» قائلا: «لابد من أن يقول أحد الحقيقة عن الكتاب المقدس إن المبشرين ١٨٩٤، لايجرأون لأنهم سوف يخسرون منابرهم. وأساتذة الكليات لايجرأون، لأنهم سوف يخسرون مرتباتهم. والسياسيون لايجرأون لأنهم سوف يُهزمون. والصحفيون لايجرأون لأنهم سوف يخسرون اشتراكات جمهورهم. والتجار لا يجرأون لأنهم سوف يخسرون زبائنهم. والمثقفون لايجرأون خشية ضياع مكانتهم. وحتى الموظفين لا يجرأون لأنهم يمكن أن يتعرضوا للطرد. لذلك رأيت أن أتولى هذه المهمة بنفسى»!

ويعجب إنجرصول إنه لايزال هناك آلاف الأشخاص الذين يؤمنون بأن الكتاب المقدس هو كلام منزّل أو ملهم من عند الله ـ ولا يزال آلاف الأشخاص يعتقدون ان ذلك الكتاب هو ملجأ ومرشد ومواس، وأنه يغدق على الحاضر والمستقبل بالآمال، وأنه منبع الشرع والقوانين والعدل والتسامح.. ولايزال الآلاف من الأتباع يؤمنون بأن هذا الكتاب منارة تتغلب على ظلمات الموت ويلقى بإشعاعاته على عالم آخر، عالم لايعرف الدموع.. وهنا يضيف

قائلا: «إنهم يتناسون جهله ووحشيته وكراهيته للحرية، واضطهاداته الدينية. إنهم يتذكرون الجنة التى يعد بها ويتناسون سجن الآلام الأزلية التى سببها».

وفى الفصل الخاص بأصول الكتاب المقدس يقول إنجرصول: «اليوم، إن رجال اللاهوت الأذكياء والأمناء لايقرون بأن موسى ليس مؤلف الأسفار الخمسة الأولى فحسب، لكنهم يقرون جميعا أن أحدا لايعلم من هم المؤلفون الحقيقيون، أو من ذا الذى كتب منه فصلا أو سطرا. اننا نعلم يقينا ان هذه الأسفار لم تكتب فى نفس الأجيال التى يدعون صياغتها فيها، ولم يكتبها شخص واحد، وإنها مليئة بالأخطاء والمتناقضات. والمعروف أيضا أن يوشع لم يكتب السفر المعروف بأسمه لأنه متعلق بأحداث وقعت بعد وفاته بكثير».

وحول إلهام العهد القديم يقول المؤلف: «إن كان ملهما حقا لكان كتابا لايمكن لبشر أن يكتب مثله، وكان يجب أن يحتوى على قمة كمال الفلسفة، وأن يتوافق تماما مع كافة معطيات الطبيعة. وكان يجب ألا يتضمن خطأ واحدا فى علم الفلك وعلم الجيولوجيا أو حول أى موضوع أو علم يتناوله. كان يجب أن تكون أخلاقياته من أعلى وأنقى الدرجات، وأن تكون قوانينه وقواعده الأخلاقية قائمة على العدل، والحكمة، والكمال، وتتوافق تماما مع الغايات المطلوبة أو التى قيلت من أجلها. كان يجب ألا يتضمن شيئا مما يجعل الإنسان قاسيا وانتقامى النزعة أو حقيرا. كان يجب أن يمتلئ بالنقاء، والعدل، والأمانة، والتسامح وروح الحرية. كان يجب أن يناقض الحقارة والتدنى وإشعال الحروب والعبودية والعريدة الجنسية والجهل. بل كان يجب أن يملأ القلب بالطمأنينة ويضفى مزيدا من التحضر على القلوب. فهل يقوم العهد القديم بذلك؟!

ثم يضرب بعض النماذج بالمعتقدات الواردة به وأنهم يؤمنون بأن الأرض مسطحة، وأن السماء من مادة صلبة كالأرض، وأن الشمس تدور حول الأرض، وأنه بتوقيف الشمس يمكن تطويل النهار! وأن آدم وحواء أول

المخلوقات وما إلى ذلك من المسائل البعيدة عن الواقع العلمى أو المناقضة له. ثم يوضح أنه «إذا ما كان هناك شىء حقيقى أو مؤكد، فهو أن مؤلفى الكتاب المقدس قد أخطأوا فيما يتعلق بالخليقة، وبعلم الفلك، وعلم الجيولوجيا، وبكافة الظواهر الطبيعية، وأصل الشر وأسباب الوفاة»!

وبعد استعراض المزيد من النماذج، يقول المؤلف: «إذا ما كان الكتاب المقدس يتضمن الأخطاء العلمية بهذه الصورة، والأفكار الخاطئة، والنظريات المغلوطة، والأساطير الجاهلة والخرافات والمتناقضات العلمية والتاريخية، فذلك يعنى أن من كتبها هم رجال جهلاء قد أخطأوا ولا يوجد شىء أوضح من ذلك».

ثم ينتقد كيف ظلت الكنيسة لمدة قرون «تفرض أن ذلك الكتاب لا يتضمن إلا الصدق، ولا توجد به أية أخطاء، وأن قصة الخليقة كما هى واردة به حقيقة، وكل ما به من معطيات علمية عبارة عن حقائق - وبناء على ذلك اضطهدت العلماء وعاقت التقدم العلمى الحقيقى بشتى الوسائل. واتهمت كل من يعارض ذلك بالكفر والإلحاد وأقامت المحارق والمحاكم المعروفة».

وبعد أن تناول كل سفر من أسفار العهد القديم، يتناول إنجرصول العهد الجديد بنفس التفصيل، متسائلا عمن كتبه. وهنا يجيب قائلا: «إن طلبة كليات اللاهوت يجيبون بأنهم لايعرفون حقا من كتبه. ويقرون جميعا أنه لو كانت الأناجيل الأربعة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا بالفعل، لكانت باللغة العبرية. إلا أنه حتى يومنا هذا لم يظهر لها أى مخطوط باللغة العبرية. وكل الأصول الموجودة لها باللغة اليونانية. كما أن علماء اللاهوت الدارسين يقرون أن رسائل كل من يعقوب وجود كتبها أشخاص لم يطلعوا مطلقا على الأناجيل. ففى هذه الرسائل الخاصة بيعقوب وجود لاتوجد أية إشارة لأى من الأناجيل الأربعة ولا لأى من المعجزات الواردة بها. وان أى إشارة لأحد هذه الأناجيل قد تمت بعد حوالى مائة وثمانية أعوام من وفاة المسيح، وقد ورد

ذكر الأناجيل الأربعة لأول مرة فى مطلع القرن الثالث الميلادى، أى بعد حوالى مائة وسبعين سنة بعد وفاة المسيح».

وما من إنسان يجهل اليوم أنه كانت هناك عشرات الأناجيل غير تلك الأربعة التى انتقتها الكنيسة لأغراضها. وإن العديد منها قد ضاع. ويوضح المؤلف كيف أنه «كان ينظر للعهد القديم على أنه مقدس أو موصى به، أما الأجزاء التى تمثل العهد الجديد الحالى فكان يُنظر لها قديما على أنها من انتاج البشر أما اليوم فلا نعرف حتى من هو الذى كتب هذه الأناجيل الأربعة حقا».

وحول مصداقية العهد الجديد يبدأ روبير إنجرصول بالتأكيد على الاختلافات الواردة بها: «وإن متى ومرقس ولوقا لا يذكرون شيئا عن الفداء أو الخلاص بالإيمان. وتعلمنا أنه إذا ما غفرنا للآخرين فإن الله سوف يغفر لنا . أما إنجيل يوحنا فيخالف ذلك. إذ يقول إنه لابد من الإيمان بربنا يسوع المسيح، وإنه يجب علينا أن نولد من جديد، وأن نشرب دم المسيح ونأكل لحمه. وهذا الإنجيل وحده يتضمن عقيدة الفداء وأن المسيح قد مات من أجلنا وتألم نيابة عنا».

«والمعروف أن إنجيل يوحنا يختلف عن الأناجيل الثلاثة الأخرى. وإذا كانت الأناجيل الثلاثة صادقة فذلك يعنى أن إنجيل يوحنا غلط. وإذا كان أنجيل يوحنا قد كتبه إنسان ملهم، فذلك يعنى أن الثلاثة الآخرين ليسوا ملهمين. ولا مهرب من هذه المشكلة فالأربعة أناجيل لايمكن أن تكون صادقة».

ثم يتناول المؤلف عمليات التحريف التى تمت ويضرب مثلا بالإصحاح ٢٨ فى متى وقصة الجنود الذين كانوا يحرسون قبر المسيح وقد حصلوا على رشوة ليقولوا إن حواريى يسوع قد سرقوا جثمانه بينما كانوا نياما.

ويؤكد إنجرصول إن هذه الجزئية تحريف أدخل على السرد الأصلى، وأن الآية العاشرة كان يجب أن تتبعها الآية السادسة عشرة. وتقول الآية العاشرة: «فقال لهما يسوع لاتخافا اذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجبل

وهناك يروننى».

وتقول الآية السادسة عشرة والتى كان يجب أن تتبعها: «وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا إلى الجليل الى الجبل حيث أمرهم يسوع». ومن الواضح أن قصة الجنود الواردة فى الآيات ١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ قد أضيفت فيما بعد بكثير، والآية الخامسة عشرة تؤكد ذلك.

كما أن الآية ١٥ تقول عن الجنود: «فأخذوا الفضة وفعلوا كما علّموهم. فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم»! ومن المؤكد أن هذا النص لم يكن فى الإنجيل الأصلى، ومن المؤكد أن الآية ١٥ لم يكتبها يهودى. فما من يهودى يمكنه أن يكتب قائلا: «فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم».

ثم يوضح المؤلف كيف أن مرقس ويوحنا ولوقا لم يسمعوا أبدا عن أن الكهنة قد رشوا الجنود. أو حتى إن كانوا سمعوا بها فلم يتصوروا أنها مسألة تستحق الذكر! ويقول: نفس الشىء فيما يتعلق برواية صعود يسوع المسيح فى كل من إنجيل مرقس ولوقا، فهى مجرد إضافات. بينما لا يقول إنجيل متى شيئا عن هذا الصعود الذى يمثل ركنا أساسيا أو هى بمثابة معجزة متفردة إن كانت وقعت، ومع ذلك فالمفترض أن متّى كان حاضرا ورأى يسوع وهو يرتفع ويختفى ومع ذلك فلم يجد أى داعى أو أهمية لذكر هذه «الواقعة» فى إنجيله! وإن كانت آخر كلمات يوردها متّى عن المسيح تناقض عملية الصعود إذ يقول: «وها أنا معكم كل الأيام حتى انقضاء الدهر».. أما يوحنا الذى كان حاضرا فلا يذكر شيئا حول موضوع الصعود ويخلص المؤلف الى أن الأناجيل تتناقض فى رواية صعود المسيح إلى السماء أو على الأقل لا تتفق عليها. وقد اكتفى مرقس بأن قال بعد أن أورد آخر حوار ليسوع: «ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله» (١٦ : ١٩)!! ويصف لوقا الصعود قائلا بإيجاز: «وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء» (٢٤ : ٥١).

أما أعمال الرسل فتصف هذه الواقعة كما يلى: «ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون. وأخذته سحابة عن أعينهم» (١ : ٩). أى أن كافة تلاميذ يسوع كانوا حاضرين يشهدونه ويتابعون عملية صعوده. وهنا يقول إنجرصول: «إنه لا لوقا ولا متّى ولا يوحنا ولا كتبة أعمال الرسل قد سعموا كلمة من الحوار الذى اسنده مرقس للمسيح. ومن الواضح أن عملية صعود المسيح لم تكن مطلوبة من أتباعه. ففى بداية الرسالة المسيح كان رجلا لا أكثر ولا أقل.

وكانت مريم أمه ويوسف أبوه. وقد أوردوا نسب يوسف ليوضحوا أنه من نسب أو من دم داود. ثم تم الإعلان عن انه ابن الله وأن أمه كانت عذراء وأنها ظلت عذراء حتى موتها. ثم تم الإعلان عن أن المسيح قد بُعث من بين الأموات ورُفع الى السماء بجسده. وكان لابد من عدة سنوات لتستحود هذه السخافات على عقول الناس. فإذا ما كان المسيح قد بُعث من بين الأموات، لماذا لم يظهر لأعدائه؟ لماذا لم يستدعى الكاهن الأكبر كايف؟ لماذا لم يذهب إلى أورشاليم منتصرا لإثبات معجزته؟ اذا ما كان قد رُفع إلى السماء حقا، لماذا لم يقم بذلك أمام الجمهور وفى حضور من اتهموه؟ لماذا تمت هذه التى تعد من أكبر المعجزات فى السر وفى أحد الأركان المنزوية».

ويوضح الباحث هنا قائلا: «إنه بعد قصة البعث، أصبح الصعود إلى السماء ضرورة. كان لابد لهم من التخلص من الجسد، لذلك نجد العديد من النصوص المدسوسة أو المحرفة فى الأناجيل وفى الرسائل». الأمر الذى دفعه إلى التساؤل حول مصداقية العهد الجديد برمته وخاصة حول تلك المعجزات الواردة فيه. والمعروف أن متّى يتحدث عن تفاصيل حوالى ٢٢ معجزة، ومرقس ١٩، ولوقا ١٨، ويوحنا ٧ !! ومنها إلى اختبار الشيطان ليسوع قائلا: «كيف يمكننا التأكد من أن الشيطان قد حاول إغراء المسيح؟ ومن هو كاتب هذه القصة؟ لا أحد يعلم. وكيف عرفها من كتبها؟ لا أحد يعلم»! وراح يفندها معجزة معجزة.

ويختتم هذا الفصل قائلا: «إذا كان المسيح قد قام فعلا بعمل هذه المعجزات المسندة إليه، وإنه قد شفى المشلولين والمجانين، وأعاد السمع للأخرس، والبصر للأعمى، وشفى الأبرص، وأعاد الموتى إلى الحياة، لما امتدت إليه يد تؤذيه ولسجد له جميع من رأوه... أليس من الغريب أنه أثناء محاكمة المسيح لم يوجد أى شخص ليقول كلمة فى صفه؟ لم يقف أى شخص ليقول: «كنت أبرص وهذا الرجل شفانى بلمسة!» لم تتقدم أية امرأة لتقول «أنا أرملة نحيم وهاهو ابنى الذى أيقظه هذا الرجل من بين الأموات». لم يتقدم أى رجل ليقول: «كنت أعمى وهذا الرجل أعاد لى البصر»! بل على العكس تماما لقد صمت الجميع وهرب حواريوه»!!

وفى الفصل العاشر المعنون «لماذا يتعين علينا أن نضع المسيح على قمة الجنس البشرى؟» يتساءل المؤلف قائلا: «هل كان أكثر لطفا من غيره؟ هل كان أكثر رحمة من بوذا مثلا؟ هل كان أكثر عقلا أو حكمة من سقراط؟ هل كان أكثر صبرا وعطفا من أبيكتيت؟ كيف يمكن وصفه أعلى مرتبةً من زراتوشت؟ هل كان أكثر شهرة من كونفوشيوس؟ هل كانت أفكاره فى حقوق وواجبات الإنسان أرقى من زينون؟ هل عبرَّ عن حقائق أكبر مما قاله سيسرون أو سبينوزا ؟ هل كان عقله يضاهى عقل كبلر أو نيوتن؟ هل كان فى الذكاء وقوة وجمال التعبير وسعة الأفق الفكرى ومهارة المقارنة ومعرفة القلب البشرى وآماله وأحزانه مثل شكسبير، أعظم رجال الجنس البشرى؟»

ويختتم إنجرصول بحثه الصادر فى أواخر القرن التاسع عشر قائلا: «لو كان المسيح هو الله كما يزعمون، لعرف المستقبل ورأى التاريخ منبسطا أمامه، ولعرف كيف سيحرّفون كلامه، ولعرف أية جرائم وأية بشاعات وفضائح ستُقترف باسمه. لو كان المسيح هو الله لعرف النيران النهمة للاضطهاد الذى قادته الكنيسة باسمه، ولعرف آلاف وآلاف الرجال والنساء الذين زج بهم فى السجون وعلى مشانق أو محارق محاكم التفتيش، ولعرف

أن كنيسته ستخترع أبشع أنواع آلات التعذيب، وأن اتباعه سيلجأون إلى السياط والكرابيج والسلاسل لترويع الناس والسيطرة عليهم، ولرأى آفاق المستقبل التى تضيئها نيران المحارق، ولعرف بالعقائد التى ستنمو كالطحالب السامة على كل نص من النصوص التى يفرضونها، ولعلم بأولئك الجهلاء القساوسة الذين شيدوا السجون لأقربائهم ولرأى المشانق والمقاصل تراق عليها أزكى الدماء ولسمع صراخ وتوسلات المعذبين فى أعماق الظلمات ولعرف أنهم سيفرضون كلماته بحد السيف والسياط. لو كان المسيح هو الله كما يفرضونه لعرف بكل عمليات التحريف والتزييف والأكاذيب التى قام بها المنافقون، ولعرف بالحروب التى أشعلوها ولعرف بكل تلك المجازر التى امتدت ولاتزال بينما راية الصليب ترفرف وهى تقطر دما طوال أكثر من ألف عام.. لو كان إلها لعرف أن الملوك والبابوات سيستعبدون الناس ويضطهدون العلماء والمفكرين والمخترعين وأن كنيسته ستطفئ النور المقدس للعقل لتفرض الظلمات والجهل والمرض. لكنه مات وقد أطبق شفتيه.»!

«لماذا لم يتحدث؟ لماذا لم يقل لحوارييه: «لا تحرقوا ولا تسجنوا ولا تعذبوا الناس باسمى»؟ لماذا لم يقل بوضوح وبصراحة «أنا ابن الله» أو «أنا الله» كما يزعمون؟ لماذا لم يقم بشرح الثالوث الذى لم يرد ذكره إلا حشرا فى آخر إنجيل متّى؟ ولماذا لم يقم هو بكتابة عقائد الإيمان المختلفة ولماذا لم يكتب العهد الجديد بنفسه وترك كلماته للجهلاء واللئام والمنافقين ليتلاعبوا بها؟ لماذا لم يقل أى شىء موضوعى أو محدد عن العالم الآخر أو حتى عن حقوق الإنسان والحرية؟»

«لماذا ذهب إلى الموت صامتا ولم يقل شيئا؟ سأقول لكم لماذا : لأنه مجرد إنسان ولا يعرف شيئا».

ويختتم إنجرصول هذا الفصل متسائلا: «لعل قادة اللاهوت يتساءلون كيف يمكن أن أكون بهذا السوء لأهاجم الكتاب المقدس. فأقول لهم: لأن هذا

الكتاب قد اضطهد حتى الموت أفضل وأحكم الأشخاص. هذا الكتاب الذى تقولون إنه مقدس قد أوقف تقدم البشرية وسمم منابع المعرفة وبدد طاقات البشر.. إن هذا الكتاب المقدس هو عدو للحرية ومساند للعبودية، لأنه بذر الكراهية فى العائلات والأمم، وأشعل نيران الحروب وأفقر العالم وفرض العبودية على النساء والأطفال، وجعل من الكليات والجامعات نبراسا للخطأ وكراهية العلم. إن هذا الكتاب قد ملأ المسيحية بالفرق المتناحرة، القاسية، الجاهلة، التى تقتل باسم الدين ولصالحه! إن هذا الكتاب قد أوجد محاكم التفتيش واخترع آلات التعذيب وملأ السجون وسلب عقل الملايين ليزج بها فى المصحات العقلية.. إن هذا الكتاب قد حول الإنسان إلى سلعة وملأ الظلمات بالأشباح ولوث أرواح البشر بعقيدة الآلام الأزلية، ويضع الجهلاء فوق العلماء.. إننى أهاجم ذلك الكتاب المقدس لأنه عدو الحرية الإنسانية ويمثل أكبر عقبة فى طريق التقدم الإنسانى.. والآن دعونى أنا أوجه سؤالا إلى رجال اللاهوت: كيف يمكن أن تكونوا أنتم بمثل هذا السوء لتدافعوا عن ذلك الكتاب؟».

وإذا ما كان كتاب روبير إنجرصول الصادر فى زواخر القرن التاسع عشر يتسم بشىء من العاطفية والإنفعال، فإن الأبحاث التى صدرت فى أواخر القرن العشرين بها من الأدلة المفعمة والكاشفة لكيفية نسج العقيدة المسيحية الحالية عبر التاريخ بحيث أصبح من المحال تصديق تلك الأساطير التى تم نسجها على مر التاريخ والتى أدى كشفها إلى ذلك الإلحاد الذى يخيم بلا رجعة على أوروبا الصليبية.. ونذكر منها:

- **«فى قلب الأساطير»** بقلم جاك لاكاريير

يقول فى صفحة ١٨: «إن الموضوعات الرئيسية لسفر التكوين، مثل خلقة الدنيا أو الطوفان، مأخوذة عن مفاهيم كانت سائدة فى حضارة ما بين النهرين وعند السومريين»

وفى صفحة ٣٤: «من اللافت للنظر أن نرى سفر أيوب يستخدم حرفيا عبارات القصيدة التى تصف الخليقة فى معركة ماردوك ضد كينجو. وكينجو هو أيضا يترنح على ساقيه عند رؤية ماردوك. ومثل هذا التشابه لا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة، ويمكن أن ندرك أن هذه الشعوب التى عاشت على نفس الأراضى، وعلى نفس الأماكن التى تلفحها الشمس وكان لها نفس التراث فيما يتعلق بالطوفان، لها نفس الرؤيا المتشابهة فى أدق التفاصيل. والمزمور رقم ٧٤ يؤكد ذلك بصورة مدهشة حيث نرى يهوا يحطم جمجمة لفياتان تماما مثلما حطم ماردوك جمجمة تيامات.»

وفى صفحة ٤٢: «إن قصص سفر التكوين مستقاة من منابع مختلفة. والأولى، التى يطلق عليها مهنوتية، هى أقدمها لأنها هى أصل قصة الخليقة الأولى التى تمت صياغتها فى القرن السادس قبل الميلاد».

وفى صفحة ١٥٣: «إن النص الأكثر أهمية حول الدور المشؤوم الذى لعبه الثعبان وارد فى الكتاب المقدس. إلا أن الكتاب المقدس لم يفعل أكثر من أنه استعار هذا الموضوع من مصادر سابقة. وأقدمها هى أسطورة جلجميش فى صيغتها السوميرية، وهى من أكمل نصوص الأساطير التى وصلت إلينا وترجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد، وبها نفس القصة التى يلعب فيها الثعبان ذلك الدور الذى يسمح لنا بفهم منابع أساطير الكتاب المقدس».

وفى صفحة ١٧٠: «النص الإنجيلى لسفر التكوين موجود فى نص ما بين النهرين، اللوحة رقم ١١ من أسطورة جلجميش. ونص الكتاب المقدس عبارة عن نقل منقح للنص السوميرى لنيبور».

وفى صفحة ١٧٤: «إن قصة الطوفان مشهورة لكنه من المهم أن نقرأها فى النصوص السومرية والأكّادية لأنها توضح لنا بصورة مؤكدة تأثيرها على سفر التكوين وكيف أنه نقل عنها النماذج السالفة.»

● **«ملف المسيح»** إصدار آرتيه (محطة تليفزيونية فرنسية)

«صورة المسيح مصلوبا معروفة عالميا لكن هل نحن متأكدون من معرفة كيف تمت عملية الصلب نفسها؟ هل كانوا يدقون الجانى بالمسامير أم يربطونه بالسيور ؟ وكيف كان شكل الصليب وأين تمت عملية الصلب؟ كلها تفاصيل معتم عليها.

«حينما نسأل أحد الآباء الدومنيكان فى المدرسة الإنجيلية والأثرية بالقدس الآتى:

- من الناحية التاريخية أية أماكن يمكن تصويرها لتوضيح الأماكن الواردة بالأناجيل؟ يقول:

«سلالم المعبد، وجبل الزيتون، والنبع حيث كان المسافرون يتوقفون بين الجليل ويهوده». ولا أى شىء آخر.. إن ما يطلقون عليه «الأماكن المقدسة» عبارة عن أماكن مرتبطة بالحجاج، أى بأماكن أبعد ما ترجع إليه هو القرن الخامس.. و«طريق الآلام» يرجع بكل تأكيد إلى القرن الثانى عشر، و«الجلجلة» مشكوك فى أمره، و«جلجلة جوردون» عبارة عن مكان حدده الإنجليكان فى القرن التاسع عشر، ولا توجد أية آثار أثرية لمدينة الناصرة قبل أواخر القرن الثانى. أما البقايا المتبقية من «الصليب الأصلى، والمسامير، واللافتة التى تعلوه، أو كفن مدينة توران، فكلها ترجع للقرون الوسطى (القرن الثالث عشر والرابع عشر) وليست بآثار أصلية، وإنما تم نسج قصتها وتم فضحها علميا».

● **«انكشاف الكتاب المقدس»** بقلم إسرائيل فينكلشتاين، دار نشر بايار:

صفحة ١٦: « إن علم الآثار أبعد ما يكون عن أن يثبت أن التواريخ الواردة بالكتاب المقدس صادقة. فمن الثابت والمؤكد فى يومنا هذا أن عددا كبيرا من الأحداث الواردة به لم تجر لا فى الأماكن المذكورة ولا بالصورة التى

هى واردة بهـا . والأدهـى من ذلك، إن بعض أشـهـر الوقـائع التى يوردها لم تحدث مطلقا».

صفحة ٥١ : «إن القصص الواردة بالكتاب المقدس يجب أن توضع فى مصاف الأساطير القومية ولا أساس تاريخى لها البتة، مثلها مثل أسطورة أوليس وغيرها».

صفحة ١٥٠ : «إذا لم يرد فى التاريخ ذكر للآباء القدامى، ولا لخروج اليهود من مصر، ولا لغزو أرض كنعان، ولا للمملكة الموحدة أيام داوود وسليمان. فعلينا أن نعترف بأن إسرائيل الإنجيلية كما هى واردة فى الأسفار الخمسة لموسى وأسفار يشوع والقضاة وصموئيل، لم تحدث أبدا فى التاريخ ولا أثر لها».

● **«عالم الكتاب المقدس»** مجلة فصلية عدد نوفمبر ديسمبر (١٩٩٧)

يقول إميل پويخ، مدير معهد الأبحاث القومى العلمى فى باريس: «فيما يتعلق بمخطوطات قمران، علينا أن نعترف بكل أمانة أننا لم نعثر حتى يومنا هذا على أى جزء من نص يمكن اعتباره شاهد عيان ليسوع».

● جريدة **لوموند** ١٩٩٧/٤/٧ «مهزلة عيد الفصح» بقلم دافيد دوپريه:

«إن أى مبتدئ فى علم التاريخ يجد نفسه مضطرا إلى الاعتراف بأن يسوع ليس شخصية تاريخية وإنه لابد وأن يكون المرء أعمى ليعتبر أن النصوص المقدسة هى نصوص تاريخية. وهذا العماء اسمه الإيمان». وقد بدأ العلماء يرفعون النقاب ليشرحوا أن دراسة أصول المسيحية تحتكرها «الأوساط المسيحية»!

● **«حياة يسوع»** بقلم الأب ارنست رينان (١٨٦٣)

صفحة ٤٤ : «لقد قلت مرارا وتكراراً: إذا ما التزمنا عند كتابة حياة يسوع بألا نقدم سوى حقائق مؤكدة، فيتعين علينا الاكتفاء ببضعة أسطر».

● **«المسيحية والعهد الجديد»**

«إن الكتاب المقدس هو أفضل ما يمكننا قراءته لنتخلص من ديانة أول من يجهلها هم أتباعها».

● **«يسوع: إعلام أم إفساد نفوس ؟»** بقلم بول اريك بلانرو، رئيس المركز الاستكشافى بباريس

وقد قام بهذا البحث بمناسبة احتفال الكنيسة الكاثوليكية طوال عام ٢٠٠٠ بمولد المسيح ويبدأ المؤلف بطرح سؤال بصراحة لا مواربة فيها إذ يتساءل: «هل يسوع المسيح وُجد فعلا ؟» فلقد لاحظ رغم المناقشات الواسعة التى دارت فى مطلع القرن العشرين أن هذا السؤال ظل مستبعدا من دائرة أبحاث المتخصصين فى التاريخ القديم. وقد رأى أنه حان الوقت للتساؤل حول الأسطورة المؤسسة للحضارة المسيحية، وأن يشرك الجمهور معه.

ويقول بول اريك بلانرو: إن النظريات حول يسوع تتفرع إلى خمسة افتراضات، هى:

● **النظرية التراثية**: بالنسبة للكاثوليك المحافظين والأصوليين المتعصبين، فإن كل ما هو وارد فى الأناجيل يعتبر أصولا مطلقة. ويعتبرون هذه القصص وثائق تاريخية، دَوَّنَها شهود عيان، وألهمهم الروح القدس. وإن التناقضات الواردة بها ليست سوى تناقضات ظاهرية. وهذه النظرية قد تم استبعادها تقريبا فى يومنا هذا بعد كل ما ظهر من أبحاث تناقضها، وإن كانت الكنيسة تحاول مساندة هذه النظرية بضراوة من جديد. والأب تييد من مؤيدى هذا التيار.

● **النظرية العلمانية**: يسوع كما هو وارد فى الأناجيل يشبه إلى حد ما يسوع الذى عاش فى القرن الأول الميلادى، إلا أن بعض التفاصيل الأسطورية قد أضيفت وفقا لأهواء كاتبيها. وهذه النظرية هى السائدة فى المراجع

المدرسيه فى يومنا هذا. ويؤيدها كل من الأب ستانتون ودوكين.

● **النظرية المخفية**: لقد وُجد يسوع فعلا، لكنه لم يكن أبدا ذلك الذى مثله كتبة الأناجيل. فوفقا للآراء، لقد كان ثوريا، يهوديا من أنصار الألفية، وقاتل مُستأجر، أو أحد الثوار. ويتبنى كل من الأب تورمل، وآيسلر، وروچيه هذا الاتجاه.

● **النظرية المؤيدة**: يسوع قد وُجد فعلا لكننا لا يمكن أن نصفه فعلا كما كان أو أن نصف ما قام به لأن الأسطورة قد طغت على الشخصية الحقيقية. ويتبنى كل من الأب لوازى وجينيوبير هذا التيار.

● **النظرية الأسطورية**: يسوع لم يوجد، فلا توجد أى وثيقة تثبت وجوده. ومختلف المحاولات التفسيرية تزيد الوضع تعقيدا. وهناك العديد من الدلائل التى تؤكد أن يسوع ليس إلا أسطورة مثله مثل ميثرا أو أبوللو. وإنه نتاج صياغة لاهوتية متأخرة. وهذا التيار يتبناه كل من كوشو، وألفاريك، ولاس ڤرنياس، وفو، وأورى.

والثلاثة تيارات الأخيرة تتقاسم فكرة أن الإناجيل قد تمت كتابتها مؤخراً وأن كاتبيها قد زيّفوا التاريخ. وأن الاختلافات التى بينها تكمن فى أن بعضها يقترح أن يسوع إنسان قد تم تأليهه، بينما الباقون يرون أنه إله تجسد بشرا.

ومركز الأبحاث الاستكشافى يستبعد تماما النظرية التراثية لعدم تمشيها مع العلم ويعجب لعمليات التعتيم التى تلاصق النظرية الأسطورية التى لا يزال معظم الأتباع يجهلونها.

ويأسف المركز أن الكنيسة لازالت تستحوذ على معظم الأصول وتعوق الدراسات الجادة، التى تؤدى إلى إعلان الحقائق وإطلاع الجمهور عليها. ويرى المؤلف أن مجرد إثارة التساؤل حول حقيقة وجود يسوع يتحول الجو

إلى نوع من الهلع، لأن التشكيك فى تاريخية يسوع المسيح لا يمس الأحداث العامة لحياته وأقواله وتعاليمه فحسب، لكنه يمس السلطة الكنسية التى تتحكم فى مليار من الأتباع.

ويقول المؤلف إنه لكى نكوّن فكرة دقيقة عن يسوع التاريخى، لابد من البحث عن المعلومات فى الوثائق المعاصرة للأحداث. إلا أن النصوص التى تقدمها الكنيسة تثير إشكاليات لا يمكن تناسيها، ومنها:

١ ـ غياب شهود بين الوثنيين:

المؤرخ اوسيبيوس يتحدث عن محاضر جلسات بيلاطوس، لكننا لا نمتلك أية وثيقة رسمية من السلطات الرومانية تتعلق بيسوع. كما أن مؤرخى القرن الأول الميلادى لا يقولون شيئا عن يسوع، ومنهم:

● پلين القديم (٢٣ ـ ٧٩) لم يقل كلمة عن يسوع ولا عن الجماعة المسيحية فى القدس، وقد زار فلسطين بعد الأحداث المفترضة بثلاثين عاما، وقد تحدث عن الأسينيين.

● ونلاحظ نفس الصمت عند كل من بيرس (٣٤ ١١ ٦٢)، ومارسيال (٤٠ ـ ١٠٤)،

(٤٠ ـ ٦٥) وسينيك وإن كانت الأيادى العابثة قد نسجت مراسلات مزيفة بين هذا الفيلسوف والقديس بطرس!

أما شهود القرن الثانى فأهميتهم ضئيلة، ومنهم:

● تاسيت (٥٥ ـ ١٢٢)، يتحدث فى أحد نصوص حولياته والذى كتبه عام ١١٥م عن اضطهاد نيرون لمسيحيى روما، إذ اتهمهم بإشعال الحريق الذى التهم المدينة سنة ٦٤، وقد ثبت علميا أن استشهاد تاسيت عبارة عن تحريف وإضافة تمت لاحقا.

● بلين الشاب (٦٢ ـ ١١٤) يقول: إن حاكم بيتينى سأل الإمبراطور تراجان عن كيفية التصرف حيال المسيحيين. لكنه لا يقول شيئا عن يسوع. وكل ما ذكره هو وجود جماعة مسيحية فى مطلع القرن الثانى.

● سويتون (٦٩ ـ ١٢٥) كتب فى بحثه عن «حياة كلوديوس» إن الإمبراطور «قد طرد من روما اليهود الذين كانوا يقومون بثورات مثل كرستوس Chrestos». وعارتا Chrestos و Christos مختلفتان فى المعنى فواحدة تعنى الطيب، والأخرى تعنى الممسوح.

● أما باقى مؤرخى هذه الفترة مثل بلوتارك (٤٦ ـ ١٢٠) وجوڤينال (٦٠ ـ ١٤٠) فقد التزما صمتا مطبقا فيما يتعلق بيسوع.

٢ ـ غياب شهود عند اليهود:

وغياب أية شهادة بين المؤرخين اليهود حول يسوع الذى كان يهوديا وعاش معهم يصيب الباحث بالدهشة، ومنهم:

● فيلون السكندرى (ـ ١٣ ـ ٥٤) الذى كتب أكثر من خمسين بحثا، ومنها البحث المعنون «زمن بيلاطس»، ولا يذكر شيئا عن يسوع.

● ولا يرد أى ذكر فى «تاريخ اليهود» لجوست الطبرى الذى عاش فى الجليل وحارب الرومان.

● فلافيوس جوزيف (٣٨ ـ ٩٤) تصور البعض أنه يمكن قول الجملة الآتية خاصة بالمسيح، إذ يقول: «رجل عاقل، وكان مسيحا»، إلا إنه ثبت أن هذه الجملة الوحيدة فى أعماله عبارة عن تزييف كنسى. ويؤكد أوريجين (١٨٥ ـ ٢٥٤) يؤكد أن فلافيوس جوزيف لم يقل أن يسوع هو المسيح، وإن هذه الجملة أضيفت لاحقا.

● إن الشهادة الواردة فى التلمود غير مقنعة لأنه صيغ متأخرا ولا يمكن

إضفاء أية مصداقية لما هو وارد به. والواقعة التى يوردها عن الجندى الرومانى بانتيرا و«العاهرة اليهودية» مريم والتى تناقلها الوثنى سلس فيما بعد ليست سوى تشهير بالمسيحية.

وما الذى يمكن استنتاجه من صمت المؤرخين غير الرسميين؟ إنه يسمح بتقييم مزايدات المدافعين عن العقيدة النصرانية التقليديين، وإن النصوص التى تركوها، وإذا لم يكن قد تم تحريفها، فهى تدلنا عن جماعة المسيحيين فى الربع الأول من القرن الثانى أما عن حياة يسوع وتعاليمه ووفاته على الصليب وبعثه، فلا يوجد أمامنا سوى الوثائق المسيحية الكنسية. وهذه الوثائق تمثل المنبع الوحيد الذى يمكن البحث والتنقيب فيه. وهو أمر مشكوك فى مصداقيته.

ويؤكد پول اريك بلانرو «إن المصادر المسيحية التى نمتلكها هى العهد الجديد فحسب. وهذا المجلد الذى يحتوى على ٢٧ سفرا، أربعة منها فقط والمعروفة باسم «الأناجيل» هى التى تمدنا بأجزاء تفصيلية إلى حد ما عن حياة يسوع. أما أعمال الرسل فلا تقص سوى تاريخ البعثات التبشيرية الأولى. وسفر الرؤيا عبارة عن كتاب غيبى، والرسائل عبارة عن خطابات تقص المصاعب التى لاقاها الحواريون فى نشر العقيدة. والأربعة الأسماء المزعومة كمؤلفين للأناجيل والتى يفرضها التراث الكنسى على إنها اسماء حقيقية، ليست هى التى صاغتها. وإذا ما لم يتمكن الباحث من معرفة مؤلف النص فلابد له، لإثبات مصداقيته، من التعتيم التاريخى للأحداث الواردة فيه».

ويوضح المؤلف كيف أن عملية إثبات مصداقية الأناجيل تمثل مشكلة أساسية لغياب الأصول. فأقدم ما هو موجود منها والمعروف باسم «مخطوط الفاتيكان» و«مخطوط سيناء» يرجعان إلى القرن الرابع الميلادى. لذلك انكب الباحثون على مضمونها ولغتها لانتزاع أية معلومات وأهم ما خرجوا به هو: أن الاناجيل ليست «صياغة أولى» وأن نصوصها ناجمة عن طبقات متراكمة

من الإضافات عبر الزمان. وقد لاحظ العلماء أن الثلاثة الأناجيل الأولى تتشابه إلى حد مًّا بحيث يمكن عمل المقارنات فيما بينها، ولذلك أطلق عليها «الأناجيل المتشابهة» وإن كانت تغص بالمتناقضات. إلا أن ورود بعض العبارات أو العقائد يؤكد عملية الإضافات المتراكمة. فعبارة من قبيل تلك التى تؤكد عودة المسيح قبل نهاية الجيل الذى يضم الحواريين، أو تلك التى تشير إلى الثالوث فى آخر إنجيل متى، والمعروف أن صياغته تمت فى القرن الرابع، تؤكد التفاوت الزمنى بين تراكم النصوص المضافة. وعمليات التحريف هذه تعد بالمئات ولا يمكن إنكار وجودها. لذلك كتب الباحث الأب ج. لاس ڤرجاس قائلا: «يبدو أن كل آية لها تاريخها الذى صيغت فيه ومن العبث أن نحاول تتبع التطور بدقة».

٣ ـ شهادات آباء الكنيسة:

إن أقدم نصوص الآباء المتعلقة بالأناجيل تحوم حول عام ١٧٠ ميلادية، ومنها مخطوط موراتورى، والدياتسيرون لتاسيان الذى حاول جمع الأناجيل الاربعة فى كتاب واحد حوالى عام ١٧٢، والقديس إيرينى، حوالى عام ١٨٥. الأمر الذى يؤكد أن الكنيسة الأولى قد عرفت نصوص متّى ومرقس ولوقا ويوحنا وآثرتها على عشرات الأناجيل الأخرى التى كانت سارية حتى القرن الثانى. ويؤكد بلانرو أن القديس أغسطين عام ١٦٠ لم يكن يعرف التفاصيل التى تعاونه على صياغة «حياة المسيح» التى كتبها. ولم يكن بابياس، حوالى عام ١٠٥، يعرف سوى إنجيل مرقس ومتّى. وإن اڤانجيليون الأسقف مارسيون المكتوب عام ١٠٤ كان يجهلها أيضا. وقد كان كل من سلسيوس وبورفير وتريفاس فى خلافاتهم ضد المسيحية يتفقون مع بعض الكنسيين فى شكواهم من «تجارة النصوص». وقد كان القديس جيروم فى القرن الرابع يشكو من تزييف النصوص وتحريفها والخلط فيها. لذلك طلب منه البابا «التوفيق» بينها فى نص لاتينى. ولم يأخذ العهد الجديد شكله الحالى إلا فى

مجمع كارتاج الثالث عام ٣٩٧، بدون سفر الرؤيا الذى يثير مشاكل أخرى.

وبذلك يؤكد الباحث أن التواريخ المطروحة لإنجيل مرقس ٦٥ ـ ٧٠م ، ومتّى حوالى ٧٥ ـ ٩٠م ولوقا حوالى ٦٥ ـ ٨٠م، أبعد ما تكون عن الواقع ولا أساس لها من الصحة. وأن الصياغة النهائية لها تمت بعد مائة عام من الأحداث التى ترويها على الأقل. إذ كان لابد من عمل شىء من التوافق بين النصوص وعقائد الجماعات الأولى. لذلك يقول الأب لاجرانج: «إن الأناجيل غير كافية كوثائق تاريخية لكتابة قصة حياة يسوع».

ثم ينتقل المؤلف إلى بعض المحاور الرئيسية فى صياغة المسيحية، ومنها:

● **تاريخ ميلاد يسوع:**

إن إنجيل مرقس والذى يعتبره بعض المتخصصين أقدم إنجيل، لا يقول شيئا عن ميلاد يسوع. بينما يورد إيڤانجليون مارسيون، وهو من المؤكد أقدم من الأناجيل الأربعة، «أن يسوع نزل على الأرض حوالى عام ٣٠»، والغريب أن أعداء مارسيون فى القرن الثانى لا يدحضون هذا القول بأى وثيقة تاريخية ولكن بنبوءة لأشعياء! وذلك يعنى أن الأتباع بدأوا يفكرون فى محاولة عمل تقويم للأحداث فى النصف الثانى من القرن الثانى. الأمر الذى أدى إلى التناقضات الخاصة بميلاد يسوع، وهى تناقضات لا يمكن إغفالها. فبالنسبة لأنجيل متّى: يسوع وُلد أيام الملك هيرود، وبالنسبة لإنجيل لوقا، السيدة مريم العذراء حملت بعد ابنة عمها بستة أشهر أيام هيرود ملك اليهودية. أى أن الاثنين يحددان مولد يسوع عام ٤ ق.م، بما أن المؤرخين يقرون أن هيرود الأكبر توفى فى هذا التاريخ. أما إنجيل لوقا فيؤكد أن يسوع قد وُلد أيام الإحصاء الأول لكويرينوس حاكم سوريا. وهذا الإحصاء قد أمرت به روما لتحديد الضرائب المباشرة على اليهودية فى عام ٦ م. الأمر الذى يؤدى إلى عشرة أعوام على الأقل من الفرق، فوفقا لإنجيل متى يكون عيسى شابا فى الوقت الذى يقول لوقا إنه وُلد فيه!

ويقول لوقا أن يوحنا المعمدان بدأ وعظه فى العام الخامس عشر من إمارة تيبريوس، أى فى عام ٢٨م، وأن يسوع بدأ رسالته فى حوالى عام ٣٠ !. وعملية طرح بسيطة توضح أنه يخطئ إذ أن ٢٨ ـ ٦ = ٢٢ وليس حوالى ٣٠!! والفرق حوالى عشر سنوات أيضا. وأن افتراض الراهب دنيس الصغير فى القرن السادس الذى حدد أن يسوع قد وُلد فى العام الأول الميلادى قائم على أحاييل تحاول إثبات التوافق المزعوم بين الأحداث.

أما عن تاريخ ٢٥ ديسمبر فما من إنجيل واحد يشير إليه. وقد بدأ هذا التاريخ منسوبا لميلاد يسوع لأول مرة فى القرن الرابع. فقد تراءى للكنيسة آنذاك أن تستحوذ على تاريخ ميلاد الإله ميثرا الذى كانوا يحتفلون فيه بمدار الشتاء على جبل الفاتيكان. وقد أقر البابا يوحنا بولس الثانى بهذا التلاعب قائلا إن يسوع أَوْلى من مثيرا بعبارة «الشمس التى لا تهزم»!

● مكان الميلاد:

يتناول الباحث هنا ما يقوله إنجيل مرقس من أن يسوع وُلد بمدينة الناصرة بالجليل، بينما كل من متّى ولوقا يؤكدان أنه وُلد فى بيت لحم. وهو تناقض واضح. وينتهى بلانرو إلى أن نسبة يسوع إلى مدينة الناصرة خطأ فى النقل والترجمة إذ إنها أقرب لعبارة «النذير» (mazareen) فى اللغة العبرية. ذلك لأن مدينة الناصرة لم تشيد أو لم يرد ذكرها فى النصوص إلا فى أواخر القرن الثانى.

ومثلما كان مولد هرمس وديونيزوس ومثرا أو زيوس فى أحد الكهوف، فقد جعلوا ميلاد يسوع أيضا فى كهف. وقد قام القديس فرانسوا الإسيزى بنشر هذه الفكرة وتدعيمها فى القرن الثالث عشر لتأكيد نبوءة من نبوءات اشعياء.

● والدا يسوع:

إذا ما كان كل من لوقا ويوحنا يؤكدان أن يوسف هو والد يسوع، فإن

مرقس لا يقول شيئا. ووفقا لمتّى ولوقا، فإن يوسف ينحدر من الملك داوود، الأمر الذى جعلوه يتفق مع العقائد السائدة آنذاك. أما متّى فجعل نسبه عن طريق يعقوب، ولوقا جعله عن طريق هيلى!! وبمحاولتهم إثبات نسب يسوع إلى إبراهيم، يقول أحدهم ٤٠ جدا، والآخر ٥٦ من داوود ليسوع. وقد احصى الأول ٢٦ اسما بينما أحصى الثانى ٤٢. والفرق ١٦ جيلا يصعب إغفالها..

والحديث عن عذرية مريم يقول عنه الباحث إنه أضيف مؤخرا فى نصوص الميلاد، بينما لا يقول مرقس أى شىء عنها، بينما قال بولس إن المسيح «وُلد من امرأة» - ولم يقل إنها كانت عذراء! ويضيف الباحث هنا أن عبارة «العذراء» ناجمة عن ترجمة خاطئة لكلمة عبرية هى halamah ولا تعنى «عذراء» وإنما «سيدة شابة»!

● **آلام يسوع:**

ويبدأ بول إيريك بلانرو هذه النقطة بالعشاء الأخير والطعام المقدس، الخبز والنبيذ اللذان تم تحويلهما إلى جسد المسيح ودمه فى الافخارستيا، التى تفترض الكنيسة إنها تمثل العهد الجديد الذى أقامه الرب يسوع بدلا من الختان عند اليهود. ويثبت الباحث بالتفصيل أصول هذا الطقس الذى استحوزت عليه الكنيسة وهى أصول وثنية معروفة فى الأسرار اليونانية للإله ديونيزيوس والإله الإيرانى مثرا.

وما يعجب له الباحث ليس هذا الاقتباس المتكرر لعادات وثنية، ولكن هذا المفهوم يخالف تماما العقيدة اليهودية التى تحرم بالقطع شرب الدماء. وهو أمر غير وارد فى أوساط يهود فلسطين آنذاك.

● القضية:

يقول روچييه «إن قصة يسوع أو محاكمته نسيج مكون من المتناقضات والتفكك واللامعقول من جانب كتبة يجهلون كل شىء عن نظام القضاء

للمحكمة العليا والقضاء الرومانى، وأن كل ما كان يعنيهم هو إلقاء تابعة القتل على اليهود».

ويتناول بلانرو التفاصيل قائلا أن التناقضات هنا أيضا تملأ النصوص الإنجيلية. فالأناجيل المتواترة تقول إن فرق اليهود بمعاونة الجمهور قد ألقت القبض على يسوع على جبل الزيتون. أما يوحنا فيؤكد إنهم فرق الرومان. ونفس خط سير المحاكمة ملىء بالاختلافات. اذ ان كل من مرقس ومتّى يشيران الى ظهور يسوع مرتين أمام المحكمة العليا، بينما لوقا يقول أنه مَثُلَ مرة واحدة، ويوحنا لا يذكر شيئا! وهنا يوضح الباحث أن التواريخ الواردة فى الأناجيل والتى تحددها بعشية عيد الفصح خطأ لأنه كان محرما على المحكمة أن تنعقد فى ذلك اليوم. وموقف بيلاطس كله ملئ باللامعقول ،يخالف الأعراف السائدة. ثم يتساءل: لماذا يرسلون الجانى إلى هيرود أنتيباس رئيس الجليل، الذى لا حق قانونى له فى مقاطعة اليهودية؟!

كما لا يقر الباحث إنقاذ القاتل باراباس، ويقول أن هذه العادة بالعفو عن سجين عشية عيد الفصح غير واردة فى أى وثيقة. مضيفا أن باراباس بالآرامية تعنى «ابن الأب»، وأن الأمر يتعلق ببديل ليسوع، مثلما يوجد كبش الفداء فى عيد يوم كيبور، حيث يتم اختيار كبش فداء بالقرعة ويحمّلونه آثام إسرائيل ويطلقون صراحه فى الصحراء، بينما يأخذون كبشا آخر «برئ» ويضحون به بدلا عنه خارج المدينة، للتكفير عن الأخطاء التى اقترفها شعبه. والشبه فى النقل لشديد الوضوح ! وقد تصوروا هذه الرواية للتخفيف عن الرومان فى موت يسوع وإدانة اليهود.

● الوفاة والبعث:

يوضح بلانرو أن وفاة يسوع قد تم تجميع تفاصيلها من أنبياء العهد القديم حتى فى أدق تفاصيلها لتبدو وكأنها تحقيق لنبوءات بعينها. وكان اليهود الذين ينتظرون مجئ المسيح منذ القرن الثانى قبل الميلاد كانوا

ينتظرون مجئ «سيد العدالة»، موضحا أن أحد أخصائى مخطوطات البحر الميت يقول «إن شخصية يسوع بأحداثها عبارة عن تجسيد لقصة سيد العدالة أيام الأسينيين». وهنا يعلق العلامة فو متسائلا: «أية مصداقية يمكننا إضفاءها على نصوص مكونة من نصوص سابقة؟ أين التراث الحىّ؟ أين هم شهود العيان؟ أين هى الوقائع التاريخية التى لا يمكن تفنيدها؟!».

ذلك لأن كافة التفاصيل، كما يقول بلانرو، مأخوذة عن أساطير سابقة للمسيحية، سواء أكان الصليب نفسه، أو الموت تضحية بالذات من اجل الآخرين، والبعث فى اعتدال الربيع.. بعد البقاء ثلاثة أيام فى الجحيم، وكلها تفاصيل موجودة فى أساطير ادونيس، وأوزيرس، وأتيس، وأورفيه وغيرهم..

ويختتم بول اريك بلانرو بحثه قائلا: «إذا ما قررنا قراءة العهد الجديد بعين المؤرخ، بعد حذف ما هو منقول وما هو لا معقول، فلا يبقى شيئا تقريبا».

- **«لماذا لست مسيحيا»** بقلم إيجور سلزنر (٢٠٠٢)

ويوضح المؤلف لماذا ألْحَدَ بسبب النصوص الإنجيلية، فهى، على حد قوله، «مليئة بالتكرار، كوجود نصين مختلفين للخليقة (تكوين ١ : ١ ـ ٢ ؛ ٣، و٢ : ٤ ـ ٢٥)، أو خطين مختلفين لسلالة آدم (تكوين ٤ : ١٧ ـ ٢٦ و ٥ : ١ ـ ٢٨). ومن الواضح أن مثل هذا الاختلاف لا يمكن أن ينجم إلا عن مصادر أصلية مختلفة. وقد أوضح العلماء أنه كان هناك على الأقل أربعة مصادر بالنسبة لأسفار موسى الخمسة (...) ومن الواضح أن الأصول التى نقل منها سفر التكوين والخروج واللاويين والعدد قديمة جدا لأنها لا تعرف رسالة التوحيد ولا تنكر وجود آلهة مختلفة. ويمكن أن نتحدث عن التوحيد بدأً من سفر التثنية الذى يوضح صراحة أنه لا يوجد سوى إله واحد. وهذا السفر سيكون له تأثيره على باقى الكتاب المقدس سواء فى علم الدلالة أو من ناحية علم اللاهوت.

ويؤكد سلزنر أن نصوص الكتاب المقدس قد كتبت بعد الأحداث التى يرويها بكثير. لأن دراسة المفارقات التاريخية الواردة بالنصوص تؤكد ذلك. فوفقا لتقويم الكتاب المقدس أن العالم قد خلق سنة ٤٠٠٤ ق.م، وبعد الخلق تأتى القصص الأخرى كالآباء الأوائل والقضاة إلخ. وهذه القصص تتحدث عن الجَمَلِ وعن استخدامه كالدواب فى حمل الأثقال، وهناك الاشارة إلى قطعان بأسرها.. والمعروف أن الجمل لم يبدأ استخدامه كدابة إلا بعد الألف الأولى بعد الميلاد فى الشرق. وذلك يؤكد أن النص الإنجيلى لم يبدأ فى التراكم إلا بعد هذا التاريخ. وهناك إشارة أخرى: القافلة التى كانت تقل يوسف إلى مصر بعد أن باعه إخوته، وكانت هذه القافلة تقل صمغ الكُشيراء، والبلسم، واللاودانوم (عقار ممزوج بروح الأفيون). والمعروف تاريخيا أن تجارة هذه المنتجات لم تنتشر إلا فى حوالى القرن الثامن الميلادى أو السابع على الأبعد. وقد أثبت علم الآثار أن المناظر الطبيعية التى تصفها النصوص الإنجيلية ترجع بالفعل إلى القرن السابع، وذلك يعنى أنها بدأت تتراكم منذ ذلك الوقت.

● **«يسوع ضد يسوع»** بقلم جيرار مورديا وچيروم بريور (١٩٩٩)

من أهم النقاط التى يتناولها الكاتبان لإثبات أن يسوع لا يمكن أن يكون المسيح: لماذا يسوع ليس المسيح؛ المسيحيون ليسوا مؤرخين؛ تكوين اسطورة يسوع وهى أهم النقاط التى يطرحها هذا البحث والتى لم ترد تقريبا فيما تقدم من أبحاث، قائلين: «يحلو للمسيحيين أن يقولوا عن يسوع إنه إنسان كامل وإن ذلك يثبت أنه المسيح، والقارئ الذى يقرأ الأناجيل بلا تحيّز سيدرك على الفور أنه أبعد ما يكون عن الكمال. لأنه وفقا للنصوص فإن يسوع يبدو أنه:

● **شخص متعالى**: فذلك الإنسان الإله لم يعرف التواضع إذ يقول: «إن كان أحد يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته ، وأولاده وإخوته وأخواته حتى

نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا» (لوقا ١٤ : ٢٦). أى إنه كان يطالب أتباعه بحب مطلق وإن أى حب أو مشاعر تجاه الأسرة يجب أن توجه له وأن تتم التضحية بكل شىء من أجله، حتى وإن أدى ذلك إلى أسوأ الخلافات بين الشعوب والعائلات. ألا يقول متّى عن لسانه: «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا. فإنى جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنّة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته» (١٠ : ٣٤ ـ ٣٧). فما الذى يمكن أن يثبت تكبره وتعاليه، على حد قول المؤلفين، من موقفه عند تفضيل الأخت التى تستمع إليه عن تلك التى تعمل من أجله!

● **شخص دهماوى**: إن نظرية الإنسان الإله لا تستقيم، لأن غوغائيته تتفجر فى العديد من الآيات، ومنها: «وهذه الآيات تتبع المؤمنين. يخرجون الشياطين باسمى. ويتكلمون بألسنة جديدة. ويحملون حيّات وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون» (مرقس ١٦ : ١٧ ـ ١٨). والمعروف تاريخيا أن ذلك لم يحدث أبدا بهذه الصورة. كما كان مفهومه للعدالة غريبا. إذ كان يطالب تلاميذه بألا يدافعوا عن أنفسهم وألا يحكموا على الآخرين. ويعلق المؤلفان بأنه إذا ما تم تطبيق ذلك لما بقيت المسيحية على الأرض!

● **ابن غير بار**: يوضح الباحثان أنه إذا كان يسوع رجلا كاملا لكان ابنا بارًا بأهله. لكنه تركهم ليهتم باللاهوت مع الحاخامات، وأنّبهم بعنف عندما عثروا عليه قائلا: «فقال لهما كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى» (لوقا ٢ : ٤٩). كما إنه أنكر أنه وإخوته الذين كانوا يبحثون عنه: «فجاءت حينئذ أخوته وأمه ووقفوا خارجا وأرسلوا إليه يدعونه. وكان الجمع جالسا حوله فقالوا له هو ذا أمك وأخوتك خارجا يطلبونك. فأجابهم قائلا مَنْ أمى وإخوتى. ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال ها أمى وإخوتى. لأن من

يصنع مشيئة الله هو أخى وإختى وأمى» (مرقس ٣ : ٣١ ـ ٣٥). وكأنه يتهمهم بأنهم لم يكونوا يصنعون مشيئة الله أو أنهم كانوا من العصاة! وهنا يوضح المؤلفان نقطة لاتزال تثير الجدل حول إخوة يسوع ـ الأمر الذى ينفى ألوهيته قطعا، موضحين أن الكلمة الواردة فى الأصل اليونانى هى «أدلفوس» (adelfos) أى إخوة، أما أبناء العم، كما يحلوا للبعض أن يبررها لإثبات ألوهيته، فتعنى «أَنَبْسُوىّ» (anepsoi).

● **شخص انتقامى**: وعلى عكس المحبة والإخاء التى ينادى بهما، يوضح يسوع ما يجب أن يفعله المرء بأعدائه قائلا: «أما اعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى» (لوقا ١٩ : ٢٧).

● **جاهل بالشرع**: يستشد يسوع فى أحد المواقف قائلا: «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك» (متّى ٥ : ٤٣) وهنا يؤكد الباحثان: «لا توجد وصية واحدة من بين الستمائة وثلاث عشرة وصية التى يتضمنها الشرع الموسوى تحض على كراهية الأعداء!

أما النقطة الثانية التى أشار إليها الكاتبان من أن المسيحيين ليسوا مؤرخين، فهى قائمة على أن يسوع لم يكتب أى شىء بنفسه، ولم يكتب أحد عنه. فمن بين حوالى ثلاثين مؤرخا كانوا معاصرين له وكان يمكنهم التحدث عنه أو عن تلاميذه، ومنهم مؤرخون مشهور لهم بدقة المتابعة من قبيل سينيك، وبيترون، ولوكان، وبلوتارك، وكوانتيليان، فما من واحد منهم قد ذكر يسوع. وأكثر من يثير الفضول بين أولئك المؤرخين، فيلون السكندرى، الذى كان موجودا فى اليهودية قبل وبعد أحداث العهد الجديد المفترضة. ومن المعروف أن فيلون هذا قد قام بعمل فلسفى جمع فيه بين اللاهوت اليهودى وفلسفة أفلاطون التى تتفق تماما مع اللاهوت المسيحى كما هو وارد فى إنجيل يوحنا. كما قام فيلون بحصر كافة التحركات الدينية فى عصره، ومنهم الأسينيون وجماعة قمران. لكنه لم يذكر أبدا يسوع ولا الطائفة التى أسسها!

ويخرج الكاتبان من هذه الحقيقة التاريخية الدامغة بأن الأحداث الكبرى الواردة فى الأناجيل والجماعات الغفيرة التى كانت تتابعها، أو الخطب التى كانت تؤثر على الناس وتقلق السلطات الدينية والمدنية، كلها أكاذيب وليست حقيقة، وقد تم نسجها تباعا. والوثيقة الوحيدة الوارد بها شهادة فى الآثار اليهودية لكتابات المؤرخ فلافيوس جوزيف، ثبت أنها وثيقة مزيفة من صنع أحد المسيحيين ودسها فى كتابات فلافيوس جوزيف اليهودى المتزمت الذى لا يمكن أن يكتب قائلا «إن يسوع هو المسيح».

وفى الجزئية الثالثة والخاصة بتكوين أسطورة يسوع المسيح، يؤكد الباحثان أن نصوص الأناجيل قد تم إعادة صياغتها وتبديلها عدة مرات، وأنها ثمرة تطور طويل عبر القرون. إذ تم نسجها من مواد مختلفة كان الكتبة يقومون بتوليفها وفقا لأغراضهم الدينية آنذاك، إلى أن تم اعتبارها مقدسة. فحتى القرن الرابع كان يمكن للكتبة تعديلها وتبديلها وفقا لأهوائهم. وقد أحصى العلماء أكثر من ثلاثمائة تنويعة واختلاف فى مخطوطات العهد الجديد. وكثير منها ناجم عن أخطاء النقل، إلا أن ذلك يوضح أن النص استغرق وقتا طويلا قبل أن يستقر. وقد قال الفيلسوف اليونانى سلسوس، فى القرن الثانى بعد الميلاد: «أيها المسيحيون، إنكم لا تؤلفون سوى خرافات وأنتم غير قادرين على أن تضفوا عليها أية مصداقية، وبعضكم قد قام بتعديل النص الأصلى للإنجيل مرتين أو ثلاثا للإنكار أو للتمويه على ما يتم الاعتراض عليه».

أما عن كيفية نسج الأسطورة المسيحية فيقول الباحثان إن يهود اليهودية كانوا يعتنقون الصادوقية والفاريسية، بينما يهود السامرة والجليل فكانوا يعتنقون المذاهب المختلفة من معمدانية وأسينية وناصرنية آملين فى مجئ مسيح منقذ باسم سيد العدالة، ست، نعس، ملكيصادق أو يسوع. ومن الواضح أن الأسينية المتأخرة ليست سوى نوع من اليهودية المسيحية البدائية.

وكانت الحركة الفاريسية الناجمة عن ثورة المكابيين قد أتت بالعديد من النقاط الجديدة ومنها بعث الأموات، والجنة والنار، ووجود الملائكة، وخاصة فكرة المسيح واقتراب نهاية الزمان. ومن الواضح أن الأفكار والعقائد المسيحية أبعد ما تكون عن الابتكار وكانت موجودة قبل التعاليم الأسطورية ليسوع المسيح.

ويوضح الباحثان أن الجماعات الأسينية عادة ما كانت تحتمى بأحد القديسين سواء أكان حقيقيا أم افتراضيا. وعند أواخر القرن الأول بدأت تتكون فكرة اندماجية ترمى إلى التوفيق بين الفرق المتنافسة وإن كانت تجمعها عقائد مشتركة، وعندئذ بدأ فرض اسم يسوع الملاك ـ المسيح. لأن فكرة المسيح المتجسد لن تظهر قبل النصف الثانى من القرن الثانى.

وأسطورة بولس الطرسوسى لم تدخل المسرح قبل عام ١٤٠ عندما أحضر الاسقف مارسيون إلى روما إنجيلا ورسائل لشخص يدعى بولس وكان الجميع يجهلونه. ويؤكد الباحثان أن مارسيون هو المؤسس الحقيقى للمسيحية اليونانية المعادية للسامية بفصلها عن جذورها اليهودية، لكى يتمكن من نشرها فى الإمبراطورية الرومانية. فمن الصعب العثور على أية آثار لمسيحية غير يهودية فى القرن الأول.

وقد قام المسيحيون المعادون لمارسيون فى النصف الثانى من القرن الثانى بصياغة أعمال الرسل. لأن مقولة أو عبارة بولس الطرسوسى، وبولس كان مواطنا رومانيا، يؤيد هذا التاريخ، لكنه فى تلك الفترة طرسوس لم تكن رومانية، إضافة إلى أنه إذا كان بولس يهوديا فلم يكن بوسعه آنذاك أن يكون مواطنا رومانيا. والإطار العام لأعمال الرسل يقع فى النصف الثانى من القرن الثانى. وهذه الجزئية هامة لأنها هى التى سوف تحاول تجميع الفرق المتعارضة التابعة لبولس، وسمعان ـ بطرس، ويعقوب العادل، وابتداءً من هذا المنطلق بدأ نشر فكرة «تجسد المسيح، الإله الحقيقى والإنسان الحقيقى، وأنه وُجد من أجل خلاص خطايا البشر» كما يزعمون..

أما عن كيفية ترسيخ هذه الأسطورة، فيقول المؤلفان إن الإمبراطور قسطنطين قد اعتنق المسيحية فى أواخر القرن الرابع، وكانت عبارة عن فرق متفرقة آنذاك. ومن المعروف إنه اعتنق المسيحية لأغراض سياسية وأهمها الحفاظ على وحدة الإمبراطورية. لذلك قام باضطهاد الفرق الأخرى المتهمة بالهرطقة وأحرق كتبهم وقام بتدعيم الأسطورة الرسمية. وعندئذ تم اعتماد الكتب المكونة للعهد الجديد باختيار يدعم الأغراض الكنسية السلطوية. وكان آخرها الإنجيل الرابع الذى تم اعتماده عام ٣٩٥. وهى نفس الفترة التى قام فيها المؤرخ المزوّر أوسيب دى سيزاريه بعمل التوليفة اللازمة لإعادة صياغة العهد الجديد وتم تثبيت الأسطورة المسيحية.

إذا كان ما تقدم يمثل جزءاً ضئيلا من سيل متدفق من الكتابات التى تكشف بالأدلة والوثائق من وكيف ومتى تم بناء المسيحية الحديثة أو المسيحية الحالية وبأى الأيادى العابثة، فإن النشر الإلكترونى لا يقل تدفقا، وما أكثر المواقع التى صارت تنشر هذه المعلومات حتى يحاط الأتباع علما بما لا تزال الكنيسة تحاول التعتيم عليه. ومنها موقع تيسكالى الذى يدور حول سؤال واحد هو: «يسوع المسيح: أسطورة أم حقيقة؟».

ويبدأ الموقع بحثه بعبارة البابا ليون العاشر (فى القرن الخامس عشر) الذى قال: «نحن نعلم من زمن بعيد، كم أفادتنا رواية يسوع المسيح المختلقة»!

ثم يبدأ بعنوان يتناول: **المشكلة التاريخية**، ونطالع فيه ما يلى:

«لا توجد أى شهادة مكتوبة تتحدث عن يسوع بخلاف الأناجيل المليئة بالمتناقضات. بل وهناك ما هو أكثر من ذلك. إن المسيح لم يكتب شيئا فحسب، لكن احدا لم يكتب شيئا عنه. والكتاب المقدس أو العهد الجديد لا يمكنه أن يقدم لنا الدليل على أن المسيح كان شخصا حقيقيا بل على العكس من ذلك إنه يقدم العديد من الأدلة التى تثبت عدم وجوده. ففيما عدا كتبة الأناجيل الأربعة لايوجد أى مؤلف أو مؤرخ من المعاصرين ليسوع قد نقل إلينا بأية بيانات عنه».

ويوضح تيسكالى كيف أن المؤرخين يلاحظون، بدقة متناهية، أنه من بين أكثر من ثلاثين مؤرخا معروفا فى تلك الحقبة وكان بإمكانهم أن يذكروا يسوع أو أعماله أو أخباره إلا أن جميعهم قد التزموا الصمت. والإشارة الضحلة الواردة فى أعمال المؤرخ فلاڤيوس جوزيف (٣٧ إلى ٩٥) ثبت أنها قد أضيفت بعد حياة المؤرخ أوريچين (١٨٥ ـ ٢٥٤) الذى كان يجهلها، وأنها لم تذكر إلا فى القرن الرابع، والذى أشار إليها هو يوسيب دى سيزاريه (٢٦٥ ـ ٣٤٠) المعروف بأنه المزور. وأيا كان الأمر فمن المحال أن يقوم فلاڤيوس جوزيف، اليهودى الأصولى، بكتابة أن يسوع هو المسيح المنتظر. فاليهود الأصوليون لايزالون ينتظرون مجئ مسيحهم.

أما المؤرخ تاسيت (٥٥ ـ ١٢٠) فقد تحدث عام ١١٦ عن بعض المسيحيين الذين تم حرقهم فى روما أيام نيرون عام٦٤م. إلا أنه ثبت أن هذه العبارة قد أضيفت عام ١٤٢٩، والذى أضافها هو سكرتير البابا، لوبودج، أول ناشر لحوليات تاسيت. وهذه الجملة لاتوجد فى الترجمات السابقة أو النسخ المنقولة الأخرى. ويقول المختصون: إن هذا التحريف قد تم بناء على نص من سولبيس سيڤير، وهو مؤرخ من أواخر القرن الرابع.

وقد أشار پلين الشاب (٦٦ ـ ١٤٤) فى خطاب منه إلى الإمبراطور تراچان، إلى وجود المسيحيين وشخص يدعى يسوع. إلا أنه ثبت أن هذا الخطاب قد تم تأليفه زيفاً عام ١٥٠٠ والذى كتبه هو چيراردو دى ڤيرونا. وفى القرن الرابع، قال أحد المثقفين ويدعى سيدوان أبولينير: إن عدد مؤلفات پلين الشاب هى تسعة كتب. والطريف أن هذا الخطاب المزعوم أنه مرسل إلى الإمبراطور تراچان موجود فى الكتاب العاشر المنسوب زيفا إلى پلين الشاب!

أما المؤرخ سيوتون (٧٥ ـ ١٦٠) فقد تحدث عام ١٢٠ عن Chrestos (وتعنى الطيب أو الأفضل) وكان مشاغبا فى روما عام ٥٠م، ولايمكن أن

يقصد به المسيح المسالم (ويكتب Christus) أى الممسوح، الوارد فى الأسطورة المسيحية والذى توفى، كما يقولون، فى القدس قبل عشرين عاما.

ومن بين الكتاب والمؤرخين الذين عاشوا فى القرن الأول والثانى بعد الميلاد، والذين لم يذكروا كلمة عن يسوع بل التزموا الصمت المطبق، يذكر منهم: فاليريوس ماكسيموس (ـ ١٤ إلى ٣٧)، وسينيك (ـ ٢ الى ٦٦)، وپلين الكبير (٢٣ ـ ٧٩)، وبيرس (٣٤ ـ ٦٢)، ولوكان (٣٩ ـ ٦٥) وديون كريزوستون (٤٠ ـ ١١٧)، وستاس (٤٠ ـ ٩٦). وبلوتارك (٤٥ ـ ١٢٥)، وسيليوس الايطالى (٢٥ ـ ١٠٠)، ومارسيال (٦٥ ـ ٩٥)، وفلاكس (٧٠ ـ ١٠٠)، وبترون (متوفى عام ٦٥)، وكوانتيليان (٦٥ ـ ٩٧)، وچوڤينال (٥٥ ـ ١٤٠)، وأپوليه (متوفى حوالى ١٧٠)، ودون كاسيوس، وپوزانياس، وجوست الطبرى إلخ إلخ..

إلا أن أكثر ما يلفت نظر الباحثين هو صمت فيلون السكندرى حول يسوع والذى له أهمية كبرى فى هذه القضية. فقد كان فيلون فى الخامسة والعشرين من عمره عند افتراض مولد يسوع، ومات بعد سنوات من التاريخ الذى يقال إن يسوع قد مات فيه. أى أنه كان معاصرا بمعنى الكلمة لحياة يسوع، ومع ذلك فلم يذكر حرفا عن يسوع المسيح.

ومن المعروف أن فيلون السكندرى كان عالما واهتم أساسا بالدين والفلسفة. ومن المحال ان يكون قد أغفل أو أهمل، ذكر يسوع الذى كان من بلده ومن جنسه. وهنا يؤكد تيسكالى قائلا: «إذا ما كان يسوع قد وجد فعلا وقام بكل ما ينسبونه إليه فى الأسطورة المنسوجة، لما أمكن إلا يذكره فيلون، بسبب بسيط هو أن كل تعاليم هذا الفيلسوف مسيحية لدرجة أن بعض الكتّاب أو الفلاسفة لم يترددوا فى أن يطلقوا عليه اسم «الأب الحقيقى للكنيسة»! وقد حاول فيلون الربط بين اليهودية والهللينية وأنشأ ما يسمى بالمذهب الأفلاطونى لـ «الكلمة» أو «اللوجوس» الكثير الشبه بما هو وارد فى إنجيل يوحنا. والمقصود باللوجوس فى إنجيل يوحنا هو المسيح.

ولقد عاش فيلون السكندرى فى الفترة التى أقاموا فيها وجود المسيح، وكان مشهورا قبل المسيح، وقد قام تجاه اليهودية بعمل نفس التحول إلى الهللينية والأفلاطونية، وهو ما قام به الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنا. فهو يتحدث عن اللوجوس أو الكلمة تماما كما يتحدث الإنجيل الرابع، ومع ذلك فهو لم يذكر المسيح ولا مرة، ولا مرة واحدة فى كل مؤلفاته العديدة.

وحينما يتعلق الأمر بشخصية مثل يسوع فإن صمت التاريخ والمؤرخين يمثل علامة استفهام كبرى، علامة يصعب تفسيرها، علامة جد محبطة! لذلك يقول تيسكالى «اقل ما يمكن أن نخرج به نتيجة لذلك الصمت هو تأكيد أنه يمثل قرينة خطرة وجادة ضد عدم وجود يسوع - المسيح الأسطورة». ولذلك قال البابا بيوس الثانى عشر فى أحد المؤتمرات التاريخية الدولية عام ١٩٥٥ مكررا ما سبق وقاله من قبل: «بالنسبة للكاثوليك، إن مسألة وجود يسوع ترجع إلى الإيمان أكثر منها إلى العلم»!!

وعن «كيفيةنسج الاسطورة» يورد هذا الموقع:

فى بداية المسيحية، فى القرن الثانى الميلادى، كان الإله المسيح إلها من السماء وليس إنسانا باسم يسوع. ولم يبدأ الحديث عن الإنسان يسوع إلا مع ظهور الأناجيل فى منتصف القرن الثانى. وهى فترة طويلة أن تمر مائة وخمسون عاما ليتم تدوين أحداث منفردة - إذا ما افتردنا أنها وقعت فعلا! ومثلما أشرنا من قبل، فإن المؤرخ اليهودى فلافيوس چوزيف المهتم بكل ما كان يحدث فى فلسطين، كان يجهل هذه «الأحداث المتفردة» كما كان يجهل وجود كنيسة أولى فى القدس. علما بأن سفر الرؤيا المكتوب عام ٧٠ والذى أعاد صياغته أحد الآباء الكنسيين فى القرن الثانى، لا يقول أى شىء عنها!

وبولس الرسول، الذى تم إعادة صياغة رسائله عدة مرات بعد وفاته من أجل صياغة مسيحية أكثر أصولية لا يعرف شيئا عن يسوع التاريخى، ولا عن يوسف والده، ولا عن مريم أمه، ولا عن يهوذا الذى خانه! كما لم يذكر

البتة أى شىء عن عملية الصلب أيام بونس بيلاطس بأيدى الرومان، وإنما يتحدث عن مسيح ضحت به القوى الكونية فى تضحية عالمية. الأمر الذى دفع الأب إرنست رينان أن يكتب قائلا:

«بالنسبة لبولس، إن المسيح ليس بشرا عاش وعلّم، وإنما عبارة عن كائن إلهى»..

ولم تبدأ الكنيسة بإدانة الذين «ينكرون أن يسوع قد تجسد بشرا (الرسالة الثانية ليوحنا ١ : ٧)، إلا بعد أن تم طرد الأسقف مارسيون وأتباعه من روما عام ١٤٤م. فحتى ذلك الوقت كانت هذه الفرضية يساندها كل من مارسيون، وبازيليد، وفالنتان وغيرهم، المعروف أنهم كانوا من الغنوصيين. وقد انفصلت عنهم الكنيسة الرومية وبدأت فى صياغة أسطورة المسيح المصلوب بجسده، وكانت هذه الأسطورة مجهولة حتى ذلك الوقت حتى من أصحاب الرسائل المنسوبة إلى بولس. ووفقا للحاجة فى معارك الخلافات القائة بدأوا إدخال أو إضافة القصص الخاصة بالحياة الدنيوية ليسوع يختلف تماما عن «الكائن السماوى البحت والوحيد الذى كان معروفا قبل سنة ١٥٠».

ويوضح تسكالى أن أسطورة يسوع قد تم نسجها على النحو التالى:

١ ـ المسيح السماوى كما هو وارد فى الرسائل المنسوبة الى بولس.

٢ ـ يسوع الوهم أو «الملاك المسيح» (الجسم الأثيرى) وهى نظرية المسيحيين الغنوصيين.

٣ ـ يسوع «الدنيوى» أو التاريخى كما هو وارد فى الأناجيل المتواترة أو المحتجبة.

ثم يورد بعض الملاحظات،منها:

● كثير من علماء اللاهوت يتصرفون مثل الأب البير شفايتسر (١٨٧٨ ـ ١٩٦٥) الذى يؤكد فى مقدمة الطبعة الأولى لكتابه المعنون «السر التاريخى لحياة يسوع»، أنه لا توجد أية وثيقة تاريخية يمكن الاعتداد بها عن يسوع. ومع ذلك فكل عام تظهر عشرات الكتب المليئة بالروايات والفريات وفقا لتخيلات كاتبيها.

● يسوع هو الترجمة اليونانية لاسم يشوا اليهودى. ويشوا يعنى «الله أنقذ، ينقذ، سينقذ».

● من اللافت للنظر أنه من بين المدافعين عن العقيدة المسيحية فى القرن الثانى، أريستيد، والقديس أغسطين، وترتوليان هم الوحاد الذين نطقوا اسم «يسوع المسيح». أما باقى آباء الكنيسة طوال ذلك القرن الثانى ومنهم تاسيان، وأتيناجور، وثيوفيل، وهرمياس، وكوادراتوس إلخ. فلم يكونوا يعرفون اسم «يسوع»، ولم يتحدثوا ألا عن المسيح.

● التاريخ الوحيد المعروف والمعترف به مؤكدا فى تاريخ المسيحية ويقر به الجميع (من مفسرين، وكتبة إنجيليين، وعلماء لاهوت كاثوليك، وبروتستانت، واورثوذكس، بل وحتى أصحاب النقد العلمى) هو عام ١٤٤م.

وتكمن أهمية هذا التاريخ المؤكد الوحيد، فى أنه فى ذلك العام، سنة ١٤٤م، قام أحد أصحاب السفن الأثرياء اليونانيين ويدعى مارسيون، بإحضار الرسائل المنسوبة لبولس إلى روما. وقبل ذلك التاريخ لم يكن أى شخص قد سمع ببولس ولا برسائله. كما أحضر مارسيون أول إنجيل معروف باسم «إفا نجليون» (Evangelion) الذى كان يشار فيه إلى يسوع على أنه «الملاك المسيح»، الوهم، الجسد الأثيرى. وهذا المفهوم الغنوصى ليسوع الوهم أو الشبح كان معترفا به فى كافة المسيحية بلا أى تمييز حتى أعوام ١٤٤ ـ ١٥٠. ولم تبدأ كتابة حياة المسيح الدنيوية إلا عندما تم طرد مارسيون من روما عام ١٤٤، مستعنين بالعديد من الاستشهادات من العهد القديم المتعلقة بمجئ المسيح وبنقل أو

باختلاس العديد من تفاصيل العبادات القديمة (ومنها تحويل يسوع للماء وجعله نبيذاً، فقد فعله الإله باخوس من قبله).

ويؤكد تيسكالى أن المسيحية الحالية قد تم نسجها لصالح الكنيسة الكاثوليكية الوليدة. وهى المسيحية الناجمة عن القرن الرابع والتى يدرّسونها رسميا على أنها الأصول المسيحية، وهذه الأصول ترجع للقرن الثانى الميلادى وليس للقرن الأول. وعند صياغة هذه المسيحية الناجمة عن القرن الرابع، لعب الأسقف يوسيب دى سيزاريه الدور الحاسم فى عمليات التزييف والتحريف. أى أن يوسيب دى سيزاريه (٢٦٥ ـ ٣٤٠) هو المؤسس الفعلى للكنيسة الكاثوليكية، وهو الذى اخترع فى كتابه المعنون «التاريخ الإكليروسى» قائمة الأساقفة الأوائل المزعومين فى روما والذين تم اعتبارهم فيما بعد البابوات الأوائل. وهو أيضا الذى أعطى بنية اقتصادية وسياسية متينة للكنيسة فى روما. فقد كان يشغل منصب سكرتير الإمبراطور قسطنطين. وتم تعديل نصوص العهد الجديد وفقا للاحتياجات المطلوبة. ومن المعروف أن الأصول الرسمية للعهد الجديد والمعروفة باسم المخطوط الفاتيكانى (Vaticanus) والمخطوط السينوى (Sinaiticus) يرجعان للقرن الرابع.

وفيما يتعلق بألوهية يسوع، يقول تيسكالى: «لقد اهتز العالم الغربى المسيحى حديثا عن ظهور كتاب معنون: «أسطورة تجسد الله»، الذى صدر فى بريطانيا العظمى. وهذا الكتاب الذى يدين وجهة النظر المسيحية التقليدية القائلة بألوهية يسوع، لم يكتبه شخص غير مسيحى أو رجل لاهوت هامشى الدرجة أو المستوى، وإنما كتبه سبعة من كبار علماء اللاهوت المحترمين البريطانيين، الذين لهم مكانتهم العليا. فمنهم ست علماء إنجليكان والسابع هو استاذ اللاهوت فى جامعة برمنجهام. وهذه المجموعة قد عاونها أستاذ لاهوت آخر فى كلية اللاهوت المسيحى فى أوكسفورد، وكان يشغل منصب رئيس اللجنة العقائدية البريطانية.

ويقول هؤلاء العلماء، فى هذا الكتاب، إن البيانات الواردة فى العهد الجديد حول يسوع على أنه ابن الله هى بيانات خيالية أساسا ولا يجب بأى حال من الأحوال أن تؤخذ على أنها حقيقة. ويؤكدون أن يسوع لم يزعم أبدا أن يكون ذا طبيعة إلهية. وأن هذه الطبيعة الإلهية قد تم نسجها فى الأزمنة الأولى للمسيحية إضافة إلى تأثيرات وثنية. وأن يسوع لم يقل أبدا أى شىء حول بدعة الثالوث أو أنه ابن لله أو أنه أرسل إلى الأرض ليفادى البشر بموته. إضافة إلى أن يسوع لم يكن مسيحيا وإنما يهوديا! وأن هذه المعلومات الوثائقية الثابتة كان لها وقع الصدمة على كثير من المسيحيين البسطاء الذين شبّوا من الصغر على عبادة يسوع كإله!

إن المصادر الإنجيلية تؤكد أن أقدم الوثائق المسيحية، الرسائل المسندة إلى بولس، لا تتعلق بيسوع تاريخى وإنما بشخص روحى تعرفه كافة الفرق الغنوصية على أنه النموذج الأعلى «للمنقذ».

وبضعة الوثائق أو الإشارات إلى وجود يسوع والواردة فى الرسائل هى بكل تأكيد عمليات تحريف وتزييف. وهو ما يؤكده الباحث إدوارد دوچاردان، من أن كل التراث المسند إلى بولس «لايشير فى أى مكان إلى بيلاطس، ولا إلى الرومان، ولا إلى كايف، ولا إلى المحكمة العليا، ولا إلى هيرودس، ولا إلى يهوذا، ولا إلى النساء «القديسات»، ولا إلى أى شخص من الشخصيات المتعلقة بقصة محاكمة يسوع وصَلْبه. إن رسائل بولس تجهل كل ذلك، ولا تشير إليه بحرف واحد». (وارد فى كتاب «**التاريخ القديم للرب يسوع**» إدوارد دوچاردان، صفحة ٣٣).

أما كتاب رودلف أوجشتاين المعنون: **يسوع ابن الانسان** والمترجم عن الألمانية بقلم ميشيل فرانسواديميه، والصادر عن دار نشر جاليمار سنة ١٩٧٥ فى ٣٨٩ صفحة، فإنه يثير عدة أسئلة جد هامة ومنها: «بأى حق تدّعى الكنائس المسيحية وجود يسوع قد يكون لم يوجود أصلا، وعقائد لم يقم هو

بتعليمها، وتزعم امتلاك سلطة لم يمنحها إياها، وتُلصق به بنوة إلهية لم ير هو أنها ممكنة ولم يطالب بها؟» (صفحة ٩).

الجدل الحالى

وحول الجدل الحالى فى هذه القضية المأساة يقول تيسكالى «إنه على الرغم من كل هذا الكم من الكتابات وعلى الرغم من أهمية الموضوع، إذ أنه يتعلق بكيان المسيحية برمتها، فإنه يوجد لدى جمهور المسيحيين جهل مؤكد وممتد فيما يتعلق بالدين وبعلم الأساطير، وأغلب الناس ليست لديهم دراية بتفاصيل هذا الموضوع. ففيما يتعلق بالمسيحية مثلا، لا يزالون يدرسون فى معظم المدارس والكنائس أن يسوع المسيح كان شخصا تاريخيا وحقيقيا وأن الجدل الوحيد الدائر حوله هو أن البعض يعتبرونه ابن الله والمسيح، والبعض الآخر لايؤمن بهذه الجزئية! إلا أنه على الرغم من أهمية هذا الخلاف أو الجدل فهو لايمثل الجانب الأكثر أهمية فى يومنا هذا. فالسؤال المطروح حاليا، ومهما بدا ذلك صادما لعامة الناس، هو معرفة إذا ما كان هناك شخص يدعى يسوع المسيح قد وُجد فعلا»!

فهناك كم مهول من الدراسات التى تعرض بمنتهى الدقة والمنطق، أن يسوع المسيح عبارة عن شخص أسطورى مثله مثل آلهة اليونان والرومان والمصريين القدماء والسومريين والفنيقيين أو الهنود، والذين ينظر إليهم جميعا اليوم على أنهم أساطير أكثر منهم شخصيات تاريخية. والبحث الدقيق فى هذه الوثائق يوضح أن «شخصية يسوع مبنية على أساطير وأبطال من العالم القديم. فلقد أوضح العلماء، وطوال قرون، أن شخصية يسوع المسيح مختلفة ولاتعبّر عن شخصية حقيقية لابن الله أو أنه قد تحول بعد ذلك إلى إنسان مثالى بفضل حماس تلاميذه.

ثم يشير إلى كتاب جوزيف هويلس المعنون «**التزييف فى المسيحية**»، حيث يقول: «إن الأناجيل كلها عبارة عن عمليات تزييف لاهوتية تمت صياغتها بعد أكثر من قرن من التواريخ التى يزعمونها لها. وأن بعض الذين

اخترعوا بعض هذه الأناجيل والرسائل التى كتبت تقريبا فى القرنين الأول والثانى قد أقروا أنهم زيفوا هذه الوثائق. وأن التزييف فى القرون الأولى للكنيسة كان جامحا ومنتشرا لدرجة أنه تم اختراع عبارة مًّا لوصفه هى: «التدليس الورع»، ومثل هذا الغش الفاضح معترف به رسميا فى «الموسوعة الكاثوليكية». وبعض كبار آباء الكنيسة من قبيل يوسيبيوس قد اعترف عليهم أقرانهم على أنهم كذّابون ودأبوا على كتابة فرياتهم عما قال «الرب» وعما فعله أثناء وجوده على الأرض»!

أما عن المصادر غير الإنجلية فيقول إنه مامن مؤرخ من الذين عاشوا أو عاصروا الفترة المفترضة لوجود يسوع وذكره فى أعماله، وخاصة الفيلسوف فيلون (-٢٠ إلى ٥٠). وهم حوالى أربعين مؤرخا توالوا فى القرنين الأولين ولم يذكروه. وقد بقى من أعمالهم مايكوّن مكتبة بأسرها. وفى كل هذا التراث اليهودى والوثنى لم توجد سوى فقرتين وقد ثبت تزييفهما. الأمر الذى له مغزاه بالنسبة للمؤرخين والباحثين الحاليين.

وفيما يتعلق بالشخصيات التى استعانت بهم الأيادى الناسجة للأسطورة، فيقول الباحث «لاتوجد شخصية بعينها قد تم استلهامها أو النقل عنها وإنما هى عبارة عن تراكمات وجزئيات لأساطير وأبطال وأنصاف الآلهة الوثنية عديده متعددة» ولا يسع المجال هنا لسرد كل جزء على حدة أو بالتفصيل، إلا أنه يؤكد قائلا: «الحقيقة الثانية هى أنه فى الفترة التى عاش فيها يسوع كانت توجد فى الإسكندرية مكتبة ضخمة تضم شبكة فائقة من المراجع التى تمتد أسماء أصحابها من أوروبا للصين. وهذه الشبكة الهامة للمعلومات كانت تضم أعدادا ضخمة من المخطوطات التى تقص نفس قصة العهد الجديد بأسماء وأماكن ترجع لعرقيات مختلفة. وفى حقيقة الأمر، إن قصة يسوع تمثل توازيا شبه مماثل حرفيا لقصة كرشنا بما فيها أدق التفاصيل. وقد أوضح جيرالد ماسى، عالم الأساطير المتميز، منذ أكثر من مائة عام، هذه المقارنة. وكذلك الأسقف روبرت تيلور منذ حوالى مائة وستين عاما.

وقصة كرشنا التى نجدها فى كتب الفيدا الهندية قد تمت صياغتها على الأقل منذ ألف وأربعمائة عام ق.م. ويمكن قول نفس الشىء بالنسبة لأسطورة حوريس، وهى ايضا طبق الأصل حتى فى ادق التفاصيل لقصة يسوع، ولكنها تسبق القصة المسيحية بآلاف السنين.

ويؤكد الباحث أن قصة يسوع قد تضمنت عناصر من آلهة أخرى فى هذا المجال الواسع، مثل عبارة «**منقذ العالم**» أو «**ابن الله**»، وكلها سباقة على الأسطورة المسيحية بل أن العديد من آلهتها قد تم صلبه! ومنهم عداد فى آشور، وأدونيس وأبوللو وهرقل وزيوس فى اليونان، وبعل فى فينيقيا، وبالى فى أفغانستان، وبدرو فى اليابان وبوذا فى الهند، وديفاتات فى سيام، وحوريس وأوزوريس وسبرابيس فى مصر، بلحيته وشعر رأسه الطويل الذى تم محاكاته فى شخصية يسوع.

ومن التفاصيل المتعلقة بالإله حوريس يورد الباحث أنها ترجع إلى حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، ومنها: أن حوريس ولد من العذراء إيزيس مرى فى ٢٥ ديسمبر فى كهف، وقد تم الإعلان عن مولده بنجمة فى الشرق وكان فى استقباله ثلاثة حكماء. وأنه كان يعلّم الأطفال فى المعبد وتم تعميده فى سن الثلاثين. وكان له ١٢ تلميذا، وله عدة معجزات ومنها أنه أعاد الحياة إلى العازاروس. ومشى على سطح الماء. وقد تغيّرت ملامحه على الجبل، وتم دفنه فى مقبره ثم بُعث، وكان يطلق عليه أيضا أنه «الطريق،الحقيقة، النور، المسيح، الابن المسيح لله، ابن الانسان، الراعى الصالح، حَمَل الله، والكلمة»! وكان «الصياد» وتم تشبيهه بالحَمَل والأسد والسمكة. والاسم الصفة الشخصية لحوريس كانت «إيوسا» الابن الخالد لفتاح الآب. وكان حوريس يدعى «KRST» أى المسيح.

وينهى هذا الجزء من البحث قائلا: «فى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٣ اعترف البابا يوحنا بولس الثانى أن ٢٥ ديسمبر هو عيد وثنى معلنا: «أيام الوثنيين

القدامى كانوا يحتفلون بعيد الشمس التى لا تقهر، فى ذلك اليوم، لكى يتوافق مع منقلب مدار الشتاء. فكان من المنطقى والطبيعى بالنسبة للمسيحيين أن يستبدلوا هذا العيد لإقامة عيد الشمس الوحيدة الحقيقية وهى: يسوع المسيح»؟!

ولا يسعنا بعد قراءة مثل هذا الاعتراف، من أكبر شخصية مسيحية فى العالم، أو ممثل الله على الأرض كما يقولون، إلا أن نتساءل: ترى هل سيأتى اليوم الذى يعترف فيه نفس هذا البابا أو من يليه، أن يعترف بكل ما قامت به الأيادى العابثة من تحريف وتزوير لنسج أسطورة تأليه عيسى ابن مريم والحفاظ على استمرارها كل هذه القرون بمختلف وسائل القمع والتعتيم والتحايل؟!

ليت الشجاعة والأمانة العلمية والتاريخية والموضوعية تتغلب على أنانية التعصب والاستحواذ على السلطة والتضليل... وبمناسبة هذه العبارة الأخيرة لايسعنا أيضا إلا أن نشير إلى الباحث الإيطالى لويچى كاتشيولى، الذى أصدر كتابا بعنوان «**اكذوبة يسوع**» فى يناير ٢٠٠١، وأثبت فيه أن الكتابات «المقدسة» مزورة، وغير منزّلة كما يزعمون، وأن يسوع المسيح هو تحريف لشخصية يوحنا بن جمالا بن يهوذا، وينهى بحثه بمذكرة دعوى قضائية ضد قادة الكنيسة الكاثوليكية لاستغلالها عقلية الناس وتقديم فريات وأكاذيب، وذلك بناء على البند رقم ٦٦١ من قانون العقوبات الإيطالى، ولإحلالها شخصية محل شخصية أخرى، وذلك بناء على البند رقم ٤٩٤ من نفس القانون. فهو يثبت أن كل ما قدمته للأتباع عبارة عن أكاذيب فى أكاذيب.. وهو ما يتفق فى جميع الأحوال مع مقولة بولس الرسول حينما قال بوضوح لالبس فيه: «إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا أدان أنا بعدُ كخاطئ»؟! (رسالة الى أهل رومية، ٣:٧)

واللهم لا تعليق...

الخاتمة

تتكون خاتمة البحث الذى كتبه إنريكو ريبونى من عشرة أسطر بالبنط الثقيل.. عشرة أسطر ضمنها خلاصة ماخرج به من دراسات لمدة سنوات طويلة، عبر عنها بوضوح مرير قائلا:

«إن المتناقضات المتعددة التى تملأ الإنجيل بعهديه هى بمثابة شتائم فى حق الله. فإن كان الإنجيل هو كلام الله. فهل يمكن لله أن يناقض نفسه؟!

إننا نعلم جميعا أن عكس الحقيقة هو الكذب.. وأن تأكيد حقيقة ما ونقيضها فى نفس الوقت لايمكن أن يسفر عنه أن يكون الاثنان معا وفى نفس الوقت حقيقة. إن العقل يفرض علينا الاعتراف بالأمر الواقع: إذا ما كان الإنجيل كتابا متناقضا، فإنه لايمكن أن يكون من عند الله. لا، لايمكن للإنجيل أن يكون كلام الله. إن الإنجيل هو عمل من صنع البشر، على صورة البشر، فهو عمل ناقص، بعيد عن الكمال، وغير قادر على الإجابة على كافة الأسئلة.

«لقد اكتشفت الحقيقة. والحقيقة ليست فى الإنجيل. وإذا ما أردت تخليص العالم من عبوديته الفكرية، إذا ما أردت المساهمة فى حركتنا التى ترمى إلى إزالة الاستعمار الفكرى، فلا تتردد: احرق هذا الإنجيل، وحرر فكرك بسرعة من هذه العبودية الشاذة».

إن مثل هذه الخاتمة المفجعة، لاشك فى أنها تصدم القارئ أيا كانت عقيدته وأيا كان انتماؤه الدينى، وتصدم المسيحيين بعامة. وخاصة كل الذين لايعرفون تلك الحقيقة المرة الأخرى، وهى: أن الأناجيل الحالية قد صيغت عبر المجامع على مر العصور، وأن الأسماء التى هى معروفة بها ليست هى التى صاغتها.. ولقد رأينا من كل ما تقدم من أحداث ثابتة فى التاريخ ما يؤكد مثل هذه العبارة التى قالها العالم الفرنسى موريس بوكاى فى كتابه المعنون: «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم».. ذلك الكتاب الذى أثبت فيه بالمقارنات العلمية أن معطيات الإنجيل بعهديه لاتصمد أمام العلم، وإن العلم يفندها جميعا. أما القرآن الكريم، فما من معط وارد به ويمكن للعلم أن يفنده.. وبالتالى، فقد خرج بنفس الحقيقة القائلة إن الإنجيل بعهديه من صنع بشر ولا يمكن أن يكون من عند الله.

والدليل على ذلك يمكن التوصل إليه عن طريق متابعة تاريخ الكتاب المقدس. خاصة فى المراجع الغربية إذ أن المراجع العربية بها الكثير من التعتيم وتحجب الكثير مما يدور فى الغرب. فالعهد القديم معروف تاريخه وثابت بالقطع أنه من تجميع البشر. ونفس الشىء بالنسبة للعهد الجديد، إلا أن نفوذ الأيادى العابثة المتسلطة تحاول التمسك بأهداب أكاذيبها.. وما على المتشكك إلا أن يراجع تاريخ المسيحية الأولى، وكيفية نشأتها، وتاريخ المجامع فى الكتابات الناقدة التى أصبحت تعد بالمئات.. وسوف يرى أن التعديل والتبديل قد بدأ منذ المجمع الأول المنعقد فى كنيسة أورشليم سنة ٤٨، وكان يترأسه القس يعقوب، شقيق السيد المسيح (خطاب إلى غلاطية ١: ١٩ ـ ٢٠) و(متى ٢٧: ٥٦) و(أعمال الرسل ١٥: ١٣ و١٩ ـ ٢٠) [1]. حيث قال بولس:

(١) وعبارة «شقيق» السيد المسيح والتى صار حولها الجدل فى الأشهر الماضية على صفحات الجرائد من العبارات التى نالها التحريف فالمكتوب فى النص اليونانى هو عبارة «أدلفوس» أى شقيق، اما كلمة «ابن عمومة» التى يحاولون الزج بها فهى «أنِبْسُوى». وتم تبديل كلمة شقيق بعد تأليه السيد المسيح فالإله لا يُعقل أن يكون له شقيق!..

«لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضا (...) فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يكمل شيئا» (الرسالة إلى العبرانيين ٧: ١٢ و ١٨ ـ ١٩) فى طبعة ١٩٦٦. أما فى طبعة ١٨٣١ المطبوعة من نسخة ١٦٧١ فقول نفس الآيات: «إنه كما كان التغيير فى الحبورية فواجبا أيضا أن يكون التغيير فى الشريعة (...) وإنما كان رذالة الوصية الأولى لضعفها وإنه لم يكن فيها منفعة. ولم تكمل شريعة التوراه شىء فكان دخول رجاء أفضل منها به نقترب الى الله»!

هكذا ببساطة ووضوح لا لبس فيه، قام بولس الرسول اعتمادا على الكذب، كما أوضحنا فى البداية ووفقا لقوله، بتغيير الكهنوت، أى الممارسة الشكلية، ثم يستند إلى ما قام به ليغيّر الناموس والوصية التى أرادها الله أبدية أزلية، وتغييرالشرع، على الرغم من أن السيد المسيح كان قد قال فى إنجيل متى: «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ماجئت لأنقض بل لأكمل. فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل».. (٥: ١٧ـ ٢٠)! وقد أزالت الأيادى العابثه كل ما قاله تقريبا.. وذلك مجرد مثال من آلاف الأمثلة والتى يصل عددها فى الموسوعة البريطانية إلى مائة وخمسين ألفا.

وما تم إثباته حاليا بالوثائق والتواريخ والأحداث المعاشة، أن المسيحية قد تم نسجها عبر المجامع على مر العصور واكتشاف هذا التحريف والتلاعب هو السبب الحقيقى فى مختلف تيارات الإلحاد التى اجتاحت أوروبا أو العالم المسيحى بعامة وبدرجات متفاوته. فلقد ظل النقاش متقدا حول تكوين الأناجيل ومصداقيتها داخل الكنيسة حتى مجمع مدينة ترانط عام ١٥٦٣، الذى فرض نص الترجمة اللاتينية المعروف باسم «الفولجات» على أنه نص مقدس، رغم كل ما تتضمنه نصوص المجامع السابقة وقراراتها من أدلة تثبت بالتواريخ والأسماء، أنها من كتابة البشر.

وعلى الرغم من كل ما سببته المتناقضات الواردة بها من انشقاقات عقائدية، فقد تم إعادة تأكيد «مصادقيتها» مرة ثانية فى مجمع الفاتيكان الأول عام ١٨٦٩، الذى كان قد انعقد لصد الهجمات التى قادها العلماء، وكثير منها من رجال الكنيسة برتب عليا، فيما عرف بمعركة «الأصولية والحداثة» [1]. تلك المعركة التى كادت تأتى على التعصب الكنسى، إذ أصبح من المعلومات الدارجة الواردة فى الموسوعات أن نطالع: «إن هذه الأناجيل تتضمن آثارا واضحة عميقة لثقافات متعددة قديمة وحديثة. وقد تم تكوينها عبرالعصور» (موسوعة أونيفرساليس طبعة ١٩٩٦).

والنص المعروف باسم «الفولجات» أى الترجمة اللاتينية للأناجيل، كان القديس جيروم قد قام بها عام ٣٤١ نقلا عن النصوص العبرية والآرامية التى اختفت.. وقد أعلن مجمع مدينة ترانط عام ١٥٦٣ فى قراره: «يجب اعتبار هذا النص نصّا أصليا منزّلا، وذلك فى دروس التعليم العام والمناقشات وكافة أنواع التبشير والتفسير، وأنه لا يحق لأحد أن يتجرأ أو يدعى رفضه بأى حجة من الحجج» (راجع المجامع المسكونية حـ ٢).

وفى عام ١٩٤٣ قام البابا بيوس الثانى عشر بإصدار خطاب رسولى يوضح فيه أن هذه «الفولجات» أو ذلك النص اللاتينى خال تماما من أية أخطاء فيما يتعلق بعقيدة الإيمان أو التثليث» (راجع قاموس الباباوية). بينما يؤكد الفريد شفيتسر، فى كتابه المعنون «السر التاريخى لحياة يسوع» قائلا: «إن التراث المبنى على هذه الوثائق مزيف منذ البداية. لذلك يدور الحديث بحق حول تزوير التراث المسيحى»!

وفى ١٩٢٠/٩/١٥، قام البابا بنوّا الخامس عشر بإضافة عبارة «التنزيل الإلهى» على الأناجيل واعتبار أن «الله هو المؤلف الأساسى لها» أى والله هكذا!..

---

(١) التى أفردنا لها بحثا وافيا بعنوان «هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة: الأصولية والحداثة» دار الأنصار ١٩٩٦، ودار الكتاب العربى ٢٠٠٣.

واعتبار أن الله هو المؤلف الأساسى، كما يقولون، فإنها تعنى ضمنا أنه كان معه مؤلفون آخرون غير أساسيين! ولقد تنبهت الأيادى العابثة إلى ذلك فأعلنوا فى مجمع الفاتيكان الثانى عام ١٩٦٥ تعديل هذه العبارة وتم استبعاد «المؤلف الأساسى» واعتبار المؤلفين غير الأساسيين أو المؤلفين الحقيقيين هم الملهمون» (أندريه بول: «الوحى والنصوص: تاريخ ولاهوت»).

ولقد تعرضت المسيحية منذ أيام بولس إلى الاعتراضات المتواصلة كلما جرى العمل على فرض بدعة أو تحريف جديد. إلا أنها عرفت هزتين أساسيتين كادتا أن تأتيا عليها، الأولى أيام عصر التنوير فى القرن الثامن عشر، والثانية أيام معركة الأصولية والحداثة فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، إضافة إلى موجات أخرى متفاوتة الحدة والأصداء قبلها وبعدها. وإن كانت الهزة الأولى قد بدأت مع ما عُرف باسم «معركة القدامى والعصريين» فى القرن السابع عشر، عند تصدع البنيان السياسى والأخلاقى والدينى فيما عرف بأزمة الضمير الأوروبى عند بداية اكتشاف أن النصوص الإنجلية ليست منزّلة. وبدأ الفلاسفة برفض الحلول اللاهوتية والسلطة التقليدية المتوارثة، وراحوا يراجعون المفاهيم الأساسية المتعلقة بمصير الإنسان وتنظيم المجتمع، إيمانا بالعقل الإنسانى القادر على الفهم، وإيمانا بالتقدم العلمى ومنجزاته، خاصة بعد أن فشلت النصوص الإنجيلية فى الصمود أمام العلم.

وبدأ فلاسفة القرن الثامن عشر بإخضاع النصوص الإنجيلية والعقائد والأخلاق المسيحية ومؤسساتها السياسية والاجتماعية إلى التحليل العلمى والتاريخى والنقد الدقيق، وبدأت عملية مراجعة واسعة، لامن قِبَل البروتستانت وحدهم، وإنما بين نفس رجال الكهنوت الكاثوليكى الذين راحوا يدرسون هذه النصوص ويفسرونها تفسيرا علميا بغية تخليصها مما بها من أخطاء وأفكار غير مقبولة وأساطير متراكمة.

وأكثر ما اهتم به فلاسفة عصر التنوير هو محاربة التعتيم الذى كانت تفرضه الكنيسة على دراسة النصوص ومراجعة الترجمات على الأصول. وراحوا يفسرون العقائد متهمين رجال الكنيسة بالطغيان والاستبداد وبخداع الشعوب. الأمر الذى أدى إلى انبثاق تيار جديد عرف بالليبرالية أو التحرر من نير النفوذ الكنسى وتحرر العقل من كل ما تم فرضه عليه على مر القرون التعتيمية أو عصر الظلمات كما يطلق عليه. ويصف الأديب الفرنسى شارل موراس الليبرالية قائلا: «إنها مذهب متعدد الأشكال قائم على تحرير الإنسان من سلطة الله وشرعه، وبالتالى فهو مذهب يحرر المجتمع من أية تبعية للمجتمع الدينى. فالليبرالية هى عبارةٌ تشير إجمالا إلى صورة مجتمع بلا إيمان، وإلى حرية بلا ضوابط. أو كما يقول إميل بولا، الكاتب المسيحى: «إنها تشير إلى عالم كان مسيحيا بطريقته وترك لكل فرد فيه حرية أن يكون مسيحيا كيفما شاء حتى وإن كف عن التدين. وذلك هو ما يفسر نداء البابا يوحنا بولس الثانى فى إصراره على إعادة تنصير العالم».

وإعادة تنصير العالم هى العبارة التى أعلنها البابا يوحنا بولس الثانى عام ١٩٨٢، وهى ترمى إلى خطين أساسيين: تنصير الذين خرجوا عن المسيحية وكفروا وألحدوا، وتنصير الشعوب التى «لم تدخل بعد فى العقيدة المسيحية» كما يقول. وذلك تمشيا مع ما تم اتخاذه من قرارات فى المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى عام ١٩٦٥.

أما معركة الأصولية والحداثة، فكانت تدور أساسا حول مصداقية النصوص الإنجيلية، ومصداقية المؤرخين الكنسيين، والمطالبة بإعادة كتابة التاريخ بناء على وثائق حقيقية، مطالبين بإعادة دراسة النصوص الإنجيلية بناء على تقدم علم اللغويات والألسنيات الحديثة للتأكد من مدى أصالتها، بعيدا عن أية أفكار مسبقة. وذلك بعد أن قام الأب الكاثوليكى ريشار سيمون (١٦٣٨ ـ ١٧١٢) بكشف بعض المتناقضات والتحريف وعدم التوافق الزمنى للأحداث الواردة بها، مؤكدا أن موسى عليه السلام لم يكتب الأسفار الخمسة الأولى

من العهد القديم، بدليل أنه لايمكن لإنسان أن يصف كيف مات وأين تم دفنه. وإنما قد صاغها مؤلفون على مر العصور وفقا لأغراضهم إذ قاموا بحذف وإضافة وقائع بعينها، مؤكدا أن هذه النصوص ليست منزّلة بأى حال من الأحوال. فى كتاب بعنوان: «علم نقد النصوص الإنجيلية».. وما كان من كنيسة روما إلا أن أدانته وقامت بحرمانه وحرق مؤلفاته..

وامتد علم نقد الأناجيل وانتشر فى كل مكان فى أوروبا، وخاصة فى الجامعات الألمانية التى راحت تؤكد أن الإنجيل بعهديه لم يكتبه الأشخاص الذين يعرف بأسمائهم، ولا فى الظروف التى يزعمها التراث الكنسى. مؤكدين وجود اختلافات جذرية ومتناقضات جسيمة تتطلب عمل تفسير علمى جديد وإعادة النظر فى مشكلة الكتب المقدسة من منظور النقد التاريخى وعلم اللغويات الذى أسهم فيه الأب رودلف بولتمان لا بالكثير فحسب وإنما بما يعد بمثابة ضربات قاصمة.

وتوالت الحركات الجماعية أو الفردية فى موجات متفاوتة الحدة، وتنوعت المسميات والمعارك، ومنها الليبرالية، وتوابع الثورة الفرنسية، وعصر التنوير، والأصولية والحداثة، والشيوعية، ولاهوت التحرر والإلحاد، والتصدى للموجات العاتية لإعادة تنصير الغرب، وخاصة النقد التاريخى للأناجيل بعد ذلك التيار الذى اندلع بناء على اكتشاف مخطوطات قمران ونجع حمادى، لتقوم بوصم الأصول التى أرادوها منزّلة منزّهة.. وتفشى موقف التعصب الكنسى الذى لجأ إلى كافة الوسائل لمنع نشر الحقائق التى تكشف عنها هذه المخطوطات لمدة خمسين عاما، دفاعا عن فريات تراكمت بإصرار ودأب.

وتتوالى الكتب والاتهامات بالمئات.

لقد وصل الأمر بذلك الدين وبالتصدى للأيادى العابثة فى الكنيسة إلى درجة أن التساؤل الدائر حاليا فى الغرب قائم حول حقيقة يسوع.. يسوع الحقيقى ويسوع الذى تم نسجه وتأليهه.. ويؤكد جوزيف هويلس فى كتابه

المعنون: «التزوير فى المسيحية» قائلا: «إن الأناجيل برمتها عبارة عن عمليات تزوير كهنوتية صيغت بعد أكثر من قرن من تواريخها المزعومة (...) وأن بعض الذين اخترعوا هذه الأناجيل والرسائل التى صيغت فى القرنين الأول والثانى قد اعترفوا بأنهم قد اختلقوا هذه النصوص. وأن التزوير فى القرون الأولى كان جامحاومألوفا حتى إنهم أوجدوا له تعبيرا لوصفه هو: «التزوير التقى» أو «التزوير الورع»!(1)، ومثل هذا الغش معترف به حاليا فى «الموسوعة الكاثوليكية». وأن بعض آباء الكنيسة، من قبيل أوسيبيوس، قد اعترف عليهم بعض رفاقهم المعاصرين لهم بأنهم كذّابون وقد دأبوا على صياغة فرياتهم الشخصية عمّن أطلقوا عليه «ربنا يسوع» وما قاله وما فعله أثناء وجوده المزعوم على الأرض».

وتتزايد الاتهامات حول تحريف الكنيسة لنسب يسوع وجعله من بيت داود أو من نسبه لكى تتطبق عليه نبوءة المسيح المنتظر الواردة فى العهد القديم. وقد كان بعض الأساقفة قد أثبتوا أن هذه النبوءة تتطبق على سيدنا محمد ﷺ، وليس على يسوع، ومنهم الأسقف بنيامين كلدانى وغيره. وأكثر ما أثبتته الدراسات الحديثة أن كافة النصوص التاريخية للمؤرخين القدامى الذين عاصروا القرن الأول والثانى لا تذكر شيئا عن يسوع، وأن المؤرخ فيلون الذى عاش من ٢٠ ق. م إلى ٥٠م، أى فى الفترة المفترض أن يسوع قد عاش فى نطاقها، فإنه لايذكر اسم السيد المسيح مطلقا. وإن هذا الغياب العام لدى هؤلاء المؤرخين - باستثناء فقرتين مشكوك فى مصداقيتهما، فإن عدم ورود اسم السيد المسيح يعد دلالة دامغة على ماتم من تلفيق واختلاق. وإن الإشارة الوحيدة الواردة فى كتابات المؤرخ سويتون، ووجود كلمة كريستوس Chrestos أو Chrestus وترجمتها «نافع»، إنها عبارة عن اسم من الأسماء الدارجة التى كان يختارها العبيد الذين يتم تحريرهم، ولاتعنى المسيح Christ كما يقولون.

---

(١) علامة التعجب من عندنا وليست فى النص.

وعلى حد قول العديد من الباحثين، إن الأحداث العظام تدعمها إثباتات مؤكدة.. والإجماع الدائر حاليا فى الغرب يؤكد أنه لايوجد مايدل على تاريخية يسوع بالصورة التى قدمتها بها الكنيسة وفرضته، وإن الكنيسة قد قامت بحملة تعتيم ضارية بحيث ظل العالم القديم فى جهل مطبق عما تقوم به إلى أن بدأت الحقائق تتكشف. الأمر الذى يفسر خوف الأيادى العابثة من اختراع المطبعة التى حاربتها بضراوة، ويفسر إصرارهاعلى الاستحواذ على العالم ومحاربة العلماء.

ويؤكد الأب رودلف بولتمان «أن يسوع لا يمكنه أن يقول أو يطالب بأنه المسيح، ذلك المسيح الذى عانى وتألم من أجل خلاص البشر، لأن هذه المعلومة أو الفكرة لم تكن واردة كلية فى العقلية اليهودية المعاصرة ليسوع».

والمشكلة اليوم، لا بالنسبة للعلماء والباحثين وحدهم، وإنما لكل الذين كفروا بدينهم وألحدوا بعد أن تم إثبات عدم مصداقية النصوص الإنجيلية وتراثها، وكل ما تم من ظلم وتعتيم لفرضها واقتلاع كل من يتصدى لها أو ينشق عليها، وضع يختلف تماما عما مضى من ناحية اللاهوت. فلقد كانت المعارك قديما تدور فى القرون الأولى، وخاصة بعد تأليه السيد المسيح فى سنة ٣٢٥، كما يقول بروسبير ألفاريك، الأستاذ بجامعة ستراسبورج، لمعرفة إذا ما كان حقاً يساهم فى الألوهية أو الاعتراض عليها وإنكارها تماما.. أما الآن، وبعد حسم قضية الأناجيل وثبوت صياغتها عبر المجامع على مر العصور، وإنها غير منزّلة، فالنقاش يدور حول حقيقة معرفة إذا ما كان يسوع المسيح أو «ربنا يسوع»، كما يقولون، قد عاش فعلا!! بينما هناك شبه إجماع على أن يسوع الذى نسجته الكنيسة غير يسوع الحقيقى. ولقد بدأ هذا التيار بزعامة ثلاثة من كبار رجال اللاهوت الكاثوليك، هم: إرنست رينان، وألفريد لوازى، وشارل جينيبير، الذين نشأوا على العقيدة الكاثوليكية وشبّوا فى أحضان الكنيسة على احترام وتبجيل الأناجيل، إلا أن دراساتهم للنصوص جعلتهم يفضحون ما تم من تحريف وتزييف. أما ما يأسف له ويؤكده بول

إريك بلانرو فى بحثه حول «إعادة قراءة الأناجيل»، «أن هذه المعلومات أصبحت بمثابة معلومات دارجة بالنسبة للمتخصصين، أما الجماهير العريضة فهى لاتزال أبعد ما تكون عن معرفة هذه الحقائق».

وذلك الشرخ العميق الذى حدث فى العالم الغربى المسيحى، والذى يصفونه بأنه «لايمكن رأبه أو التغاضى عنه»، وأدى إلى ابتعاد الأتباع عن المسيحية بمللها المتعددة وانقساماتها، وتفضيل الإلحاد، بحيث نما ووصل حاليا إلى حوالى ثلث التعداد أو أكثر فى الغرب المسيحى، حتى إن هناك بعض المنظمات الإلحادية تقوم بتوزيع استمارات على أعضائها لتقديمها إلى الكنيسة لإحاطتها علما بموقفهم وطلب رفع اسمهم من كشف الذين تم تعميدهم.

وعلى الرغم مما آلت إليه انعكاسات الكذب التاريخى على الأتباع، فها هو التعصب الكنسى والسياسى يتحالفان لتنصير العالم، بزعم أن سنة ٢٠٠٠ تمثل نهاية العالم ومجئ السيد المسيح الذى سيقضى على المسيح الدجال.

وتمر سنة ٢٠٠٠ ولا ينتهى العالم، ولم يأت السيد المسيح.. ولم يظهر سوى دجل السياسة الأمريكية والكنسية التى تتلفع بأكاذيب سياسية ودينية لتنفيذ سيطرتها على العالم.. وقد قاموا بتعديل طفيف فى تعريف المسيح الدجال، وأعلنوا أن المسيح الدجال هو العالم المعاصر، الذى تعتبره السياسة الأمريكية فاسدا بشكله الحالى لذلك تبادر بإصلاحه وتنصيره بإلحاح فاقد البصر والبصيرة..

وينتقد كلود ماك دوف ذلك الإلحاح التبشيرى عن طريق التلفزيون، خاصة فى الولايات المتحدة وكندا، ويرى فيه «جوانب سلبية تعسفية من قِبَل محترفى تجنيد الأتباع ، ويرى أن هذه البرامج التى يقوم بها العديد من المبشرين والجمعيات الأهلية الدينية لا تكتفى بعرض نشاطها فى كندا وأمريكا، وإنما تستعرض ما تقوم به فى البلدان الأخرى» ومن الواضح أن البلدان الأخرى مقصود بها بلدان العالم الإسلامى والعربى.. ثم يضيف قائلا

فى نفس ذلك البحث الذى سبق وأشرنا إليه فى المقدمة: «لقد آن الأوان لتصحو بعض المنظمات التى تدرك خطورة ما تقوم به مئات الكنائس والمبشرين من أجل تسميم الحياة العامة بالتعصب والسيطرة عليها (...) إن الألفية الثالثة لاتبشر بأى شىء إيجابى فى هذا المجال، وما على المجتمع الدولى إلا أن يضع حدا للسيطرة على هذا الإلحاح الكنسى المتعصب».

وبعد كل ماتقدم من الأسانيد والأدلة العلمية الدامغة، واتهامات بخلافات وتناقضات لا يمكن رأبها، وبعد أن أوضحنا كيف كان اكتشاف هذا التزوير الممتد والمتعمد، فى النصوص الإنجيلية والتراثية، سببا فى إلحاد الآلاف من الأتباع وابتعاد الآلاف الأخرى ومنهم من رجال الكنيسة بكل مستوياتهم، لا يملك المرء إلا أن يكرر بكل أسف تلك الخاتمة المريرة التى ختم بها إنريكو ريبونى بحثه قائلا:

«إن المتناقضات المتعددة التى تملأ الإنجيل بعهديه هى بمثابة شتائم فى حق الله. فإن كان الإنجيل هو كلام الله، هل يمكن لله أن يناقض نفسه؟ إننا نعلم جميعا أن عكس الحقيقة هو الكذب. وأن تأكيد حقيقة ما ونقيضها فى نفس الوقت لايمكن أن يسفر عنه أن يكون الاثنان معا وفى نفس الوقت حقيقة. إن العقل يفرض علينا الاعتراف بالأمر الواقع: إذا ما كان الإنجيل كتابا متناقضا، فإنه لايمكن أن يكون من عند الله. لا، لايمكن للإنجيل أن يكون كلام الله. إن الإنجيل هو عمل من صنع البشر، على صورة البشر، فهو عمل ناقص، بعيد عن الكمال، وغير قادر على الإجابة على كافة الأسئلة».

ولن نقول مثل ذلك للإنسان المكلوم فى إيمانه: «احرق هذا الإنجيل، وحرر فكرك بسرعة من هذه العبودية الشاذة»، ولكننا نتوجه إلى أولئك العاملين مع التعصب الكنسى والسياسى الغربى، المنجرفين فى تياره الأكمه: ارفعوا أيديكم عن الإسلام والمسلمين، بدلا من اختلاق المزيد من الضحايا والملحدين..

أهم المراجع

BLANRUE, Paul-Eric: **Jésus: Infos ou Intox?** Genéve, 2001

BLAVAL, Yvon: **Le siécle des Lumiéres et L'Eglise,** Paris, 1986

BULTMANN, Rudolf: **Histoire de la Tradition synoptique,** le Seuil, 1973

CASCIOLI, Luigi: **La Fable de Christ,** Viterbo Italia, 2001

DIMIER, M,-F. : **Jésus fils de l'homme,** Gallimard, Paris, 1975

FINKELSTEIN, Israel: **La Bible devoilée**, Bayard, Paris, 2000

HARDER, Yves- Jean : **Les Athéismes et la théorie Trinitaire,** Bruxelles, 1994

INGERSOLL, Robert: **En finir avec la Bible,** Paris, 1894

LACARRIERE, Jacques: **Au coeur des légendes,** Paris,

LACOSTE, Jean-Yves: **L'Expérience et l'absolu,** Paris, 1994

MACDUFF, Claude: **Croisade de moralisation religieuse,** Canada, 2000

MORDIA, J. & BRIEUR, J. **Jésus contre Jésus,** Gallimard, Paris, 1999

RENANI, Ernest: **La vie de Jésus,** Paris, 1863

RIBONI, Enrico: **La page noire du christianisme,** Geneve, CROA, 2001

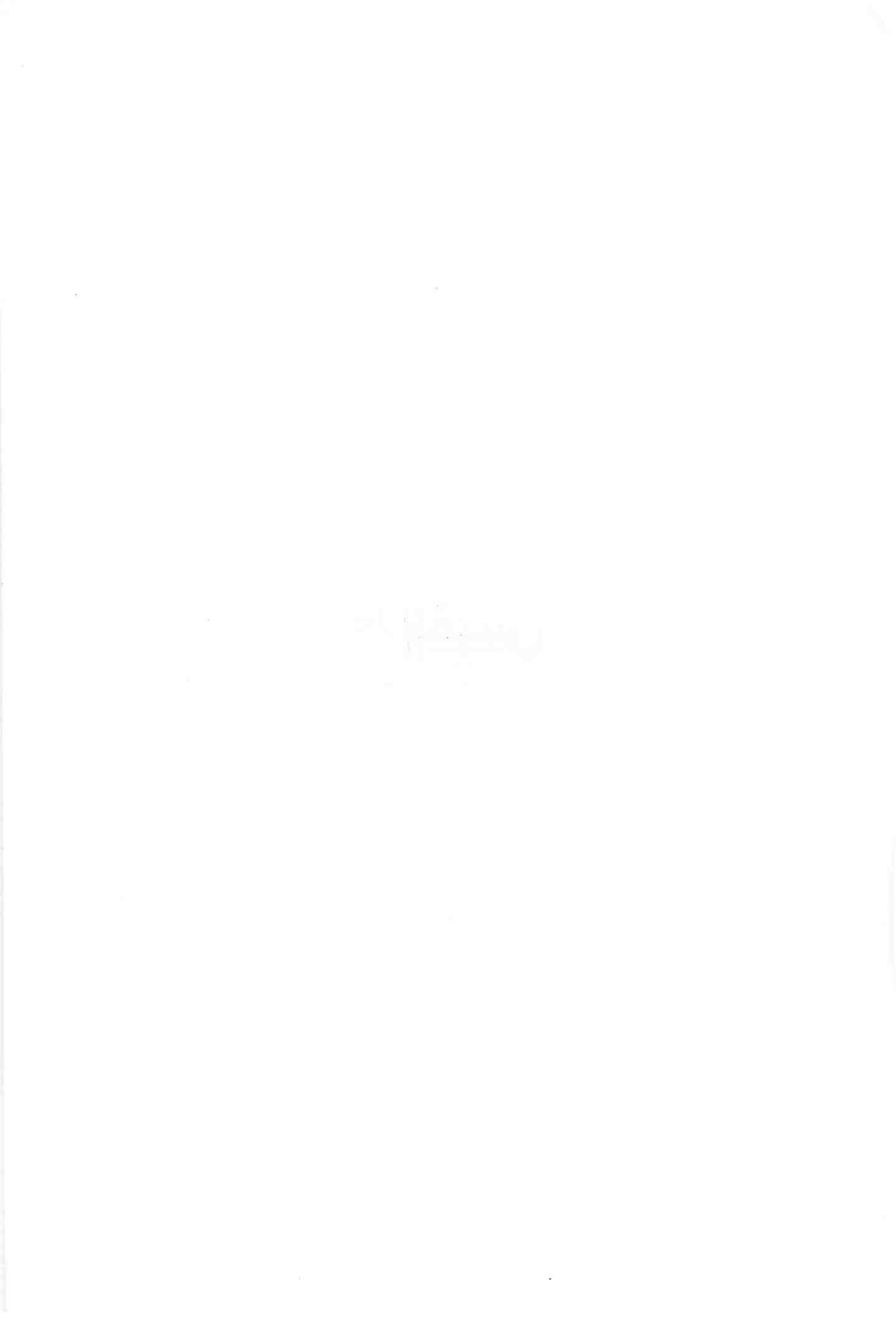
SCHWEITEZER, Albert: **Le secret historique de Jésus,**

Albin Michel, 1933

VERET, Pierre: **La pensée religieuse en France, du Charon a Pascal,** Pascal 1933

VERNETTE, Jean: **L'Athéisme,** coll. Que sais-je, P.U.F. 2002

الفهـــرس




دار القبس
للطباعة وفصل الألوان
ت: ٣٦٤٠٨٢٥ _ ٣٦٨٥٦٢٨ _ ٥٧٤٣٣١٤

صليبية الغرب وحضارته

2

الإلحاد وأسبابه

الصفحة السوداء للكنيسة

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب واحدة من أهم مشاكل العصر الحديث أو أعمقها فى الغرب المسيحى، ألا وهى: مشكلة الإلحاد. موضحاً كيف أنها تكمن أساساً فى نقطتين: مشكلة اللاهوت المسيحى نفسه، ذلك اللاهوت الذى لا يتمشى مع العقل والمنطق ويتم فرضه قهراً؛ وكل ما بنى عليها من أكاذيب على مر العصور، وهو نقد يعتمد على المنطق والوثائق التاريخية الدامغة وعلى كل ما لم تستطع الكنيسة أن تواجهه ـ حتى يومنا هذا ـ بأية ردود يقينية أو حتى مقنعة.. بل هى لا تزال تحاول فرضها على العالم..

ويتناول الكتاب قضية الإلحاد من خلال خطين أساسيين: الجانب التاريخى، أو ما يطلق عليه البعض حالياً هناك: «الصفحة السوداء للمسيحية»، وهو بمثابة تواريخ وأحداث لمسيرة الكنيسة ورايتها الداميه على مر العصور؛ والجانب الوثائقى المسبب للإلحاد، وذلك من خلال أهم الاكتشافات العلمية والتاريخية واللغوية. الأمر الذى وصل بهم إلى تأكيد أن الأناجيل ليست مقدسة أو منزّلة. وانما تم تكوينها عبر القرون، وان عيسى بن مريم لا علاقة له بتلك الأسطورة التى نسجتها الكنيسة لتجعل منه إلها قد تجسد ليفادى البشر ـ نقلا عن أساطير أخرى مثل الآلهة الوثنية حوريس أو مترا، موضحين بالوثائق كيف ومن ومتى تم نسج كل جزئية من جزئيات هذه الأسطورة التى بدأت بأكاذيب بولس الرسول ـ على حد قوله فى رسالته إلى أهل رومية (٣ : ٧)!

الناشر

